



السَّعَادَةُ وَالْحَيَاةُ

رؤية تربوية لمفهوم السعادة وأسبابها في حياة المسلم المعاصر

تأليف

د. عبدالكريم بن عوض السلمي

قال الله تعالى :

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾

[هود ١٠٨]

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد :

فيأتي هذا الموضوع (السعادة وأسبابها في حياة المسلم المعاصر) في زمن كثر الحديث فيه - لاسيما بين الأوساط المثقفة من أبناء المسلمين - عن النجاح والطرق الموصلة إليه، وعن السعادة في الحياة، والسبل التي يبلغ بها الإنسان مداها، وعن الإنجاز في الحياة، ووسائله، وعن التغيير إلى الأفضل، والبحث عن الفوز في المستقبل، وغير ذلك من مجالات التطوير الذاتي التي يسعى إليها كثير من المثقفين، والمطلعين على التقدم المذهل السريع في عالم اليوم، والتي لا تخفى على المهتمين بأمر العلم والتربية، حتى أصبحت السرعة سمة بارزة من سمات هذا العصر.

ونحن اليوم نعيش في عصر لا مقياس له في سرعة الانتقال من شيء إلى شيء ومن حال إلى حال ، فهو عصر السرعة المسعورة، التي ضعفت بل وندرت فيه الضوابط والمقاييس ، وهو عصر مادي انفلت فيه زمام العقل بدافع الغرور العلمي ، وطغت فيه ظلمات الإلحاد على نور الإيمان، وانحسرت فيه القيم الروحية والأوضاع الخلقية و الفضائل الكريمة .

ولما كان هذا العصر من سمته التغير السريع، في كثير من نواحي الحياة، والتقلب، والاضطراب في مجالات متعددة، سواء في الأوضاع السياسية أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، إضافة إلى اختلاط بعض المفاهيم الإسلامية بغيرها نتيجة لما يعرف بـ (العولمة) حتى بات من السهل التأثير على تفكير المسلم المعاصر، وقناعاته بدعوى التجديد والمواكبة للعصر، وبدعوى البحث عن النجاح والسعادة والفوز والفلاح والإنجاز، لما كان الأمر كذلك وجب على المسلم الذي يعيش في هذا العصر أن يحرص كل الحرص على النعمة العظيمة والمنة الجزيلة التي وهبها له ربه عز وجل وحرم منها كثيرا ممن خلق، تلك نعمة الإيمان والهداية إلى الطريق الموصل إلى الفلاح المحض الذي لا فلاح بعده، والفوز الكبير الذي لا فوز بعده، والنجاح العظيم الذي لا نجاح يدانيه أبدا ...

إنه الفوز الأخروي برضا الله تعالى والتنعم بنعيم الجنة كما قال تعالى ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^(١) وأنه المستقبل الحقيقي الذي يجب أن ينال اهتمام المسلم في كسب السعادة فيه، وفي القرآن الكريم تأكيد لهذا المعنى، وذلك في

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٥

قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

والتأمل في آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما سطرته أيدي علماء الإسلام وأئمة العظام في بيان ذلك الأمر، وتكراره، والتنبيه عليه، والإشارة إليه بين الحين والآخر، يجد نفسه بحاجة ماسة إلى ممارسة كل سلوك يؤدي به إليه، وكل عمل يقربه من ذلك الفوز العظيم والسعادة الدائمة .

وليس هو الأمر الأخروي فحسب، بل حتى ما يتعلق بحياة المسلم في هذه الدنيا وسعادته فيها، فهو مرتبط برباط وثيق بذلك الفوز، ذلك أن السعيد هناك هو السعيد هنا في الفكر الإسلامي، وقد أشار إلى هذا الفهم أحد علماء الإسلام، وإلى الربط بين تلك السعادتين بقوله (إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة^(٢)) فيسميها رحمه الله جنة، للدلالة على النعيم، والسعادة الحاصلة للعبد فيها، وهو في هذه الحياة .

لذا كان لزاما على من يبحث عن السعادة، ويتطلع إليها ويريد النجاح في الدارين، أن يبادر إلى تمثيل ما جاء عن الله

(٢) سورة العنكبوت، آية ٦٤

(٣) الوابل الصيب، ابن قيم الجوزية، ص ١٠٥

تعالى في كتابه الكريم، والى ما أرشد إليه رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام، وأن يجعل مبادئ الإسلام الثابتة نبراساً يضيء له طريقه وينير له مستقبله، لأننا في زمن كثرت فيه ظلمات الفتن والشبهات، واختلطت فيه الأمور بعضها ببعض، حتى قرب الزمان الذي يوشك أن يصبح فيه الرجل مؤمناً ويمسي - كافرًا ويمسي مؤمناً ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا، كما جاءت الإشارة إليه على لسان المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وإن الحاجة ماسة للبحث في المصدر الأساس، والدستور الخالد القرآن الكريم وفي السنة النبوية المباركة عن كل ما يكون سبباً للنجاح والسعادة وتحقيق الفوز للمسلم المعاصر الذي يعيش هذا الزمن الصعب.

ولا شك أنه ما من خير إلا وقد تضمنه كتاب الله تعالى ﴿مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤) فهو الكتاب الذي بهداه اهتدى المهتدون، وفاز الأولون، ونجح الناجحون، وهو الكتاب الذي يهدي للتي هي أحسن بالطريقة التي هي أفضل، وأكمل ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

(٤) الأنعام آية ٣٨

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا))^(٥) و ما من خير إلا وقد أرشدنا إليه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم الذي قال (خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)^(٦) والقائل (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)^(٧).

ولا شك أن في هذين المصدرين ما يعين المسلم المعاصر في التغلب على كثير من المشكلات، و ما يحقق له السعادة وأسبابها ودوافعها. وفي هذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ الكريم ، ما يعين بمشيئة الله تعالى على تقرير المفهوم الصحيح للسعادة في الحياة ، والأسباب الموصلة إليها .

وتجد أخي القارئ الكريم في ثنايا هذا الكتاب ما يوضح المفهوم الحقيقي لسعادة المسلم في حياته وذلك من خلال تحديد مفهوم السعادة في الحياة وذكر تفصيلي للأسباب التي تؤدي إلى تحقيقها ، وكذلك بيان ما يكون عائقاً من عوائقها، وذلك في فصول الكتاب الثلاثة التالية :

(٥) الإسراء آية ٩

(٦) صحيح الجامع برقم ٣٢٣٢

(٧) صحيح الجامع ٤٣٦٩

الفصل الأول

مفهوم السعادة

■ المبحث الأول: معنى السعادة

■ المبحث الثاني: اختلاف الناس في مفهوم السعادة

■ المبحث الثالث: التصور الصحيح للسعادة

■ المبحث الرابع: الفرق بين السعادة والنجاح

المبحث الأول معنى السعادة

للسعادة معنى في اللغة، ومعان في الشرع وفي الاصطلاح، أحاول في هذا المبحث توضيحها، وذلك على النحو الآتي :

أ - في اللغة :

السين والعين والبدال أصل يدل على خير وسرور، خلاف النحس، فالسعد اليمين في الأمر، والسعادة خلاف الشقاوة.^(٨) جاء في مختار الصحاح: عند مادة سعد (السَّعْدُ اليمين تقول سَعَدَ يومنا من باب خضع و السُّعُودَة ضد النحوسة و اسْتَسَعَدَ برؤية فلان عدّه سعيدا و السَّعَادَةُ ضد الشقاوة تقول منه سَعِدَ الرجل من باب سلِم فهو سَعِيدٌ و سَعِدَ بضم السين فَمَسْعُودٌ)^(٩).

يظهر من اشتقاق الكلمة أنها تعني ما يدل على الإيجاب والخير والحسن و ذلك من خلال أنها تقابل ما هو مكروه غير مرغوب فيه وهو (الشقاوة) . ومن مشتقاتها ما هو بمعنى الإعانة (الإِسعاد)، وما هو بمعنى القوة أو ما يساعد عليها

(٨) معجم مقاييس اللغة لابن فارس دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ، ٧٥/٣

(٩) مختار الصحاح للرازي دار الفكر للطباعة والنشر . ص ٢٩٨.

(الساعدان). وحتى ما يشتق منها من أسماء النباتات فهو من أفضل الأنواع وهو (السعدان) .

ب - السعادة اصطلاحاً :

عرفت السعادة بتعريفات متعددة أذكر منها ما يلي :

١- السعادة هي معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير ويضادها الشقاوة. ^(١٠)

٢ - السعادة هي القناعة والقناعة هي السعادة لأن الغاية من القناعة غرس الطمأنينة في النفس في كل شيء في السراء والضراء، والشدة والرخاء، وهذه الطمأنينة هي عين السعادة. ^(١١)

٣- السعادة ضد الشقاوة وهي الرضا التام بما تناله النفس من الخير. ^(١٢)

٤ - السعادة سلوة خاطر بحق يحمله، وانشراح صدر لمبدأ يعيشه، وراحة قلب خير يكتنفه. ^(١٣)

(١٠) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني مكتبة الأنجلو المصرية ص ٣٤٠،

(١١) الخلق الكامل، محمد أحمد جاد، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، الأزهر، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ (١/٢٩٩)

(١٢) المعجم الفلسفي جميل صليبيبا، دار الكتاب اللبناني. ٦٥٦/١

(١٣) لا تحزن، عائض القرني، مكتبة العبيكان، الطبع الرابع عشرة

١٤٢٥هـ ص ٣٠٢

٥ - السعادة هي حالة الإنسان الموافقة لإرادته وآماله المنبعثة في حدود الفضيلة^(١٤) .

٦- السعادة شيء معنوي لا يرى بالعين ، ولا يقاس بالكم ، ولا تحتويه الخزائن، السعادة شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه ، صفاء نفس ، وطمأنينة قلب ، وانشراح صدر ، وراحة ضمير .^(١٥)

٧- وعرف علماء النفس والتربية السعادة بأنها : (الشعور والإحساس الدائم ، للمرء بخيرية الذات ، وخيرية الحياة ، وخيرية المصير)^(١٦) . فهي في نظر علماء النفس عبارة عن شعور داخلي يحسه الإنسان بين جوانبه يتمثل في سكينته النفس ، وطمأنينة القلب ، وانشراح الصدر ، وراحة الضمير ، نتيجة لاستقامة السلوك الظاهر ، والباطن .

وهي بهذا المعنى قد تحصل لأي إنسان، إذا ما أخذ بأسبابها الموافقة لما يريد . لكن بصورة مؤقتة وليست على سبيل الدوام .

(١٤) السعادة عند بعض علماء الإسلام ، محمد الخضر حسين ، المطبعة السلفية ومكاتبها ، ١٣٤٧هـ ص ١٤

(١٥) الإيمان والحياة ، د. القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٧هـ ص ٩٠

(١٦) مقدار يالجن في كتابه ، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام دراسة مقارنة مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ ص ٦٣

المبحث الثاني

اختلاف الناس في فهم السعادة وتصورها

أ - السعادة عند العامة :

عند التأمل في أحوال الناس في حياتهم ونظرتهم للسعادة نجد أن الذي يقاسي شدائد الفاقة ، والبؤس ، وينظر إلى حال الأغنياء والمترفين يرى السعادة : في الغنى ووفرة المال ، ومن تتقلب به الأوجاع والأسقام يميناً وشمالاً ، أو يفقد أحد أعضائه يرى السعادة : في صحة البدن وسلامة الأعضاء والعافية من الأمراض . والمستضعف الذي تسلب حقوقه علانية ولا يستطيع خلاصها يرى السعادة : أن يكون للإنسان سلطان أو جاه عند ذي سلطان ، ومن أشرب في قلبه الفسوق والخلاعة يرى السعادة : في أن تحف به الشهوات من كل جانب فيطلق فيها عنانه كيف يشاء ، ومن وجد منفعته الخاصة في أمر من الأمور رأى السعادة فيه .

هذه إحساسات خاصة في أحوال خاصة، سرعان ما تتبدل وتتغير، فالرجل الذي يبدو له أن السعادة في الغنى أو في صحة البدن _ مثلاً _ إنما حدث له هذا الفهم من ألم الفقر أو شدة المرض، ومن الممكن جداً أن ينتقل إلى يسار أو صحة فيتغير رأيه في السعادة، ويذهب في تصورها إلى شيء آخر

أصبح يحس بحاجته إليه، كصلاح حال الولد أو الزوجة أو الأصدقاء، أو الترقى في مجال العمل الدنيوي ونحو ذلك^(١٧). وإلى هذا يشير أحد الباحثين بقوله: (لو استفتيت مائة إنسان عن السعادة لخرجت بمائة وعشرة أجوبة مختلفة)^(١٨)، وليس هناك أمر اختلف الناس في تحديده وتعريفه مثل السعادة، وفي استفتاء أُجري^(١٩) على حوالي ١٦ ألف شخص، سُئلوا ماذا تعني لهم السعادة فأنت النتائج على النحو التالي:

- ٣٨٪ قالوا: السعادة تعني: الحب.
- ٢٨٪ رأوا: أن السعادة هي: الرضا.
- ١٧٪ رأوا: أن السعادة هي: الصحة.
- ٧٪ قالوا: أن السعادة هي: الزواج.
- ٥٪ قالوا: أن السعادة هي: المال.
- وقال ٣٪: أن السعادة هي: الأطفال.
- وقال ٢٪: أن السعادة هي: السفر.

(١٧) انظر السعادة عند بعض علماء الإسلام _ لمحمد الخضر حسين، المطبعة السلفية ومكاتبها، ١٣٤٧، ص ٥ وأيضاً مفهوم السعادة في الفكر الإسلامي، عند كل من الرازي، والفارابي، وابن سينا، عبد العزيز أبو مندور بحث ماجستير، بجامعة الإسكندرية، ص ١١.

(١٨) الدكتور صلاح الراشد في لقاء في موقع الجزيرة نت ١٤٢٥ هـ.

(١٩) محاضرة صناعة السعادة. الدكتور سلمان فهد العودة، موقع الإسلام اليوم. ١٤٢٥ هـ.

ب - مفهوم السعادة عند علماء الإسلام :

ونجد من علماء المسلمين الأوائل من ذكر السعادة في كثير من الكتب ، والمؤلفات ، بمفاهيم مختلفة أكتفي منها بما يلي :

١ - يذهب فخر الدين الرازي^(٢٠) إلى نفي أن تكون هناك لذة غير الحكمة ، وقال لا لذة إلا في المعارف ، وأما ما يسميه الناس لذة حسية كالأكل ، والشرب إنما هو لدفع ألم الجوع ، والعطش وما يسمونه لذة خيالية كالرياسة إنما هو دفع ألم القهر.^(٢١)

والرازي لا يفرق بين اللذة والسعادة بل يعتبرهما بمعنى واحد ، وذلك ما أورده عنه بعض الباحثين ، من خلال استقراء لأرائه في السعادة^(٢٢) ، حيث قسم السعادة إلى مراتب ثلاث: روحانية ، وبدنية ، وخارجية ، والروحانية تشمل العلم والعمل ، والبدنية تشمل الصحة والجمال ، والخارجية تشمل المال والجاه .

(٢٠) هو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي الطبرستاني ولد عام ٥٤٤هـ وتوفي عام ٦٠٦هـ

(٢١) انظر السعادة عند بعض علماء الإسلام _ لمحمد الخضر حسين ص ٥ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ص ٨

(٢٢) انظر السعادة في المنظور الإسلامي . للباحث / عبد الله محمد العامري رسالة ماجستير غير منشورة من جامعة بغداد . ص ٧٢

٢ - ويرى أبو النصر الفارابي^(٢٣) أن السعادة هي غاية ما يتشوقه كل إنسان، وأنها أكمل ما يؤثر ويسعى إليه من الخيرات، وذكر أن الخيرات التي يؤثرها الناس ويتوجهون إليها ثلاثة أنواع :

الأول : ما يؤثر لتنال به غاية أخرى كالثروة فإنه يرغب فيه ليتوصل بها إلى مآرب أخرى إما محمودة كالإنفاق في وجوه البر ، أو غير محمودة كإغراق النفس في ملاذها وشهواتها الطاغية .

الثاني : ما يؤثر لذاته، وقد يقصد منه غاية أخرى مثل الرياسة فإنها مرغوب فيها لذاتها، وقد يسعى إليها من يبتغيها وسيلة إلى غرض بعدها كجمع المال أو الانتقام من العدو أو نحو ذلك ، وقال بعد أن ذكر النوعين السابقين أن هذين النوعين ليسا من السعادة ولا السعادة منهما .

الثالث : ما يؤثر لذاته ولا يقصد في وقت من الأوقات لتنال به غاية أخرى، وما هو إلا الخلق الجميل وقوة الذهن ثم

(٢٣) فيلسوف عربي إسلامي لقب بالمعلم الثاني ولد في فاراب من خراسان عام ٢٦٠ هـ وتوفي بدمشق عام ٣٣٩ هـ، انظر الموسوعة العربية العالمية ١٧/ ١٧٨

قال (وهذا هو أكمل الخيرات وهذا ما يسمى
سعادة)^(٢٤).

٣ - يرى ابن مسكويه^(٢٥) أن الغايات التي يتوجه إليها الناس
ترجع إلى قسمين :

الأول : ما يشترك فيه الناس والحيوان كالمأكل والمشرب
ونحوهما وهو ما يسميه الناس لذيداً ، هذا مما يظنه الناس
سعادة وليس الأمر كما يظنون ، فإن ما كان مشتركاً بيننا
وبين البهائم ليس من شأنه أن يكون كما لانا من حيث أنا
أناس فلا يدخل في باب سعادتنا .^(٢٦)

الثاني : ما يختص به الإنسان ولا يشاركه فيه غيره من الحيوان
وهو الأفعال الفاضلة والخلق الجميل وقوة الذهن ، وهذه
الأمور الثلاثة تتحقق السعادة^(٢٧).

٤ - الإمام ابن الجوزي^(٢٨) رحمه الله تعالى يرى : أن لذة العلم
والأخلاق الفاضلة هي سعادة حقيقية وذلك بقوله : (لقد

(٢٤) انظر السعادة عند بعض علماء الإسلام _ لمحمد الخضر حسين ص ٥ ،

المطبعة السلفية ومكتبتها ص ١٠

(٢٥) هو أحمد محمد يعقوب مسكويه ، مؤرخ بحاث ، أصله من الري ،
وسكن أصبهان وتوفي بها عام ٤٢١ هـ اشتغل بالفلسفة ، والكيمياء
والمنطق ثم بالتاريخ ، انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ١ /

(٢٦) انظر الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، د. مقداد يالجن ، ص ٦٠ ،

(٢٧) المصدر السابق ص ١٢

غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها، واللذة فيها شرف العلم، وزهرة العفة، وأنفة الحمية، وعز القناعة، وحلاوة الإفضال على الخلق فأما الالتذاذ بالمطعم والمنكح: فشغل جاهل باللذة لأن ذلك لا يراد لنفسه بل لإقامة العوض في البدن والولد. وأي لذة في النكاح وهي قبل المباشرة لا تحصل، وفي حال المباشرة قلق لا يثبت عند انقضائها، وكأن لم يكن، ثم يثمر الضعف في البدن، وأي لذة في جمع المال فضلاً عن الحاجة، فإنه مستعبد للخازن، يبيت حذراً عليه، ويدعوه قليله إلى كثيرة، وأي لذة في المطعم وعند الجوع يستوي خشنه وحسنه، فإن ازداد الأكل خاطر بنفسه^(٢٨). وقال أيضاً مبيناً أن لذات الدنيا جميعها مشوبة بالنقص:

(من تأمل الدنيا علم أنه ليس فيها لذة أصلاً، فإن وجدت لذة شبيت بالنقص التي تزيد على اللذة أضعافاً، فمن اللذات النساء، فربما لم تثبت المستحسنة، وربما لم تحب الزوج،

(٢٨) هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ولد عام ٥١٠ وتوفي عام ٥٩٧ هـ من الأئمة الأعلام والعلماء الأفاضل صاحب التصانيف الكثيرة.

(٢٩) سيد الخاطر، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ص ٣٠٢

فمتى علم ذلك، انعزل عنها ، وربما خانت ، وذلك الهلاك، فإن تمت المرادات، فذكر الفراق زائد في التألم على الالتذاذ.

ومن اللذات الولد، ومقاساة البنت إلى أن تتزوج ، وما تلقى من زوجها ، وخوف عارها محن قبيحة ، والابن إن مرض ، ذاب الفؤاد ، وإن خرج عن حد الصلاح زاد الأسف، وإن كان عدواً فمراده هلاك الأب ، ثم إن تم المراد فذكر فراقه يذيب القلوب ومن هذا الجنس الالتذاذ بالمال، وفي تحصيله آثام ، وفراقه حسرة ، وذهاب العمر به غبينة.) إلى أن قال (فينبغي لمن وفقه الله أن يأخذ الضروري ، الذي يميل إلى سلامة الدين والبدن والعافية، ويهجر الهوى الذي نغصه تتضاعف على لذته ، ومن صبر على ما يكره قصد النفع في العاقبة ، التذأضعافاً كطالب العلم ، فإنه يتعب يسيراً، وينال خير الدارين مع سلامة العاقبة)^(٣٠).

ولعل ابن الجوزي رحمه الله عندما خص طلب العلم بالذكر من بين سائر الأعمال الصالحة لم يقصد حصر اللذة فيه، وإنما ذكره مثالا للعبادات، والأعمال الصالحة التي يراغم العبد فيها هواه، وليبين فضل العلم ومعرفة الله تعالى .

(٣٠) المصدر نفسه ص ٥٠٢ .

٥ - الإمام أبو حامد الغزالي^(٣١) يقول: (إن كيمياء السعادة لا تكون إلا في خزائن الله سبحانه وتعالى ففي السماء جواهر الملائكة وفي الأرض قلوب الأولياء العارفين، فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة النبوة فقد أخطأ الطريق)^(٣٢)، وقد قسم السعادة إلى قسمين:

الأول: سعادة مطلقة، وهي السعادة الروحية (النفسية) التي اعتبرها أفضل أنواع السعادات وأشرفها، لأن لها صلة عظيمة بسعادة الآخرة.

الثاني: سعادة مقيدة، وهي ما كانت مقصورة على زمان أو مكان محدد.^(٣٣)

٦ - الإمام ابن القيم^(٣٤) يرى: أن أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة سعادات:

(٣١) هو حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ولد بطوس عام ٤٥٠هـ وتوفي عام ٥٠٥هـ

(٣٢) كيمياء السعادة ص ١٠٦ نقلاً عن بحث السعادة في المنظور الإسلامي، مرجع سابق.

(٣٣) انظر السعادة في المنظور الإسلامي ص ٦٩ مرجع سابق.

(٣٤) هو العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ولد عام ٦٩١-٧٥١هـ.

الأولى : سعادة خارجة عن ذات الإنسان تتمثل في المال والحياة. وذكر أنها ليست حقيقية ، فإنها سرعان ما تتبدل وتتغير .

الثانية : السعادة البدنية ، وتتمثل في الصحة ، واعتدال المزاج ، وتناسب الأعضاء وحسن التركيب ، وصفاء اللون ، وقوة الأعضاء ، وعبر عن هذه السعادة بقوله (وهذه ألصق به من الأولى ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه، لا بجسمه وبدنه كما قيل :
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته

أتطلب الربح في ما فيه خسران
انهض إلى الروح واستكمل فضائلها
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان
فنسبة هذه إلى روحه وقلبه كنسبة ثيابه ولباسه إلى بدنه)^(٣٥).

الثالثة : السعادة الروحية (النفسانية) القلبية :

يرى ابن القيم رحمه الله أن هذه السعادة حقيقية، وأنها سعادة العلم النافع وهي الباقية على تقلب الأحوال

(٣٥) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١٠٧/١ ، وانظر السعادة في المنظور الإسلامي، مرجع سابق

والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره في دوره الثلاث، دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار وبها يترقى في معارج الفضل ودرجات الكمال .

ويلخص رحمه الله الفرق بين تلك الأنواع الثلاثة السابقة بقوله (أما الأولى فإنها تصحبه في البقعة التي فيها ماله وجاهه، والثانية تعرضه للزوال والتبدل بنكس الخلق والرد إلى الضعف، فلا سعادة حقيقة إلا في الثالثة التي كلما طال الأمد ازدادت قوة وعلواً، وإذا عدم المال والجاه فهي مال العبد وجاهه وتظهر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح البدن إذا انقطعت عنه السعادتان الأوليان، وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبعث على طلبها إلا العلم بها فعادت السعادة كلها إلى العلم وما يقتضيه والله يوفق من يشاء لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع).^(٣٦)

هذا ما استطاع المؤلف الوقوف عليه من آراء العلماء والفلاسفة حول مفهوم السعادة، وذلك من خلال كتاباتهم مباشرة أو عن نقل عنهم، ويظهر التفاوت الكبير في المفاهيم بين من نور الله بصيرته بنور الوحي

(٣٦) المصدر السابق ١٠٨/١

فهو على نور من ربه ، وفي معرفة عظيمة بربه ، وهم علماء الإسلام، وبين من تخبط في ظلمات الجهل، فضل عن سواء السبيل، وهم أهل الفلسفة، البحتة الذين اعتمدوا على العقل وأهملوا النقل .

ج - تعريف المؤلف للسعادة :

عندما نظرت في آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وجدت أن الإشارة إلى كلمة السعادة أتت في موضعين من كتاب الله، وهما (سعيد) و (سعدوا) وذلك في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾^(٣٧) وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾^(٣٨) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى^(٣٩) : (يقول تعالى " وأما الذين سعدوا" وهم أتباع الرسل "ففي الجنة" أي فمأواهم الجنة "خالدين فيها" أي ماكثين فيها أبدا "ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك") .

(٣٧) سورة هود آية ١٠٤

(٣٨) سورة هود آية ١٠٨

(٣٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي السلامة دار طيبة ،

الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ . ٣٥٢/٤

وأما في كتب السنة النبوية فقد أتت كلمة (السعادة) صريحة في مواضع متعددة في جملة من الأحاديث النبوية، ومنها ما يلي:

(١) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل) (١).

(٢) وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سعادة ابن آدم ثلاثة ومن شقوة ابن آدم ثلاثة من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء) (٢).

(٤٠) رواه الإمام أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند سعد بن أبي وقاص، برقم ١٣٦٧، ورواه أيضاً الترمذي بلفظ آخر، كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضا، برقم ٢٠٧٧. قال الذهبي فيه محمد بن أبي حميد المدني ضعفوه (ميزان الاعتدال ٤/٤٧١)

(٤١) رواه الإمام أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند سعد بن أبي وقاص، برقم ١٣٦٨، إسناده ضعيف انظر صحيح المسند لأحمد شاكر

(٣) عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من نفس منفوسة إلا قد سبق لها من الله شقاء أو سعادة).^(٤٢)

(٤) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع من السعادة: المرأة الصالحة و المسكن الواسع و الجار الصالح و المركب الهنيء و أربع من الشقاء: المرأة السوء و الجار السوء و المركب السوء و المسكن الضيق)^(٤٣).

(٥) وعن علي رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله ومعه مخرصة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: (ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتب شقية أو سعيدة فقال رجل يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة قال أما

(٤٢) رواه الإمام أحمد، مسند العشرة المبشرين، مسند علي رضي الله عنه، برقم ١٢٧٨، إسناده صحيح، انظر صحيح المسند لأحمد شاكر ٣٤٤/٢

(٤٣) السلسلة الصحيحة، وقال الألباني هذا سند صحيح على شرط الشيخين، برقم ٨٢٨.

أهل السعادة فيسرون لعمل الشقاوة وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل الشقاوة ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ الآية^(٤٤)

٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يؤتى بأربعة يوم القيامة، بالمولود وبالمعتوه ، وبمن مات في الفترة ، والشيخ الفاني ، كلهم يتكلم بحجته ، فيقول الرب تبارك وتعالى ، لعنق من النار ابرز ، فيقول لهم : إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم ، وإني رسول نفسي إليكم ، ادخلوا هذه ، فيقول من كتب عليه الشقاء : يارب أين ندخلها ومنها كنا نفر؟ قال ومن كتب عليه السعادة ، يمضي فيقتحم فيها مسرعاً ، قال فيقول تبارك وتعالى : أنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية ، فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار)^(٤٥).

يتبين للباحث من خلال الآيتين الكريمتين و الأحاديث النبوية السابقة أن كلمة السعادة أتت في سياقين :

(٤٤) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر برقم ١٢٧٤.

(٤٥) رواه أبو يعلى في المسنده، برقم ١٤٦٩، ٤٢٢٤/٧، مسند أحمد بن علي

الموصللي، الطبعة الأولى، دار المأمون، للتراث ١٤٠٦هـ تحقيق /حسين

سليم أسد، وهو في الصحيحة برقم ٢٤٦٨، قال ابن عبد البر معلول من

أحاديث الشيوخ، انظر التمهيد ١٢٨/١٨

الأول : ما يتعلق بالآخرة، والحياة الأخروية، وما فيها من نجاة من عذاب الله تعالى، و ذلك بمقارنتها بالشقاء، و كتابته على العبد، وأن من كتب عليه الشقاء فهو الشقي، ومن كتبت له السعادة فهو السعيد، وأيضاً من ذكر الجزاء المترتب على ذلك، وهو دخول الجنة كما جاءت بذلك الآية الكريمة من سورة هود.

الثاني : ما يتعلق بالوسائل الدنيوية التي تعين المسلم على السعادة مثل الجار الصالح، والمرأة الصالحة، والمركب الهنيء، والدار الواسعة، والدابة الوطيئة وعند التأمل في ذلك نجد أن ذكر هذه الوسائل الدنيوية المذكورة في الأحاديث النبوية ليس مقصوداً لذاتها بل لما تحققه للمسلم من إعانة على أن يعيش متصلاً بالآخرة وهو في حياته الدنيا، يقول الإمام الطحاوي رحمه الله (... وإذا كان ذلك كذلك للجار على الجار كان توفيته إياه ذلك سعادة للموفي فهذا معنى ما روي في الجار في هذا الحديث، وأما ما روي من سعة المنزل فليكن صاحب المنزل بذلك حامداً لله عز وجل وعارفاً بنعمائه عليه وتفضيله إياه على غيره فيكون من الشكر له عز وجل على ما يكون عليه مثله في ذلك، وأما ما فيه من المركب الهنيء فإن يكون ذلك برفع الشغل عن قلبه ويكون في

ركوبه على أحد وجهين . إما متشاغلا بذكر ربه - عز وجل - وإما غير مشغول القلب بما يؤذيه من مركبه وكل ذلك سعادة ...)^(٤٦) .

ويمكن أن يقال ذلك كذلك في المرأة الصالحة، حيث أن بها يحفظ الزوج نفسه من الوقوع في معصية الله ، ويكون من الحافظين فروجهم، إضافة إلى ما تساهم به المرأة الصالحة من إعانة على الخير واستقرار نفسي يعيش به الزوج مطمئناً مستقراً هادئ البال، مما يعينه على معاشة هموم الحياة بتقبل تام وصبر طويل حتى يفوز ويفلح، أرأيت إلى أم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها كيف أعانت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهدأت من روعه عندما فاجأه الوحي أول مرة، فكان لها في تلك الكلمات البسيطة التي ثبتت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أثراً بالغاً في طمأنته وإعانتته والوقوف معه كما يروي ذلك الإمام البخاري في صحيحه (..... فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة وأخبرها الخبر حتى قال لقد خشيت على نفسي ، قالت كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق ...)^(٤٧)، وكذلك موقف أم

(٢٦) مشكل الآثار للطحاوي (ت ٣١١ هـ) دار صادر بيروت ط الأولى . ٢٣/٤

(٤٧) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان . باب بدء الوحي برقم ٣ ،

سلمة رضي الله عنها بإبداء الرأي السيد للنبي عليه الصلاة والسلام عندما امتنع الناس من امتثال أمره، كما ورد في أحداث صلح الحديبية عندما (.. فرغ رسول الله من قضية الكتاب قال للناس قوموا فانحروا ثم احلقوا فما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحداً حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً غماً) (٤٨).

وبعد التأمل في السياق الذي ذكرت فيه كلمة السعادة في الكتاب والسنة، والاطلاع على بعض ما كتبه علماء الإسلام حول مفهوم السعادة (٤٩)، نستطيع أن نقول إن السعادة شرعاً هي:

غاية ما يطلبه الإنسان من النعيم الدائم في الدنيا، وفي الآخرة، يتمثل في الدنيا: بالشعور النفسي بالرضا والطمأنينة

(٤٨) البداية والنهاية ابن كثير، سياق البخاري لعمرة الحديبية دار الريان

١٤٠٨هـ / ٢ / ١٧٨ والحديث في البخاري برقم ٢٥٢٩

(٤٩) شيخ الإسلام ابن تيمية (في كثير من كتبه) وتلميذه ابن القيم (في مفتاح دار السعادة، وطريق الهجرتين وباب السعادتين وغيرها) والإمام ابن الجوزي (صيد الخاطر وغيره) والماوردي (في كتاب أدب الدنيا والدين) والإمام الغزالي (في إحياء علوم الدين).

عند التوفيق بين تحقيق المصالح الدينية والدينيوية، ويتمثل في الآخرة : بدخول الجنة والفوز برضوان الله تبارك وتعالى .
فهذا التعريف يمكن أن يكون جامعاً وشاملاً وذلك لتضمنه الخصائص الآتية:

أولاً - أن السعادة غاية ما يطلبه الإنسان :

أخرج هذا القيد الغايات التي لا يشترك في طلبها جميع الناس، فإن هناك غايات تكون خاصة بأناس دون غيرهم مثل من غايته أن يكون تاجراً، فليس كل الناس كذلك، ومن غاية مراده أن يكون وزيراً، أو عظيماً ، فليس كل الناس يريدون ذلك، لكن الناس كلهم يشتركون في طلب النعيم بلا شك، والمسلم غاية ما يريد أن يصل إليه هو النعيم الأخروي، ويشهد لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلاة؟ قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال: حولها ندندن^(٥٠) .

وهذا القيد يخرج أيضاً، ما يريده المسلم لفترة زمنية محددة ، أو ما يريده في الدنيا فقط ، كأن يكون هدفاً مرحلياً في فترة من

(٥٠) صحيح الجامع برقم ٣٦١٦٣ ، ورواه ابو داود في كتاب الصلاة ، باب تخفيف الصلاة برقم ٦٧٢ قال النووي إسناده صحيح ، الأذكار برقم ٩٦ .

فترات عمر الإنسان، مثل الزواج للشباب، والاستقرار الوظيفي للموظف، وصلاح الأولاد للأب، وغير ذلك من الأهداف التي لا تعتبر غايات نهائية يراد الوصول إليها .

ثانياً - النعيم الدائم :

هو ما تتنعم به روح الإنسان وتلذذ به ، وهو نعيم الإيمان والعمل الصالح ، ومعرفة الله تعالى في الدنيا ، كما يروى عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قوله (إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة)^(٥١)، وكما قال إبراهيم بن أدهم (إنه لتمر على القلب ساعات يرقص فيه طربا يقول إن كان أصحاب الجنة في مثل ما نحن فيه إنهم لفي عيش طيب) وقوله أيضاً (لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجأ لدونا عليه بالسيوف)^(٥٢). هذا في الدنيا أما في الآخرة فإنه نعيم الجنة ورضوان الله تعالى .

كما يخرج هذا القيد لحظات اللذة والفرح التي قد يعيشها الإنسان لفترة محددة ، والتي لا تلبث أن تزول وتنتهي ، كلذة النكاح ، والاستمتاع بما في الطبيعة من مناظر جميلة، وكالسرور العابر المرتبط بظرف سريع الزوال، مثل سرور العروس ليلة الزفاف، وسرور النجاح والتفوق، والإنجاز، لأي أمر من

(٥١) الوابل الصيب لابن القيم دار ابن حزم الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ص ٧٩

(٥٢) المصدر نفسه ص ٨٠

أمور الحياة ، ومثل اللحظات الجميلة التي يقضيها الأب مع أفراد عائلته في نزهة بحرية على شاطئ البحر، وغير ذلك من اللحظات التي ستنتهي وتزول وتتغير وتبديل، ولا دوام ولا استمرار إلا بما هو كائن في قلب المؤمن من المعرفة بالله تعالى والإيمان به وبما أعده الله تعالى لعباده هناك .

ثالثاً - في الدنيا وفي الآخرة :

أخرج هذا القيد ما يتوهم كونه سعادة في الدنيا فقط بمعزل عن الآخرة ، مثل ما يحدث من النعيم لغير المسلمين ، فإنه لا يسمى سعادة حقيقة لعدم اتصاله بنعيم الآخرة ، بل هو متاع لهم في الدنيا فقط ، كما قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (٥٣) .

كما يخرج أيضاً الشعور بالطمأنينة والرضا الناتج عن مصلحة دنيوية غير مشروعة، فلا تسمى سعادة لعدم توافق هذه المصلحة مع المصالح الشرعية في كسب الحسنات والبعد عن السيئات . وسيتعرض المؤلف في المبحث التالي للتصور الصحيح للسعادة ، الذي خص الله تبارك وتعالى به المؤمنين المقتفين آثار الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

(٥٣) سورة محمد آية ١٢

المبحث الثالث

التصور الصحيح للسعادة

أ - مفهوم التصور :

قبل مناقشة التصور الصحيح للسعادة ، يتعين التعريف بمفهوم التصور وذلك بشئ من الإيجاز على النحو التالي :

١ - التصور هو حصول صورة الشيء في العقل^(٥٤) :

وهو الطريقة التي ترى بها الأشياء على حقيقتها جلية واضحة، ليست الرؤية الحسية بالعين المجردة فقط بل و الرؤية المعنوية أيضاً ، بمعنى الرؤية التي تشمل فهم الأمور وتفسيرها والحكم عليها وربط معانيها ببعضها . والتصور حيال الأشياء يملكه كل أحد ، ولكنه قد يكون باهتاً في بعض الأحيان فلا يرى الإنسان الشئ على صورته الصحيحة ، فكل إنسان يتحرك، ومعه تصور معين لما يريد الوصول إليه تحدده عوامل شتى ، وتصور الإنسان ليس بالشيء الثابت بل هو قابل للنمو، والارتكاس بل وربما التغيير الكامل.

(٥٤) التعريفات للجرجاني، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ

إن التصورات التي نحملها في ذهننا للأشياء تشبه تماماً الخرائط التي نستعملها للوصول إلى موقع معين في مدينة ما، فإن كانت الخريطة صحيحة، كان الوصول للموقع ممكناً سهلاً ميسراً، وإن كانت الخريطة خاطئة، أو لمدينة أخرى غير التي نريد، فعندئذ لا تنفع الأساليب، ولا التقنيات، ولا الاستراتيجيات في إيصالنا إلى الموقع الذي نريد، وعليه أقول إن مفهوم التصور أيضاً أنه: عبارة عن خارطة تستعمل للوصول إلى مكان ما .

٢ - التصور مبدأ الأفعال الإرادية :

كذلك مجموع التصورات يمكن أن تكون متناسقة متجانسة تتجمع، وتتحد لتعطي تصوراً كاملاً موحداً عن الكون والحياة، ويمكن أيضاً أن تكون تصورات مضطربة متناقضة لا يمكن أن تؤلف تصوراً موحداً.

ومن المعلوم - في أمور الحياة - أنه إذا أراد مهندس أن ينشئ بيتاً أو شارعاً أو مدينة فلا بدّ له قبل الشروع في البناء الفعلي من تصوّر واضح لما يريد أن يقوم به، وبقدر دقة هذا التصور وصوابه تكون السرعة والنجاح في العمل، وهكذا في كلّ جوانب الحياة، لا بدّ للعاقل من تصوّر يتحرّك على ضوئه،

فكيف إذا كان هذا الأمر هو تصور يتعلق بغاية ما يريد الإنسان الوصول إليه، وهو (السعادة) .

وقد أشار الإمام ابن القيم^(٥٥) في معرض حديثه عن أهمية التصور الصحيح وخطورة الكذب عليه كمبدأ كل فعل إرادي، حيث قال: "إياك والكذب، فإنه يفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس"، وقوله: "وإذا فسدت عليه - أي الكاذب - قوّة تصوّره وعلمه التي هي مبدأ كل فعل إرادي فسدت عليه تلك الأفعال، وسرى حكم الكذب عليها".^(٥٦) وقال أيضاً: "مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار؛ فإنها توجب التصوّرات، والتصوّرات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي - وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، وجماع ذلك أن تشغل فكرك في باب العلوم والتصوّرات بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقيقته، وفي الموت وما بعده إلى دخول الجنة أو النار، وفي آفات الأعمال وطرق التحرّز منها.. الخ".^(٥٧) وقال أيضاً: "أصل الخير والشر من قبّل التفكّر، فإنّ الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد

(٥٥) الفوائد، ابن القيم، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ص ١٦٨

(٥٦) المرجع السابق ص ١٦٨

(٧٥) المصدر نفسه ص ٢١٥

والترك والحُبِّ والبغض".^(٥٨) ولا يخفى أن الفكر والتفكير والأفكار كلها تشير إلى الطريقة التي نرى بها الأشياء، أو الفكرة التي نكوّنُها عن الأشياء ونفهمها بها ونتحرّك من خلالها وهو مفهوم التصور .

٣- التصور والشخصية :

سبق القول بأن التصور ينتج أفعالاً، والأفعال تتكرّر لتصبح عادات (خصالاً)، والعادات (الخصال) تتوالى لنتج شخصية، والشخصيات تتجمّع لتولّد توجهاً، وكما قال الإمام ابن القيم: " مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار؛ فإنها توجب التصوّرات، والتصوّرات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة"^(٥٩)، فتصور المسلم لحقيقة السعادة كما ذكرنا تجعل منه شخصية سعيدة، أمله بعيد، ورؤاه منبثقة من مبادئ ثابتة لا تتغير، شخصية تنعم بالسمو، وتشعر بالارتقاء، وتأمل في جوار النبين والصدّيقين والشهداء. إن إدراك المسلم لهذا التصور الإسلامي، هو الذي يكفل له أن يكون عنصراً صالحاً

(٥٨) نفسه ص ٢٤١

(٥٩) نفسه ص ٤١

في بناء هذه الأمة ، ذات الطابع الخاص المتفرد المتميز، وعنصراً قادراً على القيادة والإنقاذ .

٤ - أهمية التصور الإسلامي :

إن التصور الصحيح عند المسلم فيما يخص حياته الدنيا والآخرة هو التصور الذي يرتبط بالمبادئ الأساسية الثابتة التي تنطلق من نصوص الوحي ومن منطلق العقيدة الصحيحة التي يعتقدها في هذا الحياة ولا يمكن أن يمسه تغيير أو تبديل، والتي هي قوانين ربانية مجربة تحكم نمو وسعادة الإنسان، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾^(٦٠)، فهذه الآية تعني أن الأبرار دائماً في نعيم، وتعني في تصور المسلم أنه متى وجد البر وجد النعيم، ولذلك أتت كلمة (نعيم) نكرة فهي تعم كل نعيم في الدنيا والآخرة، قال ابن سعدي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: (المراد بالأبرار، هم القائمون بحقوق الله، وحقوق عباده، الملازمون للبر، في أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم، النعيم في القلب، والروح والبدن، في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار)^(٦١) يقول سيد قطب رحمه الله (ومفرق الطريق بين

(٦٠) سورة الانفطار آية ١٣

(٦١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان دار عالم الكتب الطبعة

الثانية ٤١٤هـ/٢٧٢

التصور الفلسفي والتصور الاعتقادي أن التصور الفلسفي ينشأ في الفكر البشري، لمحاولة تفسير الوجود وعلاقة الإنسان به، ولكنه يبقى في حدود المعرفة الفكرية الباردة، وأما التصور الاعتقادي - في عمومه - فهو تصور ينبثق في الضمير، ويتفاعل مع المشاعر، ويتلبس بالحياة، فهو وشيجة حية، بين الإنسان والوجود، أو بين الإنسان وخالق الوجود، ثم يتميز التصور الإسلامي بعد ذلك، عن التصور الفلسفي بأنه تصور رباني، صادر من الله للإنسان، وليس من صنع الإنسان، تتلقاه الكينونة الإنسانية بجملتها من بارئها، وليست الكينونة الإنسانية هي التي تنشئه، كما تنشئ التصور الوثني أو التصور الفلسفي، وعمل الإنسان فيه هو تلقيه، وإدراكه، والتكيف به، وتطبيق مقتضياته، في الحياة البشرية)^(٦٢).

ب - التصور الصحيح للسعادة عند المسلم :

للحديث عن التصور الحقيقي لسعادة الإنسان، من منظور الدين الإسلامي، أرى أن أبدأ بإيضاح شيخ الإسلام ابن تيمية له وذلك بقوله، رحمه الله :

(٦٢) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب دار إحياء الكتب العربية الطبعة الثانية ١٩٦٥م ص ٥٠ وانظر أيضاً، ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسى إبراهيم، دار عمار، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ. ص ٢٩

إن العبد بل كل حي بل وكل مخلوق هو فقير محتاج إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، والمنفعة للحي هي من جنس النعيم واللذة، والمضرة هي من جنس الألم والعذاب). فلا بد لكل عبد من أربعة أمور :

- ١ (المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع ويتلذذ به .
- ٢ (المعين الموصل المحصل لذلك المقصود .
- ٣ (المكروه المبغض مطلوب العدم .
- ٤ (الوسيلة إلى دفع ذلك المكروه .

فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد بل ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه وسعادته إلا بها .^(٦٣)

هذا العبارات الرائعة من شيخ الإسلام رحمه الله تلخص في مجملها كل ما يريده الإنسان و يصبو إليه، وكذلك كل ما لا يريده ويرغب في الفرار منه في مسيرته في هذه الحياة، وأيضاً تبين أن لكل منهما وسائل توصل إليها، فالصلاح والسعادة والشقاء والخسارة تعتمد على وضوح هذا المعنى والإيمان به بل ورسوخه في تصور المؤمن ووضوحه وضوحاً تاماً لا يخالطه أدنى شك .

وللسعادة الحقيقية المرتبطة بهذا التصور وجهان :

(٦٣) فتاوى ابن تيمية ١ / ٢٦

الوجه الأول:

أن الله تعالى هو الذي يحب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب، وهو المعين على المطلوب، وما سواه هو المكروه، وهو سبحانه المعين على دفع المكروه، فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٦٤). وتمام العبودية يتضمن أصليين عظيمين:

- (١) الأصل الأول هو: المقصود المطلوب على أكمل الوجوه.
- (٢) الأصل الثاني هو: المستعان وهو الذي يستعان به على المطلوب.

فالأول من معنى الألوهية، والثاني من معنى الربوبية، إذ الإله هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالا وإكراما، والرب هو الذي يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها، وكذلك قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٦٥) وقوله ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^(٦٦)، وقوله: ﴿عَلَيْكَ

(٦٤) سورة الفاتحة آية ٥

(٦٥) سورة هود آية ٨٨

(٦٦) سورة هود آية ١٢٢

تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ^(٦٧) وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾^(٦٨) وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ﴾^(٦٩) وقوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾^{(٧٠) (٧١)}

الوجه الثاني :

أن الله خلق الخلق، لعبادته الجامعة لمعرفته، والإنابة إليه، ومحبته والإخلاص له، فبذكرة تطمئن قلوبهم، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم، ولا شيء يعطيهم في الآخرة أحب إليهم من النظر إليه، ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به . فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم ، وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولا صلاح لهم ، ولا فلاح، ولا نعيم، ولا لذة بدون ذلك بحال، بل من أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى، ولهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ولهذا كانت لا

(٦٧) سورة الممتحنة آية ٤

(٦٨) سورة الفرقان آية ٥٨

(٦٩) سورة الرعد آية ٣٠

(٧٠) سورة المزمل آية ٩، ٨

(٧١) انظر الإيمان والحياة ص ١٠٥

إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقول لا إله إلا الله رأس الأمر.

وكما يروى في الأثر (يا ابن آدم خلقت كل شيء لك وخلقتك لي فبحقى عليك أن لا تشتغل بما خلقتك لك عما خلقتك له) (٧٢).

وحق الله على عباده أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ رضي الله عنه عن النبي أنه قال: أتدرى ما حق الله على عباده؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده، أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً. أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم قال حقهم أن لا يعذبهم. (٧٣) وهو يحب ذلك ويرضى به ويرضى عن أهله ويفرح بتوبة من عاد إليه كما أن في ذلك لذة العبد وسعادته ونعيمه.

فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه، ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه، إلا الله سبحانه، ومن عبد غير الله، وإن

(٧٢) انظر فتاوى ابن تيمية ٢١/١، ومختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة مكتبة الشباب المسلم، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ ص ٣٨٣.

(٧٩) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، حديث رقم ٤٥.

أحبه ، وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة ، فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم .
 ثم إن فقر العبد إلى الله، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ليس له نظير فيقاس به، لكن يشبه من بعض الوجوه، حاجة الجسد إلى الطعام، والشراب، وبينهما فروق كثيرة، فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهى لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهى كادحة إليه كدحا فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذات، أو سرور بغير الله، فلا يدوم ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت، وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به ، والتذ به غير منعم له، ولا ملتذ له بل قد يؤذيه اتصاله به ، ووجوده عنده ، ويضره ذلك، وأما إلهه فلا بد له منه في كل حال، وفي كل وقت وأينما كان فهو معه ولهذا قال إمامنا إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم: "لا أحب

الآفلين" (٧٤) ولهذا كان أعظم آية في القرآن الكريم "الله لا اله إلا هو الحى القيوم" (٧٥).

ثم إن خلق الخلق لهذه الغاية العظيمة وهي عبودية الله عز وجل والإيمان به سبحانه وتعالى مبني على أصلين عظيمين :

الأول : أن نفس الإيمان بالله ، وعبادته ومحبته وإجلاله ، هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه ، كما عليه أهل الإيمان ، وكما دل عليه القرآن ، فإنه وإن كان في الأعمال الصالحة ما هو على خلاف هوى النفس ، والله سبحانه يأجر العبد على الأعمال المأمور بها مع المشقة ، كما قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾ (٧٦) الآية ، وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها : (أجرك على قدر نصبك) (٧٧) فليس ذلك هو المقصود الأول بالأمر الشرعي ، ولهذا لم يجئ في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح أنه تكليف وإنما جاء ذكر التكليف في موضع النفي كقوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٧٨) ، ﴿لَا تُكَلِّفُ

(٧٤) سورة الأنعام آية ٧٦

(٧٥) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٧٦) سورة التوبة آية ١٢٠

(٧٧) رواه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز

إفراد الحج برقم ٢١٢٠

(٧٨) سورة البقرة آية ٢٨٦

إِلَّا نَفْسَكَ»^(٧٩)، «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا»^(٨٠) أي وإن وقع في الأمر تكليف فلا يكلف إلا قدر الوسع لأنه يسمى جميع الشريعة تكليفاً مع أن غالبها قرة العيون، وسرور، القلوب، ولذات الأرواح، وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله، والإنابة إليه، وذكره، وتوجه الوجه إليه فهو الإله الحق الذي تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أبداً، قال الله تعالى: «فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا»^(٨١).

الثاني: أن النعيم في الدار الآخرة هو النظر إليه بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق سبحانه وتعالى، كما في الدعاء المأثور (اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضره ولا فتنة مضلة)^(٨٢). وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة نادي مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو ألم يبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه سبحانه، فما أعطاهم شيئا أحب إليهم

(٧٩) سورة النساء آية ٨٤

(٨٠) سورة الطلاق آية ٧

(٨١) سورة مريم آية ٦٥

(٨٢) رواه النسائي كتاب الصلاة، باب السهو برقم ١٢٨٨ الحديث من رواية

عمار بن ياسر، قال الألباني إسناده جيد، الأحاد برقم ٢٢.

من النظر إليه، وهو الزيادة)^(٨٣)، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم الله في الجنة لم يعطهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وإنما يكون أحب إليهم لأن تنعمهم وتلذذهم به أعظم من التنعم والتلذذ بغيره، فإن اللذة تتبع الشعور بالمحبوب فكلما كان الشيء أحب إلى الإنسان كان حصوله أذله، وتنعمه به أعظم.^(٨٤)

وأما ما يتعلق بتصوير السعادة الدنيوية عند المسلم فإنها هي الحياة الطيبة التي يحياها المؤمن في الدنيا كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٨٥).

قال ابن كثير في تفسيره: (هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة والحياة الطيبة تشتمل وجوه الراحة من أي جهة كانت... وعن ابن عباس أنها هي السعادة.)^(٨٦)

(٨٣) رواه الترمذي في السنن كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب

بارك وتعالى، رقم ٢٤٧٥ وصححه شيخ الإسلام انظر الفتاوى ٦ / ٤٩٩

(٨٤) انظر الفتاوى لشيخ الإسلام بن تيمية ١ / ٢٦

(٨٥) سورة النحل آية ٩٧

(٨٦) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٦٠١

وقال القرطبي في تفسيره : " وفي الحياة الطيبة خمسة أقوال :
 (الأول) أنها الرزق الحلال. (الثاني) القناعة؛. (الثالث)
 توفيقه إلى الطاعات فإنها تؤديه إلى رضوان الله؛. (الرابع) هي
 الجنة، (الخامس) هي السعادة .

وقيل هي حلاوة الطاعة. وقيل أن ينزع عن العبد تدبيره
 ويرد تدبيره إلى الحق. وقيل هي المعرفة بالله، وصدق المقام بين
 يدي الله. وقيل: الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق.
 وقيل: الرضا بالقضاء. (٨٧)

هذه هي الحياة التي يجب أن يحيها المسلم ، الذي يعيش
 في هذا العصر المتوتر الذي بعدت فيه البشرية عن المنهج الإلهي
 وأصبح طغيان المادة الأرضية هو الذي يسيطر على أفكار
 البشر، فليس هناك ما يعين المسلم على معايشة هذا الزمان
 والسعادة فيه إلا اتباع الصراط المستقيم ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (٨٨) .

وإن إدراك المسلم لهذا التصور الإسلامي ، هو الذي
 يكفل له أن يكون عنصراً صالحاً في بناء هذه الأمة، ذات

(٨٧) الجامع لأحكام القرآن دار الحديث . القاهرة ١٠ / ١٨٢

(٨٨) سورة الشورى آية ٥٢

الطابع الخاص المتفرد المتميز، وعنصراً قادراً على القيادة والإنقاذ والسعادة والإسعاد.^(٨٩)

إن من يعيش الحياة بهذا التصور يصدق عليه أنه قد دخل جنة الدنيا ، وشهداها كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً عظم ذلك (فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها . وكان بعض العارفين يقول : " لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ، وقال آخر مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل وما أطيب ما فيها؟ قال محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا ، وقال آخر إنه لتمر على القلب ساعات يرقص فيها طرباً يقول إن كان أصحاب الجنة في مثل ما نحن فيه إنهم لفي عيش طيب " .

فمحبة الله تعالى ، ومعرفته ، ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب ، والخوف، والرجاء، والتوكل والمعاملة، بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد، وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا ، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين ، وحياة العارفين)^(٩٠).

(٨٩) انظر منهج الإسلام في تزكية النفوس، أنس كرزون، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ ص ٥٩٢

(٩٠) الوايل الصيب ص ٨٠ ، مرجع سابق .

والخلاصة :

يتضح لنا من خلال هذا المبحث أن السعادة الحقيقية، للمؤمن إنما تكون بامتثاله لما أمره الله به والقيام بما خلق له، وأن النعيم كل النعيم إنما يكون بذلك ، وهو القيام بالعبودية الكاملة لله رب العلمين ، لأن نفس العبودية سعادة ونعيم، لتوافقها مع الفطرة السوية التي فطر الناس عليها ، والذي يقوم بهذه العبودية يشعر بالتوافق التام مع الكون كله، بأفلاكه ومجراته بجماداته وأحيائه ونباتاته ، بجزيئاته وعناصره وذراته ، فكل الكون يسجد لله وكل المخلوقات تسبح الله، وكل الكون ذليل عابد خاضع لله ، كما أخبر الله عن ذلك بقوله : ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا غَفُورًا﴾^(٩١) وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٩٢) ، وقوله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾^(٩٣) ، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

(٩١) سورة الإسراء آية ٤٤

(٩٢) سورة الجمعة آية ١

(٩٣) سورة الحج آية ١٨

مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٤٤﴾ وأيضاً لأن الله تعالى أعد للمؤمن في
الآخرة ما هو أنعم له وأسعد، ألا وهو دخول الجنة والتنعم
فيها بأعظم نعيم وأتم سعادة وهو رضوان الله تعالى ورؤية
المعبود سبحانه وتعالى والتلذذ بالنظر إليه .

وأما في الحياة الدنيا فإنها الحياة الطيبة، الهنيئة التي يعيشها
المؤمن المتصل بعبودية ربه عز وجل، الذي يدرك معنى قوله
تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤٥)، والذي
يمثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي
السَّلَامِ كَافَّةً﴾^(٤٦)، ويمثل قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي
وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤٧) ويعلم أن كل شيء في حياة
الإنسان على هذه الأرض على المستوى الاجتماعي أو الفردي
يجب أن يكون معبراً عن العبودية لله سبحانه وتعالى، وهذا
يعني توحيده وإخلاص العبادة له وعدم الإشراك به، ويعني
صياغة التوجهات وممارسة السلوكيات حسب الشريعة
الإلهية، ويعني كذلك بناء السياسات والنظم والقوانين

(٤٤) سورة النحل آية ٤٩ - ٥٠ .

(٤٥) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٤٦) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

(٤٧) سورة الأنعام آية ١٦٢ .

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمهنية في ضوء المبادئ والتوجيهات والأوامر الربانية. ^(٩٨)

عندها يعيش الإنسان مطمئن النفس هادئ البال مهما احتوته الظروف والأحوال، يعيش موقفاً بين مصالح دينه ومصالح دنياه وحينئذ يشعر بالرضا التام عن كل ما يقوم به من عمل وذلك هو حقيقة السعادة، وله في سلف هذه الأمة الأسوة الحسنة فقد عاشوا سعداء وماتوا سعداء، مع ما ينتظرهم من نعيم مقيم وسعادة أبدية في دار الخلود.

(٩٨) انظر المرشد للسعادة والنجاح، د. القعيد، دار المعرفة للتنمية البشرية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ص ١٨

المبحث الرابع

الفرق بين السعادة والنجاح

مقدمة :

عندما تذكر كلمة السعادة غالباً ما تكون مرتبطة بكلمة النجاح في كثير من الكتابات المعاصرة، مما أدى إلى ضعف التفريق بينهما أحياناً، ومما قد يؤدي أيضاً إلى حصر مفهوم السعادة في النجاح عند المسلم المعاصر، وهذا الأمر له تأثير كبير على مستوى الهوية الذاتية للفرد المسلم، وعلى قناعاته المنبثقة من خصائص العقيدة الإسلامية، والتصور الصحيح لحقيقة الحياة .

ويرجع سبب ذلك إلى جملة أسباب، منها أن من تصدر الآن لقيادة العالم والتأثير فيه في مختلف النواحي والاتجاهات، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغيرها هو من لا يفقه شيئاً عن السعادة الحقيقية بمفهومها الإسلامي - أعني القيادات العلمانية الغربية - كما أخبر الله تعالى في كتابه الكريم : **﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾**^(١) فأصبح اليوم للمسلم استيراداً بدون تصدير، ليس فقط للمنتجات المادية والمستهلكات الغذائية، والآلات

(٩٩) سورة الروم آية ٧

الصناعية، والأجهزة التقنية، بل حتى لكيفية التفكير، وكيفية التخطيط، وطريقة التعامل مع الآخرين، وكيفية جذب الاهتمام للتأثير، وكيفية النجاح حتى في الحياة! وغير ذلك مما قد يؤثر مستقبلاً على المفاهيم الفكرية الثابتة عند المسلم .

ولا يفهم من هذا رفض كل ما يأتي من الغرب، من العلوم الحديثة، لكن يعني الحذر والانتباه من التأثير الخفي الذي يصاحب ذلك لا سيما في عصر الانهزامية العامة التي يعيشها بعض المسلمين في هذا العصر.

ومنها كذلك هذا السيل الجارف من الاتجاهات المادية الحديثة في الحياة الاجتماعية المعاصرة، في كافة المجالات، وتقديس النظرة إلى المال عند كثير من الناس، حتى أصبح تقييم الإنسان ليس بما يحمل من مبادئ وقيم ولكن بماذا عنده من المادة، ولعل هذا العصر هو العصر المشار إليه في قول النبي عليه الصلاة والسلام: (إن من أشراط الساعة أن يفسد المال ويكثر، وتفسد التجارة)^(١٠٠)، فكثرة المال (المادة) أدى إلى التنافس الشديد عليها وإلى جري الناس في البحث عنها، حتى ظنوا أن الفوز بها هو السعادة .

(١٠٠) رواد النسائي في السنن، كتاب البيوع، باب التجارة برقم ٤٢٨٠ وهو في السلسلة الصحيحة للألباني من رواية عمرو بن تغلب برقم ٢٧٦٧ .

أ - تعريف النجاح :

في اللغة :

جاء في تاج العروس عند مادة (ن، ج، ح) النجاح، بالفتح، والنجح بالضم الظفر بالشئ والفوز^(١٠١).

و في مختار الصحاح (النُّجْحُ بوزن النُّصْحِ والنَّجَاحُ بالفتح الظَّفْر بالحوائج و أَنْجَحَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُنْجَحٌ صَارَ إِذَا نُجِحَ وَمَا أَفْلَحَ وَلَا أَنْجَحَ وَلَا أَنْجَحَ الْحَاجَةَ قَضَاهَا وَنَجَحَتِ الْحَاجَةُ أَي قُضِيَتْ وَنَجَحَ أَمْرُهُ سَهْلٌ وَتَيْسِرٌ)^(١٠٢). فيظهر من دلالة اللفظ اللغوي، أن النجاح فيه معنى الحصول على الشيء والفوز به أو تجاوزه إلى غيره، وذلك من خلال ألفاظ (الظفر، قضاها، سهل أمره).

أما في الشرع فلم ترد كلمة (النجاح) في الكتاب ولا في الصحيحين، وإنما ورد لفظ النجاح في الدعاء بطلب خير النجاح - وهذا يعني أن النجاح ليس خيراً كله - في حديث أخرجه الحاكم في المستدرک بلفظ ((اللهم إني أسألك خير

(١٠١) تاج العروس، محمد مرتضي، الطبعة ١٣٨٩، تحقيق عبدالسلام هارون. ١٤٧/٧

(١٠٢) مختار الصحاح مرجع سابق ص ١٦٥ .

المسألة وخير الدعاء وخير النجاح))^(١٠٣) وورد أيضاً ما هو من معاني النجاح مثل الفوز والفلاح والنجاة.^(١٠٤)

في الاصطلاح :

النجاح : تحقيق انجازات محددة ، دينية كانت أو دنيوية، يرى أثرها واضحا في حياة الإنسان، على المستوى الشخصي، والأسري ، وعلى المستوى الاجتماعي ، والوظيفي، أو المهني^(١٠٥) .

والنجاح هو كفاح الشخصية الإنسانية، وتعاملها الفعال مع معطيات الزمان والمكان، في ضوء القدرات والإمكانات المتاحة. ويعني كذلك التعود على الحياة بطريقة معينة، ومواجهة المشكلات بطريقة فاعلة، والتعود على معاملة الناس بطريقة متميزة والتعود على التعامل مع الوقت بطريقة محددة، والتعود على ممارسة المهنة أو العمل والوظيفة باحتراف وانضباط، وطريقة مدروسة. فالنجاح عبارة عن مجموعة من العادات، وبقدر ما يبني الإنسان هذه العادات ويطورها في

(١٠٣) رواه الحاكم (١ / ١٩١١)

(١٠٤) وإن كان قد ورد من اشتقاقات الكلمة (أنجح) كما في حديث (تربوا صحفكم فإنه أنجح لها) رواه النسائي برقم ٤٦١ ، وأيضاً في حديث (قد أفلح وأنجح) رواه ابن ماجه برقم ٢٧٦٤ .

(١٠٥) دليلك إلى السعادة والنجاح د. إبراهيم القعيد ص١٧ ، دار المعرفة للتنمية البشرية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ

شخصيته، ويستثمرها في عمله، وفي حياته الخاصة، يكون نجاحه وتحديد مكانته الاجتماعية ومستواه الوظيفي ودرجة احترافه.^(١٠٦)

فمن خلال هذا العرض لرؤية النجاح، ومقارنته بمفهوم (السعادة)، نجد أن السعادة بيئة ملائمة لتحقيق النجاح في الحياة، كما أن السعيد أميل الناس إلى تحقيق النجاح، ولكن الناجح في أمور الدنيا ليس بالضرورة أن يكون سعيداً، بل قد يكون النجاح في مثل هذه الحالة وبالأعلى صاحبه.

وأيضاً السعادة مشاعر مرتبطة بالسعي من أجل النعيم الدنيوي الذي يوصل إلى النعيم الأخروي، بينما النجاح قد يكون مرتبطاً بما هو في الدنيا فقط.

ب - قصور النظرية الغربية عن تحقيق السعادة والنجاح :

(وعند النظر فيما يطرح في أوساط البيئة الغربية المعاصرة، في تحقيق السعادة والنجاح، والخلط بينهما، وتلهف من يظن أنها يمكن أن تقدم سعادة، وفاقد الشيء لا يعطيه، فلا يمكن أن تفلح البشرية اليوم في سعادتها ونجاحها المطلق، بما هو بعيد كل البعد مفهوم عن السعادة والنجاح، بل الواقع

(١٠٦) المصدر نفسه ١٧ .

المعاصر يشهد بالآثار المدمرة الناتجة عن^(١٠٧) الحضارة الغربية التي بنت نجاحها على تحطيم الآخرين، وشل كل مقومات التفكير الصحيح، ويظهر ذلك في صور بشعة، من صور الإخلال بأدنى قيمة للإنسانية عند أولئك القوم، ويعايش المسلم في هذا العصر مشاهد من القتل والإبادة والاحتلال، ومصادرة الحريات، والتغطرس الغربي الفاضح، ولذلك فقد ضل كل من حاول أن يبحث عن الهدى في غير ما جاء عن الله تعالى، كما جاءت الإشارة إلى ذلك في الحديث عن القرآن الكريم (من ابتغى الهدى في غيره أضله الله)^(١٠٨)، فالذي يريد النجاح في غير هدى الله تعالى سواء النجاح الدنيوي، أم النجاح الأخروي فإن النتيجة الحتمية لذلك هي الضلال والشقاء، الضلال الدنيوي، والشقاء الأبدي كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^(١٠٩).

(١٠٧) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ص ١٩٤.

(١٠٨) رواه الترمذي في السنن، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضائل القرآن، برقم ٢٨٣١، فيه شعيب بن صفوان لا يتابع عليه انظر ذخيرة الحفاظ، ابن القيسراني، ١٣٤٨/٣.

(١٠٩) سورة طه آية ١٢٤

يقول أحد الفلاسفة الغربيين المعاصرين - وأحد المشهورين في مجال النجاح - (ستيفن كوفي)، معترفاً بوجود خلل أساسي في تعامل الغرب مع النجاح في الحياة :

(إن تحليلي لما كتب خلال الخمسين سنة الماضية في العالم الغربي يوحي بأن أغلب ما كتب تشوبه السطحية ، ويقدم وصفات مهدئة سهلة جاهزة للتعامل مع مشكلات ضخمة، وهذا لا يساهم في حل هذه المشكلات إلا بصفة مؤقتة، والنتيجة أن هذه المعضلات تعود مرة أخرى لتظهر على السطح) (١١٠) وقد تحول الاتجاه بعد الحرب العالمية الأولى كما يقول كوفي: (من التركيز على الجوانب الأخلاقية في الشخصية مثل الالتزام والشجاعة والاستقامة والصبر والعدل والتواضع، إلى جوانب الفاعلية الشخصية بمعزل عن الأخلاق، وخرجت الكتب والمراكز المتخصصة، والدورات التدريبية، والمدارس الفكرية، التي تبشر بهذا الفكر الجديد، وتبحث في تطوير أساليب واستراتيجيات ، الفعالية الشخصية مثل " التركيز على العلاقات " ، "مواقفك واتجاهاتك" ، "الابتسام يكسبك الأصدقاء أكثر" ، "كل ما يمكن تصوره

(١١٠) العادات السبع لاستيفن كوفي ، الطبعة (١٩٨٩م) الإنجليزية، ص ١٨

يمكن تحقيقه"، واتجه الأمر إلى تشجيع مهارات وأساليب واتجاهات استغلالية خادعة، مثل استعمال أساليب معيننا لتحبيب الناس إليك، وممارسة هوايات تجذب إعجاب الآخرين، الاهتمام بالزى والمظهر للتأثير في الناس.....".^(١١١) وهذا الأمر هو نتيجة طبيعية للنهج العلماني "اللاديني" الذي يعتني بالحياة الدنيا ومباهجها وتيسيراتها وتحقيق شهوات الجسد المادية، ورفاهيته على حساب الروح والأخلاق، والمثل العليا حيث تقوم العلاقات بين الأفراد والمجتمعات على أساس نظرية المنفعة والذرائع^(١١٢)، أما الدين والأخلاق فلا دخل لهما في شؤون الحياة وإدارة أنشطتها. وبالتالي فقدت هذه الحضارة المعاصرة أن تقدم سعادة ونجاح حقيقيين. ذلك أن الأوربي العادي، سواء كان ديمقراطياً، أو فاشياً رأسمالياً، أم بلشفيماً صانعاً أم مفكراً يعرف ديناً إيجابياً واحداً هو التعبد للرقمي المادي، أي الاعتقاد بأن ليس في الحياة

(١١١) المصدر السابق .

(١١٢) تسمى (البراجماتزم)، انظر الإنسان الصالح وتربيته من منظور إسلامي د. علي خميس، دار طبية الخضراء الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ. ص ٥٩ وبالبراجماتية مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيم عواقبها عملاً، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية م كونها مقيدة ، والبراجماتي: كل ما يهدف إلى النجاح أو إلى منفعة خاصة

هدف آخر سوى جعل هذه الحياة نفسها أيسر فأيسر، أو كما يقول التعبير الدارج (عندهم) طليقة من ظلم الطبيعة . إن هياكل هذه الديانة إنما هي المصانع العظيمة، ودور السينما، والمختبرات الكيميائية، وباحات الرقص، وأماكن توليد الكهرباء، وأما كهنة هذه الديانة : فهم الصيارفة، والمهندسون، وكواكب السينما، وقادة الصناعات، وأبطال الطيران^(١١٣) .

ج - خصوصية النجاح والسعادة عند المسلم المعاصر :

يتساءل المؤلف هل يراد للمسلم الذي يعيش هذه الثورة البركانية من العلوم والتقنيات الحديثة أن يكون حاله كحال ذلك الأوربي الذي تمرد على الدين بحثاً عن النجاح فأصبح يعيش بلا أخلاق، بل بلا قيم، بل بلا مبادئ؟ فلم يعد للدين الذي هو مصدر الأخلاق، مكانة وقيمة، ولا اعتبار في السلوك والأخلاق، بل حلت الرغبات، والشهوات، والمصالح الذاتية، محل الآداب، والأخلاق، وظهرت نظريات تدعو إلى نسبية الأخلاق، وتغيرها من زمان إلى زمان، ومكان إلى مكان، وأنه لا مبادئ أخلاقية مطلقة، حتى أصبح من

(١١٣) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، دار العلم للملايين . الطبعة السادسة ١٩٦٥م ص٤٧، ٤٨ .

مبادئ العلاقات الدولية المعاصرة "علاقات مصالح لا مبادئ" ونتج عن ذلك كله تفكك أسري، وعقوق للوالدين، والأقارب، وفوضى في العلاقات الجنسية، وعزوف عن الزواج وتكوين الأسرة، وكثر اللقطاء وأولاد الزنا، رغم انتشار موانع الحمل، وكثرت عمليات الإجهاض المبكرة.^(١١٤)

أهذه هي صورة النجاح المزعومة التي يجري وراءها عالم اليوم ؟

أم أنها صورة الخسران المبين، الذي كتبه الله تعالى على جميع الناس واستثنى منهم المؤمنين العاملين للصالحات المتواصين بالحق والمتواصين بالصبر كما أخبر سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾^(١١٥)، يقول سيد قطب رحمه الله: (الحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة هي هذه: إنه على امتداد الزمان في جميع الأعصار، وامتداد الإنسان في جميع الأدهار، ليس هناك إلا منهج واحد رابع (ناجح) وطريق واحد ناجح، هو ذلك المنهج الذي ترسم

(١١٤) المدخل إلى علم التاريخ د. محمد صامل السلمي، دار الوطن للنشر الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ص ١٣٥.
(١١٥) سورة العصر الآيات (٣-١)

السورة حدوده ، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معاملة ، وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار. (١١٦)

ولا يخفى أن للمسلم المعاصر خصوصيته الثقافية والفكرية، التي يجب عليه المحافظة عليها حتى لا يستهويه الشيطان فيكون من الغاوين، الذين حرموا السعادة وكتب عليهم الشقاء الأبدي والخسارة الأبدية، كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (١١٧).

أما النجاح المادي وهو ما تركز عليه الحضارة الغربية المعاصرة (١١٨) فإنه لم يكن في يوم من الأيام هو السعادة المنشودة، وليس هو غاية في حد ذاته أبداً، بل تجد أن من كان علمه فقط في نجاحات الدنيا وصفه الله تعالى بعدم العلم كما قال تعالى ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (١١٩).

(١١٦) في ظلال القرآن لسيد قطب دار الشروق، ١٤٠٠هـ/٦/٣٩٦٤

(١١٧) سورة الشورى آية ٤٥

(١١٨) انظر ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٤٢، مرجع سابق.

(١١٩) سورة الروم آية ٦-٧.

وهنا يسأل المؤلف، هل المسلم محتاج إلى تتبع الحضارة المعاصرة فيما يخص الأخلاق والقيم بدعوى النجاح والسعادة؟ أم أنه يملك من الأسباب التي توصله إلى السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة ما يجعله مستقلاً، بقيمه ومبادئه، مع الاستفادة من كل ما هو مفيد من الثقافة الغربية من آليات، وتقنيات، لا تخرجه عن خصوصيته الفكرية والثقافية الرائدة .

إن المسلم عنده بلا شك منهج متكامل لنظام الحياة، يرشده إلى سلوك طرق النجاح والسعادة، والأخذ بأسبابها، ويشعره بالتوافق التام بين متطلبات الروح والجسد، ويلبي له كل احتياجاته، النفسية والاجتماعية التي يريدتها .

الفصل الثاني

أسباب السعادة في الإسلام

■ المبحث الأول: الإيمان

■ المبحث الثاني: العمل الصالح

■ المبحث الثالث: الدعوة إلى الله

■ المبحث الرابع: حسن الخلق

تمهيد :

قبل الحديث عن أسباب السعادة أو تفصيلها، يستحسن إعطاء فكرة مبسطة عن معنى السبب، وأهميته، وذلك على النحو الآتي :

السبب في اللغة كل شيء يتوصل به إلى غيره^(١٢٠)، وبهذا المعنى اللغوي ورد في قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتَّبَعَ سَبَبًا﴾^(١٢١) والمعنى آتاه الله من كل شيء ذريعة ومعرفة يتوصل بها فاتبع واحداً من تلك الأسباب . وقال الزمخشري : السبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة^(١٢٢). فالمنظور كون الشيء سبباً هو كونه موصلاً إلى غيره سواء كان هذا الشيء مادياً أم كان معنوياً كالعلم والقدرة^(١٢٣).

وقد دل القرآن الكريم على أن لكل شيء سبباً سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجمادات أو النباتات، أو بالحيوان أو

(١٢٠) لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد (ت ٧١١هـ) ط ١٣٨٨ دار

صادر ودار بيروت ٤٣/١

(١٢١) سورة الكهف آية ٨٥، ٨٤

(١٢٢) تفسير الزمخشري دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة ١٤١٥هـ ،

وانظر أيضاً تهذيب مدارج السالكين ١٠١٤/٢ مؤسسة الرسالة الطبعة

الرابعة ١٤١٢هـ. ٧١٥ / ٢

(١٢٣) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية،

الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ

ص ٢١

بالإنسان، أو بالأجرام السماوية أو الظواهر الكونية، فقانون السببية وربط الأسباب بالمسببات، والتتائج بمقدماتها، عام شامل لكل ما في العالم ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا وفي الآخرة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (فليس في الدنيا ولا في الآخرة شئ إلا بسبب ، والله خالق الأسباب والمسببات)^(١٢٤)، فمن الأسباب المادية قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾^(١٢٥)، ومن الأسباب المعنوية: ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾^(١٢٦).

وكذلك - مجال البحث - السعادة وسببها ، يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١٢٧)، والقرآن الكريم كما يقول ابن القيم^(١٢٨) مملوء من ترتيب الأحكام الكونية والشرعية والثواب والعقاب على الأسباب بطرق متنوعة ، فيأتي بباء السببية تارة ، كقوله تعالى : ﴿ كُلُّوا

(١٢٤) فتاوى ابن تيمية ١/ ٧٠

(١٢٥) سورة البقرة آية ٢٢

(١٢٦) سورة الأنفال آية ٤٠

(١٢٧) سورة النحل آية ٩٧

(١٢٨) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ١٠١٥ الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ

مؤسسة الرسالة.

وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ^(١٢٩)، وتارة يأتي باللام كقوله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾^(١٣٠) ويأتي بذكر الوصف المقتضي للحكم تارة كقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(١٣١)، فالله تعالى اقتضت حكمته ربط النتائج بأسبابها.^(١٣٢)

وفي هذا الفصل سيقوم المؤلف بذكر الأسباب الدينية، التي توصل إلى السعادة بمفهومها الإسلامي، والتي هي الأسباب الأساسية الضابطة لمفهوم السعادة عند المسلم التي حدد المولى تبارك وتعالى أركانها في سورة العصر، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق (الذي هو الدعوة إلى الدين الحق)، والتواصي بالصبر (والذي هو من أبرز الأخلاق الإسلامية التي تحقق للمسلم سعادته ونجاحه) وذلك على النحو الآتي:

(١٢٩) سورة الحاقة آية ٢٤

(١٣٠) سورة إبراهيم آية ١

(١٣١) سورة الطلاق آية ٢

(١٣٢) انظر الفوائد لابن القيم ص ٦٦.

المبحث الأول الإيمان

أ - مفهوم الإيمان :

لغة: الإيمان ضد الكفر . والإيمان بمعنى التصديق ، ضده التكذيب .^(١٣٣)

شرعاً: هو تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان.^(١٣٤) والإيمان هو أصل الحياة الكبير، الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره ، وإلا فهو فرع مقطوع من شجرته ، صائر إلى ذبول وجفاف . وهو المحور الذي تشد إليه جميع خيوط الحياة الرفيعة ، وهو المنهج الذي يضم شتات الأعمال، ويرده إلى نظام تتناسق معه ، وتتعاون فتسلك في طريق واحد، والإيمان دليل على صحة الفطرة وسلامة التكوين الإنساني، وتناسقه مع الكون كله ، ودليل التجاوب بين الإنسان والكون من حوله . وإن المؤمن له عالم

(١٣٣) انظر لسان العرب لابن منظور ١/١٤٠ ، وانظر في ظلال الإيمان د. صلاح الخالدي، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ ص١٣،

(١٣٤) انظر تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، د. صلاح الصاوي، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ ص٩ والرائد في التربية والدعوة، مازن الفريح دار المنطلق للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١/١٦٦ وانظر إحياء علوم الدين دار الخير للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١/١٥٤

من السعة والشمول والامتداد والارتفاع والجمال والسعادة بحيث تبدو إلى جانبه عوالم غير المؤمنين صغيرة ضئيلة ، هابطة هزيلة ، شقية ، خاسرة أي خسران .^(١٣٥)

والإيمان كلمة جامعة إذا أفردت فإنها تشمل معاني الدين العظيم كله^(١٣٦) ، وإذا قرنت بالإسلام ، فإنها تعني أعمال الدين الباطنة أي الاعتقادات والأعمال القلبية، والتي تشمل أركان الإيمان الستة، الإيمان بالله وتوحيده في ألوهيته، وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بالملائكة ، وبالكتب وبالأنبياء وباليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، والإسلام يعني أعمال الدين الظاهرة والتي هي أعمال الجوارح أو أركان الإسلام الظاهرة ، كما ورد ذلك في حديث جبريل الذي أخرجه الإمام مسلم^(١٣٧) ، في بيان مراتب الدين ، قال ابن رجب رحمه الله (إن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة ، عند إفراده وإطلاقه ، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات ، والاسم المقرون به دالاً على باقيها ، هكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل

(١٣٥) في ظلال القرآن ص ٣٩٦٦ بتصرف

(١٣٦) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، لابن سعدي، مكتبة دار الأقصى، الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ ص ٧، وانظر فتاوى ابن تيمية ٦٤٢/٧

(١٣٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان السلام والإيمان والإحسان برقم ٩

فيه الآخر ، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، ودل الآخر على الباقي^(١٣٨)، وقد ورد عطف العمل الصالح على الإيمان في كثير من آيات القرآن الكريم ، وهو يتضمن هذا المعنى أيضاً فإن العمل الصالح من الإيمان كما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة ، قال الأوزاعي رحمه الله (كان السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان)^(١٣٩) وإذا ذكر العمل الصالح مع الإيمان وعطف عليه فإن هذا من باب عطف الخاص على العام ، وأن الإيمان يقصد به أعمال القلب، والعمل الصالح يقصد به أعمال الجوارح الظاهرة .

وعلى هذا الأساس فسوف يورد المؤلف بعض أعمال القلوب والتي هي من مظاهر الإيمان على أنها من جملة أسباب السعادة فيما يتعلق بهذا المبحث (الإيمان بالله)، وذلك على سبيل التمثيل لمظاهر الإيمان وأعمال القلوب التي توصل إلى السعادة، وليس على سبيل الاستقصاء لكل الأعمال، لكن سيختار ما رآه بعد البحث، يبين معنى جلياً من أسباب سعادة المسلم المعاصر في حياته. ويعتبر ذلك نموذجاً لتلك العبادات القلبية الأخرى .

(١٣٨) جامع العلوم والحكم، مكتبة طيبة المدينة المنورة، الطبعة الثانية

١٤١٠هـ ص ٢٧

(١٣٩) المصدر السابق ص ٢٦.

ب - مظاهر الإيمان :

للإيمان مظاهر عديدة لها أثر كبير في تحقيق السعادة للمسلم وسأكتفي بذكر شيء منها على النحو التالي :

أولاً : التوكل :

معنى التوكل :

التوكل لغة مشتق من مادة (وكل) يقال وكل بالله وتوكل عليه واتكل : استسلم له ^(١٤٠) و(وكل إليه الأمر وكلاً و وكولاً : سلمه وتركه) ^(١٤١) .

واصطلاحاً :

تعددت تعريفات العلماء رحمهم الله للتوكل على النحو التالي :

- ١ - هو علم القلب بكفاية الرب للعبد ^(١٤٢) .
- ٢ - هو تسليم الأمر من هو له ، وعزل نفسه منازعات مالكة ، واعتماده عليه فيه ، وخروجه عن تصرفه بنفسه وحوله وقوته ، إلى تصرفه بربه وكونه به سبحانه دون نفسه ، وهذا مقصود التوكل ^(١٤٣) .

(١٤٠) لسان العرب لابن منظور (٧٣٤/١١) .

(١٤١) القاموس المحيط للفيروز أبادي مجد الدين محمد يعقوب ، ط ١٣٧١هـ
نشر مكتبة مصطفى الباني الحلبي . (٦٧/٤) .

(١٤٢) تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ٥٣٦ / ٢ .

(١٤٣) المصدر السابق ٥٣٧/٢ .

٣ - حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا، والآخرة كلها، وكلت الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه^(١٤٤).

٤ - التوكل حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفردہ بالخلق والتدبير، والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فيوجب له اعتماداً عليه وتفويضاً إليه، طمأنينة به، وثقة به ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه^(١٤٥).

ويختلف الناس من حيث سعادتهم واطمئنانهم اختلافاً بيناً، بناءً على اختلاف مراتبهم في توكلهم على الله تبارك وتعالى . فأهل العلم والدعوة، يتوكلون عليه في الإيمان به، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابه وتنفيذ أوامره . ودونهم من يتوكل عليه في استقامته في نفسه، وحفظ حاله مع الله، فارغاً من الناس، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله، من رزق وعافية، أو نصر على عدوه، أو زوجة، أو

(١٤٤) العبادات القلبية د. محمد عقيل موسى دار المجتمع للنشر والتوزيع،

الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ . ص ١٢٩

(١٤٥) التوكل وعلاقته بالأسباب د عبد الله الدميجي، دار الوطن، الطبعة

الثانية ١٤٢١ هـ ص ٢٢

ولد .وأفضل التوكل هو التوكل في الواجب، واجب الحق وواجب الخلق، وواجب النفس، وأما أوسع التوكل وأنفعه، فهو التوكل في التأثير في الخارج، في مصلحة دينية، أو دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء ، في إقامة دين الله، ودفع فساد المفسدين في الأرض وهذا هو توكل ورثتهم ، ثم الناس بعد في التوكل على حسب همهم ومقاصدهم^(١٤٦).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً أن أعظم التوكل هو ما كان فيه سعادة الدنيا والآخرة ، وهو ما يتعلق بخدمة الدين ونصرته :

(وكثيراً من المتوكلين يكون مغبوناً في توكله، إلى حاجة جزئية استفرغ فيها قوة توكله، ويمكنه نيلها بأيسر شيء، وتفريغ قلبه للتوكل في زيادة الإيمان، والعلم، ونصرة الدين، والتأثير في العالم خيراً، فهذا توكل العاجز قاصر الهمة ، كما يصرف بعضهم همته، وتوكله ودعائه إلى وجع يمكن مداواته بأدنى شيء، أو جوع يمكن زواله بنصف رغيف، أو نصف درهم، ويدع صرفه إلى نصرة الدين، وقمع المبتدعين، وزيادة الإيمان ، ومصالح المسلمين، وحال النبي صلى الله عليه وسلم وحال أصحابه محك الأحوال، وميزانها، بها يعلم صحتها،

(١٤٦) تهذيب مدارج السالكين ٥٣٦/٢

من سقيمها، فإن هممهم كانت في التوكل أعلى من همم من بعدهم ، فإن توكلهم كان في فتح بصائر القلوب، وأن يعبد الله في جميع البلاد، وفتحوا بلاد الكفر وجعلوها دار إيمان، وهبت رياح روح نسمات التوكل على قلوب أتباعهم فملاؤها يقيناً وإيماناً^(١٤٧)

وعند تنزيل كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى على حال المسلمين اليوم نجد أن بعض أهل الإسلام قد ضعف توكله على الله تعالى في نصره الدين، وإعلاء كلمته، وخدمة الأمة والدفاع عنها، فنسي أو تناسى أن هذا الدين هو دين الله، وأن الناصر هو الله، والمعز هو الله ، وأنه سبحانه وتعالى ناصر دينه لا محالة، وحافظ لكتابه ولا شك، كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١٤٨) ، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي كتب الذل والصغار على كل من خالف دينه وحاد عن صراطه المستقيم، كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١٤٩) ، ولضعف

(١٤٧) تهذيب مدارج السالكين ٢ / ٥٤٧

(١٤٨) سورة غافر آية ٥١

(١٤٩) سورة المجادلة آية ٢٠ ، ٢١

هذا التوكل، نتج اعتماد كبير على الأسباب^(١٥٠)، مما أدى إلى تدهور في أحوال كثير من المسلمين المعاصرين - الذين ينشدون نصر الأمة والنهوض بها - وأصبح هناك من ينادي بدعوات مادية بحتة لإصلاح حال الأمة ونسيان التوكل على الله، بل ظهر في هذا العصر من لا يرى إعزاز الأمة إلا بالقوة والمادة، حتى وصل الأمر ببعض المسلمين، إلى مخالفت صريحة لمبادئ الدين، وفروض الإسلام، في سبيل نصر الأمة!!^(١٥١)

وهذا لا يعني بلا شك عدم اعتبار الأسباب، ولكن نحن في صدد الحديث عن أثر قوة التوكل على الله، في إحداث السعادة، وأن أكبر ما يجب التوكل فيه على الله تعالى هو ما يتعلق بنصرة دين الله تبارك وتعالى .

وفي القرآن الكريم عناية خاصة بالتوكل تارة بالأمر به، كقوله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(١٥٢)، وتارة ببيان كفايته تعالى لمن توكل عليه كقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾^(١٥٣)، وتارة ببيان حال أوليائه ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ

(١٥٠) انظر مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة مكتبة الشباب المسلم، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ ص ٣٧١ .

(١٥١) ذلك مثل النظرة المتطرفة في فهم الجهاد في سبيل الله، مما أدى إلى قتل النفس وقتل المسلمين بعضهم بعضاً بعيداً عن الهدف المقصود من الجهاد وهو منازلة الكفار والمشركين .

(١٥٢) سورة . المائدة آية ٢٣ .

(١٥٣) سورة الطلاق آية ٣ .

تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ^(١٥٤)، وتارة بمخاطبة رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(١٥٥).
والنبي عليه الصلاة والسلام كان يدعو بدعاء المتوكلين فيقول (اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، ولك خاصمت)^(١٥٦)، بل كان عليه الصلاة والسلام يرغب أصحابه الكرام في التزام التوكل بشكل دائم وذلك بقوله : "من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان"^(١٥٧)، وقال عليه الصلاة والسلام مبيناً عظمة التوكل على الله (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خصاصاً وتروح بطاناً)^(١٥٨).

(١٥٤) سورة الممتحنة آية ٤ .

(١٥٥) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(١٥٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر باب التعوذ من شر ما علم ومن شر ما لم يعلم برقم ٤٨٩٤ .

(١٥٧) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الدعوات باب ما جاء ما يقول إذا خرج من بيته برقم ٣٣٤٨ . حسن صحيح انظر صحيح الكلم الطيب للألباني برقم ٥٩ .

(١٥٨) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الزهد باب في التوكل على الله ، برقم ٢٢٦٦ صحيح ، انظر صحيح الترمذي للألباني برقم ٢٣٤٤ .

وكذلك السعداء من سلف الأمة، كانت حياتهم ترجمة لمعنى التوكل على الله تعالى، يقول سعيد بن جبير رحمه الله (اللهم أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك) وكان يقول التوكل على الله جماع الإيمان^(١٥٩). (وقيل لحاتم الأصم: على ما بنيت أمرك في التوكل؟) قال: على خصال أربع:

- ١- علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي.
- ٢- وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به.
- ٣- وعلمت أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره.

٤- وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستحي منه^(١٦٠).

إن من يعيش الحياة - بمثل هذه القناعات المنبثقة من الإيمان الحق الذي لا يخالطه أدنى شك - إنه في نعيم دائم وفي اطمئنان مستقر لا يتزعزع، وإلا فيما إذا يضيق صدر الإنسان وتتشتت همومه في أودية الدنيا ويشقى فيها؟ إما بنقص في توكله على الله في رزقه، أو بخلل في عمله وإضاعة له، أو بتسويق في أعمال الآخرة والاسترسال مع شهوات الدنيا، أو بضعف في الإيمان بالله تعالى، وفي مراقبته عز وجل.

(١٥٩) نزهة الفضلاء، محمد عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء الطبعة

الثانية ١٤١٥هـ. ٣٩٣/١.

(١٦٠) نزهة الفضلاء ٨٤٨/٢.

وقد ذكر أهل العلم للتوكل على الله درجات متفاوت الناس فيها بحسب المتوكل وقوة إيمانه بالله تعالى وعزمه وهمته وينشأ عن ذلك تفاوتهم في نعيم الحياة الدنيا :

١ - الدرجة الأولى : معرفة بالرب سبحانه وتعالى وصفاته، من قدرته ، وكفايته ، وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في التوكل .

٢ - الدرجة الثانية : إثبات الأسباب والمسببات. فالتوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل عليه .

٣ - الدرجة الثالثة : رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل .

٤ - الدرجة الرابعة : اعتماد القلب على الله ، واستناده إليه وسكونه إليه ، وعلامة هذا أن لا يبالي بإقبال الدنيا وإدبارها ، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يجب منها ، وإقبال ما يكره ، لأن اعتماده على الله وسكونه إليه، واستناده إليه قد حصنه من خوفها ورجائها .

٥ - الدرجة الخامسة : حسن الظن بالله تعالى فعلى قدر حسن الظن بالله ورجائه يكون التوكل عليه، إذ لا يتصور التوكل على من أسأت به الظن، ولا التوكل على من لا ترجوه، ولذلك قال الله عز وجل في الحديث القدسي (أنا عند

ظن عبدي بي) (١٦١) وقال عليه الصلاة والسلام قبل وفاته بثلاث (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل) (١٦٢)

٦- الدرجة السادسة : استسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلها إليه، و قطع منازعاته.

٧- الدرجة السابعة : التفويض، وهو روح التوكل وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً، لا كرهاً واضطراراً، فيعلم المفوض أن الله تعالى يقضي له ما هو خير له في معاشه ومعاده، وإن كان المقضي له خلاف ما يظنه خيراً فهو راض به، لأنه يعلم أنه خير له، وإن خفيت عليه جهة المصلحة فيه (١٦٣)

ومن ذلك مشروعية الاستخارة، فالمستخير يتوكل على الله عز وجل في تبيين الخير من الشر والنافع من الضار، ويسلم له في ذلك كله (١٦٤) .

(١٦١) مسلم بشرح النووي برقم ٤٨٢٢

(١٦٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة ونعيمها باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت، برقم ٥١٢٥

(١٦٣) انظر تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ٥٢٨/٢ مرجع سابق

(١٦٤) العبادات القلبية عقيل موسى ص ٨٨ .

ثانياً : الإخلاص :

أ . معنى الإخلاص :

لغة :

خلص الشيء يخلص خلوصاً، وخلاصاً، إذا كان قد نشب، ثم نجا وسلم، والمخلص الذي وحد الله تعالى خالصاً والمخلص الذي أخلصه الله، جعله مختاراً خالصاً من الدنس، وكلمة الإخلاص كلمة التوحيد، والإخلاص في الطاعة ترك الرياء^(١٦٥)

واصطلاحاً :

١) استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن .

٢) ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله .

٣) تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين .^(١٦٦)

والإخلاص من الأعمال الباطنة التي لا يعلمها ملك فيكتبها ولا شيطان فيفسدها^(١٦٧)، ففي الحديث النبوي عنه عليه الصلاة والسلام (يؤتى يوم القيامة بصحف مختمة، فتنصب بين يدي الله تعالى، فيقول تبارك وتعالى، ألقوا هذه واقبلوا هذه،

(١٦٥) لسان العرب لابن منظور، ٢٦/٧

(١٦٦) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ٥١٥/١

(١٦٧) المصدر السابق ٥١٥/١

فتقول الملائكة وعزتك وجلالك ما رأينا إلا خيراً ، فيقول الله عز وجل إن هذا كان لغير وجهي (١٦٨) .

والله تبارك وتعالى قد أمر عباده بالإخلاص وبين لهم شأن المخلصين ، فقال تعالى: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (١٦٩) ، وقال أيضاً ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١٧٠) ، وقال أيضاً ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (١٧١) .

ب - أثر الإخلاص في سعادة المسلم :

الإخلاص له أثر عظيم في طمأنينة الإنسان ، ونعيمه ، وراحة نفسه ، ذلك أن المخلص يشعر بلذة التعبد لله رب العالمين ، وهو يؤدي العمل ، مهما كان شاقاً ، لأنه ينوي بذلك خدمة سيده ، ومن لا يسعد ولا ينعم وهو يستحضر أنه يقوم بخدمة من يحبه ، ويأمل في القرب منه؟

إن المخلصين دائماً في سعادة ، ويشهد لذلك أن ما يحصل من تأثر لأحوال القلوب من الخوف والخشية ، والإنابة ، لا يمكن

(١٦٨) الترغيب والترهيب للمنذري برقم ٥٧ ، المكتبة التجارية الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ / ١ / ٥٣ .

(١٦٩) سورة الزمر آية ٢ - ٣ .

(١٧٠) سورة الكهف ١١٠ .

(١٧١) سورة البينة آية ٥ .

أن تتم تلك الأحوال لغير المخلصين.^(١٧٢) وأيضاً فإن الإخلاص (يمد العامل بقوة الاستمرار، فإن الذي يعمل للناس، أو لشهوة البطن أو الفرج يكف إذا لم يجد ما يشبع شهوته، والذي يعمل أماً في شهرة أو منصب يتراخى ويتثاقل إذا لاح له أمله بعيد المنال، والذي يعمل لوجه الرئيس أو الأمير ينقطع أو يتوانى إذا عزل الرئيس أو مات الأمير، أما الذي يعمل لله فلا ينقطع ولا يثنى ولا يسترخي أبداً، لأن الذي يعمل له لا يغيب ولا يزول، فوجه الله باق إذا غابت وجوه البشر....، ولهذا قال الصالحون: ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، وهذا ما صدقه الواقع ورأيناه ولمسناه، ولا زلنا نراه ونلمسه في كل زمان ومكان)^(١٧٣).

والذي يعمل بدون إخلاص لله تبارك، كادح متعب نفسه فيما لا طائل من ورائه، ولا أجر له فيه، بل قد يكون عليه نقمة يوم القيامة، كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾^(١٧٤).

(١٧٢) انظر مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة ص ٤١٢

(١٧٣) النية والإخلاص د القرضاوي نشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. ص ١٠٣، ١٠٤

(١٧٤) سورة الفرقان آية ٢٣

ومن الناس الذين كان عملهم صواباً ظاهراً لم يكن مقصوداً به وجه الله تبارك وتعالى، اعتراهم القلق والاكتئاب، والهموم والغموم، نظراً لعدم حصولهم على ما كانوا يؤملونه ممن كان العمل لهم ومن أجلهم، حتى يؤدي الحال ببعضهم إلى ترك العمل الصواب الذي كان يعمله كلية. وأيضاً وهم متلبسون بالعمل وغارقون فيه لم يجدوا المتعة واللذة لأنها لم تكن مقصودة أصلاً، وإنما كان المقصود هو الوصول إلى رضا المخلوقين أو الحصول على شهوة زائلة، بينما حال المخلصين أنهم وهم في عملهم يشعر أحدهم بالمتعة والنعمة وهو يؤدي عمله خالصاً لله رب العالمين، ولهذا السبب نجد أن الذين يعاملون الله تعالى ويخلصون له العمل أكثر اطمئناناً وأكثر ثباتاً في الأزمات، بل وأكثر هدوءاً واستقراراً في جميع الأحوال.

ج - حاجة المسلم المعاصر للإخلاص :

المسلم المعاصر الذي يعيش أحداث هذا العصر، وماديته، وتقلباته، هو أشد حاجة لتمثل الإخلاص في حياته، لأن جل ما يحيط به إنما هو شهوات مادية، وأكثر اهتمامات الناس المعاصرين تتركز على النماذج المادية، حتى أصبح عند بعض من يتصدى للعلم والدعوة في هذا العصر، تركيزاً بيناً على نتائج العمل المحسوسة، وهذا مما يضعف جانب

الإخلاص عند المسلم - إن لم يتدارك - لأن الذي يعمل العمل الديني وهو ينوي نتيجة محددة (هدفاً) فإنه يستغرق وقته في العمل للحصول على هذا الهدف، والوصول إلى تلك النتيجة، الأمر الذي قد يجعل ذلك مقصوداً من دون الله، أو مقصوداً مع الله، ومن هنا يضعف الإخلاص بل قد يتلاشى تماماً، ولهذا بدأت تظهر على السطح - في وسط الصحوة الإسلامية - مظاهر ضعف الالتزام من أكثر العمل، وبدأت تظهر أيضاً حالات الانتكاسة بشتى صورها وأشكالها وبدأ يظهر الانحراف بجميع مجالاته ومختلف صورته، هذا مع وجود العمل الصواب وظهوره، مما يشير إلى فقدان روح العمل ولبه وهو الإخلاص لله تبارك وتعالى. (١٧٥)

وهذا الأمر هو نتاج للمعاصرة المادية وتقبلها والتأثر بها، حتى على مستوى التشجيع والمكافأة فإن ما يظهر هو مزيد من إضعاف جانب الإخلاص و(يمثل الحافز (المادي) أعلى درجات التشجيع، وأعظم المحفزات في الغرب، لإقناع العاملين في تحسين أدائهم، وهذه الحوافز قد تتفاوت، فيما بينها

(١٧٥) انظر آفات على الطريق السيد محمد نوح دار اليقين، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١ / ١٨٧، وانظر أيضاً، أصول التربية الإسلامية، النحلوي، دار الفكر، بيروت، طبعة عام ١٤١٧هـ . ص ١٧٢

في القدر، إلا أن القاسم المشترك الذي ينتظمها جميعاً هو : تحقيقها لمبدأ العوض أو المقابل المادي لكل جهد مادي مبذول. ويشمل ذلك الإغراء بالمال أو بكل ما يدور في فلكه من صور المكافآت المتعددة، كما يشمل المنصب، والترقية إلى درجة أعلى في السلم الوظيفي، ولربما اختلط هذا المفهوم للحوافز في أذهان البعض مع مفهوم الحوافز والتشجيع في التربية الإسلامية، لكن ما بينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، بالنظر إلى محتوى العمل القلبي الذي تحرص على تشيئته التربية الإسلامية، والذي يمثل (الإخلاص) أعلى ركائزه، والصدق والمراقبة أعظم أركانه وأقطابه. وإلا فكيف تكون كلمة مجردة مثل : "جزاك الله خيراً" أو "بارك الله في جهودك" أو " وفقك الله" - عندما تقال بصدق ويتلقاها العامل بصدق أيضاً - وساماً غالياً يتمنى العامل المسلم أو الطالب المسلم أو الداعية المسلم الحصول عليه، بل يعده أعلى من كل مال، وأثمن من كل ترقية؟ إن الوصول لهذه الغاية العظيمة لن يكون إلا بتربية عظيمة.. وعظيمة جداً يعدل فيها أثر هذه الكلمة التي لا يأبى لها المادي مثاقيل الدنيا وبها رجها، وتلك هي الهداية الحقيقية،

وذلك هو النجاح بكل معاني النجاح وأشكاله^(١٧٦): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٧٧).

ثالثاً : الرجاء :

أ - معنى الرجاء :

لغة : الأمل^(١٧٨)

اصطلاحاً :

- ١ - تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل.^(١٧٩)
- ٢ - الرجاء هو حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة.
- ٢ - الرجاء هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.
- ٣- الرجاء هو الثقة بجود الرب تعالى .

(١٧٦) تربية العظماء ، جمال الحوشبي ، دار الأندلس الخضراء ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ . ص ١٤٢ ،

(١٧٧) سورة يونس آية ١٠ .

(١٧٨) التعريفات للجرجاني ، ص ١٤٦

(١٧٩) المصدر نفسه ص ١٤٦

والفرق بينه وبين التمني أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد . والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل. (١٨٠)

والرجاء من أجل المنازل، وأعلاها وأشرفها وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله، وقد مدح الله أهله، وأثنى عليهم (١٨١) : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (١٨٢)

وأخبر الله تعالى في كتابه عن عباده الذين كان المشركون يتقربون بهم الى الله، أنهم كانوا راجين لله تعالى خائفين منه كما قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (١٨٣)

والمسلم دائماً وأبداً هو محتاج إلى الرجاء فهو دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله

(١٨٠) إحياء علوم الدين ٤/ ٤١١

(١٨١) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٧٥

(١٨٢) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(١٨٣) سورة الإسراء آية ٥٧ .

ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها^(١٨٤). فحال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال .

(ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى).^(١٨٥)

وهناك معاني للرجاء ومرادفات له عند البحث والتأمل نجد أنها تعطي المسلم المعاصر تأكيداً على ضرورة استصحاب هذه المعاني القلبية ، ومن ذلك الأمل والتفاؤل.

١ - الأمل :

الأمل هو الرجاء ، وهو ظن حصول ما فيه مسرة^(١٨٦) . فالأمل هو توقع حصول أسباب المسرات ومنها السعادة، فإن هذا التوقع أو الظن قد يحيا في نفس الإنسان وقد يموت، على حساب ما يلاقيه في حياته من مبشرات بحصول مظنونه أو غير ذلك ، ولا يحيا الأمل في الإنسان إلا بروح تبعثه في

(١٨٤) العبادات القلبية ص ١٦١ مرجع سابق .

(١٨٥) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ، للقاسمي ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ . ص ٢٩٠

(١٨٦) المفردات للراغب الأصفهاني مادة (رجا) ٢ / ١٩٠

نفسه، كما لا يحيا الجسد إلا بالروح تدب في أركانه ، وروح الأمل هي التي تجعله حياً في النفس بالأسباب التي تبقي هذا الأمل حياً كالمبشرات التي تسره وتدفعه دائماً إلى الحركة والعمل، كما أنها تدفع عن نفس صاحبها كل الأسباب التي تमित الأمل في النفس، كالمغيرات التي تدفعه إلى اليأس والقنوط. ^(١٨٧)

ويذكر الغزالي رحمه الله : (أن كل ما يلقاه الإنسان في حياته من محبوب أو مكروه إما أن يكون قد حدث له في الماضي أو يحدث له الآن أو ينتظر حدوثه في المستقبل، فإذا خطر بباله ما حدث له في الماضي سمي ذلك ذكراً وتذكراً، وإذا خطر بباله ما يحدث له في الحال سمي ذلك وجداً، وإذا كان ما خطر بباله يحدث في المستقبل سمي ذلك انتظاراً وتوقعاً).

فإن كان ما ينتظره الإنسان في المستقبل مكروهاً سمي خوفاً وإشفاقاً، وإن كان ما ينتظره محبوباً له وتعلق قلبه به سمي رجاء، فالرجاء إذن هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده. ^(١٨٨)

(١٨٧) انظر منهاج القاصدين ص ٣١

(١٨٨) إحياء علوم الدين : ٤ / ١٤٩ ، ١٥٠

والأمل هو انشراح النفس في وقت الضيق والأزمات، بحيث ينتظر المرء الفرج واليسر لما أصابه، وهو بهذا المعنى الإيجابي يدفع الإنسان إلى إنجاز ما فشل في إنجازه من قبل، ولا يمل حتى ينجح في تحقيقه. (١٨٩)

والأمل المحمود المقصود هنا هو الأمل في تحصيل الخير والنفع كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (١٩٠) وليس هو الأمل المذموم الذي خافه رسول الله على أمته وبين خطورته بقوله (لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل) (١٩١) والأمل مذموم في نظر الشارع إذا تعلق النفس الأمانة بالسوء بالدنيا واستجابت لوسوسة الشيطان .

وللأمل أثر كبير في إسعاد المسلم فإن من مصادر الأمن والنعيم والسكينة لدى المؤمن ما يغمر جوانحه من أمل، ذلك الشعاع الذي يلوح للإنسان في ظلمات الحياة فيضيئها له، وينير له المعالم ويهديه السبيل، ذلك هو الأمل الذي به تنمو شجرة

(١٨٩) الأمل طبيعته، أثاره، الطرق الموصلة إليه، رضا سعد المصري، دار

طبية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ص ١١

(١٩٠) سورة فاطر آية ٢٩

(١٩١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقائق باب من بلغ ستين سنة فقد

أعززه الله برقم ٥٩٤١

الحياة، ويرتفع صرح العمران، ويذوق طعم السعادة، ويحس بهجة الحياة، فالأمل يدفع الإنسان دائماً إلى العمل، وهو ضروري جداً في الحياة لتقدمها في كل المجالات، وهو طاقة يودعها الله في قلوب البشر لتحثهم على تعمير الكون، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها) (١٩٢).

ويظهر أثر الأمل أيضاً في النقاط التالية: (١٩٣)

- ١ - المسلم دائماً معتصم بالله سبحانه وتعالى ويعيش على أمل لا حد له، فهو يأمل الخير دائماً وأبداً وينظر إلى الحياة بوجه ضاحك، ويتقبل أحداثها بثغر باسم لا بوجه عبوس.
- ٢ - إذا اعتراه ألم أو مرض لم ينقطع أمله في العافية، فهو يتذكر قول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (١٩٤).
- ٣ - إذا اقترف ذنباً لم ييأس من المغفرة، ومهما يكن ذنبه عظيماً فإن عفو الله أعظم كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ

(١٩٢) رواه أحمد برقم ١٢٥١٢ والحديث صحيح، انظر الصحيح المسند

للاوزاعي برقم ٣٤

(١٩٣) الأمل طبيعته وآثاره مرجع سابق ص ١٢

(١٩٤) سورة الشعراء آية ٧٨ - ٨٠

أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٩٥﴾

٤ - إذا انتابه عسر أو كارثة انتظر اليسر وأمله لأنه يعلم أن
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(١٩٥)، ورجا الله
أن يأجره في مصيبته وأن يخلفه خيراً منها، كما قال الله تعالى
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ﴾^(١٩٦).

٥ - وإذا رأى الباطل يقوم في غفلة أهل الحق أيقن أن الباطل
إلى زوال، وأن الحق إلى ظهور وانتصار، كما قال الله تعالى
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(١٩٧)

٦ - وإذا دعا إلى الله وجاهد في سبيله كان واثقاً من نصر الله
له، فالله عز وجل ينصر عباده المؤمنين، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا
يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(١٩٨)

(١٩٥) سورة الزمر آية ٥٣ .

(١٩٦) سورة الشرح آية ٥ ، ٦

(١٩٧) سورة البقرة آية ١٥٦ ، ١٥٧

(١٩٨) سورة الأنبياء آية ١٨

(١٩٩) سورة غافر آية ٥١ ، ٥٢

٧ - وإذا بلغ به الكبر عتياً وأدركته الشيخوخة أخذ يرجو ويأمل حياة أخرى فيها شباب بلا هرم ، وحياة بلا موت ، وسعادة بل شقاء في ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا لَا يُسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا﴾^(٢٠٠).

٢ - التفاؤل:

التفاؤل من الفأل الحسن وهو مشروع، وكان من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام أنه كان يعجبه الفأل، وللتفاؤل في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام صور كثيرة ، منها في سفر الهجرة عندما لقي رجلاً فقال: (ما اسمك؟ قال يزيد، قال يا أبا بكر يزيد أمرنا)^(٢٠١)

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أحاديث عدة في التفاؤل منها:
١ - حديث أبي هريرة، قال : سمعت رسول الله يقول لا طيرة وخيره الفأل، قال: الكلمة الطيبة يسمعها أحدكم)^(٢٠٢).

(٢٠٠) سورة مريم آية ٦١ ، ٦٢

(٢٠١) مجموع الفتاوى ٦٧/٢٣ نقلاً عن كتاب التوكل على الله وعلاقته بالأسباب ، ص ٢٤٤ مرجع سابق

(٢٠٢) رواه البخاري في الطب باب الفأل (الفتح ١٠ / ٢٢٤)

٢ - حديث أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا وما الفأل، قال الكلمة الطيبة)^(٢٠٣).

وفيما يلي أذكر بعض الفروق بين الفأل والطيرة عند بعض أهل العلم :

١ - ما ذكره الخطابي أن : (مصدر الفأل عن نطق وبيان، فكأنه خبر جاء عن غيب، خلاف غيره فإنه مستند إلى حركة طائر أو نطقه، وليس فيه بيان أصلاً، وإنما تكلف ممن تعاطاه)^(٢٠٤).

٢ - قال ابن سعدي رحمه الله : (والفرق بينهما أن الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان، ولا بعقله ، وليس فيه تعليق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة والنشاط والسرور وتقوية النفوس النافعة) قال (وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة، ثم يرى في تلك الحال ما يسره، أو يسمع كلاماً يسره: مثل يا راشد أو يا سالم أو غانم، فيتفاءل، ويزداد طمعه

(٢٠٣) رواه البخاري في الطب باب الفأل (الفتح ١٠/٢٢٤)
 (٢٠٤) فتح الباري (١٠/٢٢٥) دار الريان الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه فهذا كله خير وآثاره
خير، وليس فيه من المحاذير شيء) (٢٠٥)

٣ - يقول ابن القيم رحمه الله تعالى (... فأين هذا من الفأل
الصالح السار للقلوب المؤيد للآمال ، الفاتح باب الرجاء
المسكن للخوف الرابط للجأش الباعث على الاستعانة بالله
والتوكل عليه والاستبشار المقوي لأمله، السار لنفسه، فهذا
ضد الطيرة فالفأل يفضي بصاحبه إلى التوحيد، والطيرة
تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك ، فلهذا استحب
النبي صلى الله عليه وسلم الفأل وأبطل الطيرة) (٢٠٦)

وأما ضابط الفرق بينهما فهو (أن الفأل من شرطه ألا
يقصده المتفائل فإن قصده كان من الطيرة المنهي عنها، وأن لا
يحملة على العمل بموجبه، فإن عمل به فإنه يعتبر من الطيرة
الشركية، وذلك لأن القلب في مثل هذه الحالة له اعتماد على
غير الله - وهو الفأل - وهذا شرك) (٢٠٧).

(٢٠٥) القول السديد في مقاصد التوحيد ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات
الشيخ ابن سعدي، ط. ١٤١١هـ، مركز صالح بن صالح الثقياني
بغليظة، ص ٣١ نقلاً عن كتاب التوكل على الله وعلاقته بالأسباب
للدميجي .

(٢٠٦) مفتاح دار السعادة ص ٦٠٢، مرجع سابق .

(٢٠٧) التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب ص ٢٤٩ مرجع سابق .

وعند تطبيق الأمل و الفأل الحسن كواقع في حياتنا المعاصرة، نجد أن المسلم المتفائل يصبح إنساناً مبدعاً، متوازناً في شخصيته، متكاملأً فيها، يمشي على الأرض ويتطلع إلى السماء، يعيش الواقع ويرنو للمثال، يعمل في الدنيا ولا ينسى الآخرة، يجمع المال ولا ينسى الحساب، يتعامل مع الخلق ولا ينسى الخالق، يعتز بماضيه ولا ينسى حاضره ومستقبله، مطمئن القلب راضي النفس، متفائل الروح ، لا ييأس وإن سدت في وجهه الأبواب، وتقطعت دونه الأسباب، ويشعر دائماً بالإكرام ، وأن الله قد جعله خليفة في الأرض، وهو يمشي في مناكبها ويأكل من رزق الله زارعاً أو صانعاً أو تاجراً أو مشتغلاً بأي عمل حلال ، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً، فالمسلم الذي اتصف بهذه الصفات ، وتشبع بروح التفاؤل يرى نصر الله وفرجه ويحسه ويشعر به ، بخلاف المتشائم اليائس، فإنه لا يرى أمامه إلا الهزيمة والخسران .

وعندما (يلتفت الإنسان حوله في هذه الأيام فلا يجد إلا نفوساً أرهقتها الأزمات النفسية، وقلوباً خيم عليها ظلام اليأس والشك والقلق، وإذا ما تلبدت نفس الإنسان بالغيوم السوداء ، وأسلمت قيادها للظلام يلفها ويأخذ بتلابيبها

فقدت الشعور بمعنويات الحياة، وبفضائل الحياة وبالبواعث على الحياة، إن اليأس السريع هذا هو طابع شباب العصر، وهو عدوهم اللدود الذي يقطع عليهم الطريق قبل أن يقطعوه هم ولا علاج لليأس سوى العمل المتواصل الذي يمنح الإنسان الثقة والنجاح»^(٢٠٨).

ومن خلال تأمل النصوص الشرعية، وسير المتفائلين وخبراتهم وتجاربهم نستطيع أن نتوصل إلى خطوات مهمة لإذكاء روح التفاؤل عند المسلم^(٢٠٩) المعاصر وهي كما يأتي :

١- مصاحبة أهل الخير والصلاح المتفائلين، لما للمصاحبة من أثر بالغ في التأثير على الإنسان بانتقال الصفات من شخص لآخر فالذي يحرص على أن يتتقي من الأصحاب من يغلب على حاله التفاؤل دائماً فسوف يجد ثمرة ذلك بإذن الله .

٢- النظر في جميع الأمور إلى ما فيها من حسن وجمال وخير، والتركيز عليه وإبرازه بصورة تعين المسلم على الاستمرار ومواصلة السير إلى الله تعالى بروح عالية .

٣- المحافظة على التوازن والتكامل بين متطلبات الروح والجسد فلا يطغى منه جانب على آخر فإن ما طغى غلب .

(٢٠٨) الأمل طبيعته وأثره والطريق الموصل إليه ص ٥٢، ٥٣ مرجع سابق .

(٢٠٩) انظر الإسلام ومستقبل البشرية، عبد الله عزام، مكتبة الجيل

الجديد صنعاء ١٤١٠ هـ ص ٥٤ .

٤ - الاستفادة من الحوادث والمصائب التي تمر على المسلم فيما يعينه على تقوية إيمانه وترسيخ عقيدته، كما قال عليه الصلاة والسلام (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)^(٢١٠)

٥ - الابتعاد عن الأفكار والمشاعر السلبية، التي تعيق عن الإقدام على العمل الصالح ، مثل القلق والخوف من الفشل.^(٢١١)

٦ - التخطيط ووضوح الرؤية والأهداف ، التي يسعى المسلم لتحقيقها والتي يجب أن تكون مرتبطة بالهدف العظيم الذي يحقق نعيم الآخرة والرسالة العامة للمسلم والتي هي تحقيق العبودية لرب العالمين .^(٢١٢) ومرتبطة أيضاً بالرسالة الشخصية له ، التي تبين الدور الذي يستطيع القيام به في هذه الحياة ويتوجه من خلالها لتحقيق كل ما يصبو إليه بعون الله ومشيبته وتوفيقه^(٢١٣).

٧ - علو الهمة والطموح والنظر إلى الأمام دائماً يعد حافزاً مهماً من حوافز التفاؤل والإيجابية.

(٢١٠) رواد مسلم في الزهد والرفائق رقم ٢٩٩٩ .

(٢١١) كن شجاعاً ، دورة للدكتور صلاح الراشد ، مركز الراشد للاستشارات الاجتماعية والنفسية .

(٢١٢) العادات العشر للشخصية الناجحة للتعهد ص٩١ ، مرجع سابق

(٢١٣) حتى لا تكون كلاً ، د. عوض القرني ص٣٧

٨ - عدم الاستسلام للأزمات النفسية التي يتعرض لها المسلم في طريق عمله الصالح، والتي هي في كثير من الأحيان، تعد وسيلة لليأس، يتسلط بها الشيطان على المسلم لصدّه عن سبيل الله و مواصلة السير إلى حيث النعيم الأبدي^(٢١٤).

٩ - حب العمل والاستمتاع به، والقناعة به، وذلك بأن يتوافق مع الرسالة العامة في الدنيا وهي عبادة الله عز وجل. والرسالة الخاصة بأمة محمد عليه الصلاة والسلام وهي الشهادة على الناس وتبليغ دين الله تعالى للعالمين. والرسالة الخاصة بالمسلم

١٠ - تقبل النقد البناء، والمراجعة والمحاسبة بين الحين والآخر ، تساهم في اصطحاب التفاؤل، واستمرار يته حتى إنجاز الأعمال .

١١ - استحضار بعض المعاني ، الإيمانية المتعلقة بالمستقبل مثل حسن الظن بالله، و الإيمان بالقضاء والقدر، وأن كل شيء تحت مشيئة الله ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٢١٥) وكما قال أيضاً: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

(٢١٤) كن متفائلاً، دورة للدكتور صلاح الراشد، (مركز الراشد

للاستشارات النفسية) إنتاج مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع

(٢١٥) سورة القمر آية ٤٩

حَكِيمًا»^(٢١٦) ، و كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام قوله (إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)^(٢١٧) .

رابعاً / المحبة :

أ - معنى المحبة :

الحب في اللغة : نقيض البغض . والحب الود والمحبة^(٢١٨) .
وفي الاصطلاح : هو ميل الطبع إلى الشيء المملذذ،^(٢١٩)
وذكر الراغب الأصفهاني للمحبة ثلاثة أنواع:^(٢٢٠)

- ١ - محبة للذة كمحبة الرجل المرأة ومنه قوله تعالى ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾^(٢٢١)
- ٢ - محبة للنفعة ، كمحبة شيء ينتفع به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾^(٢٢٢)

(٢١٦) سورة الإنسان آية ٣٠

(٢١٧) رواه مسلم في صحيحه كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم ٤٧٩٧ .

(٢١٨) لسان العرب لابن منظور ٢٨٩/١ .

(٢١٩) إحياء علوم الدين للغزالي ١٨٣/٥

(٢٢٠) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢١٤

(٢٢١) سورة آل عمران ١٤

(٢٢٢) سورة الصف ١٣

٣ - محبة للفضل، كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أعظم أنواع المحبة وأعلاها وهي حب الله للعبد وحب العبد لله في قوله تعالى ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾^(٢٢٣) . وإلى محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾^(٢٢٤) ، وأشار كذلك إلى المحبة بين الإخوة في الله وخاصة المهاجرين والأنصار بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾^(٢٢٥) .

ب - المحبة الموصلة إلى النعيم :

والمحبة المقصودة التي توصل إلى نعيم الدنيا ونيعم الآخرة إنما هي محبة الله تعالى ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام، وهي (من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة، إما عن محبة محمودة، أو محبة

(٢٢٣) سورة المائدة ٥٤

(٢٢٤) سورة آل عمران ٣١

(٢٢٥) سورة الحشر آية ٩

مذمومة . فجميع الأعمال الإيمانية والدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى، إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون صالحاً بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه (٢٢٦).

ج - أثر المحبة في حياة المسلم المعاصر :

لا شك أن للمحبة آثاراً عديدة ومهمة يشخصها ابن القيم بقوله: (هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقررة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم، وآلام، وهي روح الأعمال، والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبداً وأصليها، وتبوتهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخلها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على

(٢٢٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠ / ٤٨ ، ٤٩)

ظهورها دائماً إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة. إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله - يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة - أن المرء مع من أحب^(٢٢٧).

ونظراً لما للحب والمحبة من أثر على العواطف والغرائز فقد دأب كثير من أهل هذا العصر على تكريس جل جهودهم في إبراز الحب على صورة شهوانية غريزية، استبدل فيها الحب الحقيقي بالحب الغريزي الذي يتساوى فيه الإنسان مع الحيوانات الأخرى من الدواب، وغيرها، وبذلك تعج وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وتظهر للناس الحب بتلك الصورة الشهوانية البحتة، والتي هي بعيدة كل البعد عن معنى السعادة الحقيقي، ويشهد لذلك ما يشاهد من ضياع الشباب والفتيات، وتحلل كثير من الأسر والبيوت، نتيجة الانسياق وراء هذا السراب الخادع، والدعاوى المضللة.

(٢٢٧) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ٢/٨٠٧

خامساً / الرضا :

أ - معنى الرضا:

الرضا لغة : رضي عنه، وعليه، رضاً ورضواناً، ضد سخط،^(٢٢٨) فالرضا هو نقيض السخط.

اصطلاحاً : سرور القلب بمر القضاء^(٢٢٩)

الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل^(٢٣٠)

قال عليه الصلاة السلام (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً)^(٢٣١).

ومعنى رضيت بالشئ قنعت به واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره ، فالمؤمن الراضي لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، ولا شك أن من كانت هذه صفته ، فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه ، وذاق طعمه، وصح إيمانه، واطمأنت نفسه، وخامر باطنه، لأن رضاه ذلك دليل لثبوت معرفته ، ونفاذ بصيرته ، ومخالطة بشاشة قلبه ، لأن من رضي

(٢٢٨) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الفكر للطباعة والنشر طبعة ١٤١٥ ص ١١٦٠

(٢٢٩) التعريفات للجرجاني ، ص ١٤٨

(٢٣٠) تهذيب مدارج السالكين ٥٧٥/٢

(٢٣١) رواد مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، يرقم ٤٩

أمراً سهلاً عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعة الله تعالى ولذت له، فحصل له من السعادة والنعيم ما يصبو إليه ويتغيه. (٢٣١)

ب - أثر الرضا في حياة المسلم المعاصر :

لرضا ثمرات إيمانية كثيرة وافرة تنتج عنه، يرتفع بها الراضي إلى أعلى المنازل وتتحقق له السعادة المنشودة ومن ذلك ما يلي :

١- أن تمام العبودية هي في جريان ما يكرهه العبد من الأحكام عليه، ولو لم يجز منها عليه إلا ما يجب، لكان العبد أبعد شئ عن العبودية، فلا تتم له عبوديته من الصبر، والتوكل، والرضا، والتضرع، والافتقار، والذل، والخضوع، وغيرها، إلا بجريان القدر له بما يكرهه . وليس الشأن في الرضا بالقضاء الملائم للطبيعة ، إنما الشأن في القضاء المؤلم المنافر للطبع .

٢ - أن رضا العبد عن الله في جميع الحالات يثمر رضا ربه عنه، فإذا رضي عنه بالقليل من الرزق، رضي عنه ربه بالقليل

(٢٣٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي دار المعرفة، بيروت لبنان الطبعة الأولى

١٤١٤هـ / ٢٠١٣

من العمل، وإذا رضي عنه في جميع الحالات واستوت عنده، وجده أسرع شئ إلى رضاه إذا ترضاه وتملقه .

٣- أن الرضا يخلص العبد من الهم والغم، والحزن، وشتات القلب، وكسف البال، وسوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، فالرضا يوجب له الطمأنينة، وبرد القلب، وسكونه وقراره، والسخط يوجب اضطراب القلب وريبته وانزعاجه وعدم قراره. (٢٣٣)

٤- الرضا ينزل على قلب العبد السكينة التي لا أنفع له منها، ومتى نزلت السكينة، استقام وصلحت أحواله، وصلح بآله، والسخط يبعدة عنها بحسب قلته وكثرته، وإذا ترحلت عنه السكينة ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة، وطيب العيش، فمن أعظم نعم الله على عبده تنزل السكينة عليه ومن أعظم أسبابها: الرضا عنه في جميع الحالات .

٥- من ملأ قلبه بالرضا بالقدر ملأ الله صدره غنى وأمناً، وقناعة، وفرغ قلبه لمحبتة، والإنابة إليه، والتوكل عليه،

(٢٣٣) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامه ص ٢٩٦

ومن فاته حظه من الرضا، امتلاً قلبه بضد ذلك ، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه .^(٢٣٤)

٦ - أن رضا الله عن العبد - والذي هو ناشئ عن رضا العبد عن الله - أكبر من الجنة وما فيها، لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه، كما قال تعالى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ بعد قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢٣٥)، ولهذا جاء في حديث أهل الجنة (أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً)^(٢٣٦).

٧- الرضا يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور وطيب النفس، وسكونها في كل حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا .^(٢٣٧)

والمسلم في هذه الحياة معرض للمصائب، باختلاف ألوانها وأشكالها، وهو يعيش في زمن ملىء بالفتن، والابتلاءات، فتن في الأموال، وفتن في الأولاد، وفتن في حوادث

(٢٣٤) تهذيب مدارج السالكين ٥٧٥/٢ مرجع سابق .

(٢٣٥) سورة التوبة آية ٧٢

(٢٣٦) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري حديث رقم ٦٩٦٤ .

(٢٣٧) انظر تهذيب مدارج السالكين ٥٧٦ /٢ مرجع سابق .

الزمان، وما يعترض المسلم المعاصر من فتن حالية يعيشها، من فتنه تسلط الكافر، واستبداده وظلمه، وفتنة من ضعف المسلم، وتأخره وعجزه، وفتنة من تفرق واختلاف لأهل الإسلام بله أهل الدعوة إلى الإسلام، إن ذلك كله يلزم معه الرضا بالقضاء، والتسليم لأمر الله، وعدم السخط، من قدر الله، لأن حكم الله تعالى، ماض في عباده، وقضائه عدل فيهم، ومن لم يرض بالعدل فهو من أهل الجور والظلم. وليس معنى الرضا عند الفتن قبولها، وعدم البعد عنها، ولا عند تسلط الكفار على المسلمين، القعود عن نصرتهم، والعمل على ما يجب تجاههم، ولكن ذلك يعني التسليم لله تعالى في ما قدر والصبر على البلاء والمصائب التي حلت بالمسلم في حياته ونزلت به، لما في ذلك الرضا من عبودية جليلة لله تبارك وتعالى من شأنها أن تجعل المسلم يحيى في طمأنينة وسكينة ونعيم حتى وهو في مواقع ما يكره من القضاء.

الخلاصة :

يظهر من خلال ما سبق أن هذا السبب العظيم (الإيمان)، وما ورد من ذكر بعض مظاهره التي يجب على المسلم مرید السعادة أن يتحلّى بها وأن يتنزل في منازلها، يظهر أنه يحدث عند المسلم الارتياح النفسي المنشود، والذي يؤدي إلى توافق الروح مع قيم المسلم ومبادئه التي يحملها، ويسير في هذه الحياة وفقها، حيث إن توكل المسلم على الله، وإخلاصه العمل له، ورجاءه فيما يستقبل من أمره، ومحبته الخالصة لله تعالى، ورضاه عن الله تعالى، هذه المظاهر جميعها، تتسبب في حياة سعيدة للمسلم، وعيشة هنيئة له، ونعيم قلبي دنيوي، يوصله بإذن الله تعالى، إلى حيث النعيم الأخرى المنشود.

المبحث الثاني العمل الصالح

العمل الصالح هو الركيزة الثانية من ركائز السعادة،^(٢٣٨) وهو الثمرة الطبيعية للإيمان ، وهو الحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب، فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة، ما إن تستقر في الضمير ، حتى تسعى إلى تحقيق ذاتها في الخارج، في صورة عمل صالح .

وقد ورد ذكر العمل في القرآن الكريم (٣٥٩) مرة^(٢٣٩)، إما عمل صالح وإما عمل سيء . وقد ارتبط ذكر العمل الصالح مع الإيمان في كتاب الله تعالى أكثر من (٨٠) مرة، تارة بذكر جزاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات ، وتارة يذكر حالهم في الدنيا والآخرة، وتارة بذكر أوصافهم، وأكثر ما ذكر هو ما أعدده الله لهم في الدار الآخرة من النعيم المقيم والسعادة الأبدية .

وليس المجال هو بحث واستقصاء الآيات الواردة في ذلك، و لكن أذكر شواهد تبين ما ذكرته، من تعدد الآيات

(٢٣٨) منهج الإسلام في تزكية النفوس، أنس كرزون ص١٦١
(٢٣٩) مقومات الشخصية المسلمة، د. الكيلاني، مكتبة دار الاستقامة،
الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ص١٣

التي تذكر الإيمان والعمل الصالح مقروناً بالجزاء الأخروي، يقول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢٤٠). ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾^(٢٤١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٢٤٢). ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾^(٢٤٣).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢٤٤).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢٤٥).

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾^(٢٤٦).

(٢٤٠) سورة البقرة آية ٢٥

(٢٤١) سورة البقرة آية ٨٢

(٢٤٢) سورة البقرة آية ٢٧٧

(٢٤٣) سورة آل عمران آية ٥٧

(٢٤٤) سورة النساء آية ٥٧

(٢٤٥) سورة النساء آية ١٢٢

(٢٤٦) سورة النساء آية ١٢٤

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٤٧)

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ (٢٤٨).

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ (٢٤٩).

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٥٠).

إلى غير ذلك من الآيات التي تكرر ذكرها في بيان ارتباط الإيمان بالعمل الصالح، وترتيب الجزاء الحسن عليه .

والأعمال الصالحة التي تورث السعادة والنعيم، ويظهر أثرها في حياة المسلم بشكل واسع كثيرة وغير محصورة، فما من عمل صالح يعمله المسلم إلا وله أثر في حياته، ولكن أقتصر على ذكر بعض هذه الأعمال الصالحة، التي لها أثر بين في إحداث السعادة للمسلم، وذلك على نحو ما يأتي :

(٢٤٧) سورة المائدة آية ٩

(٢٤٨) سورة يونس آية ٤

(٢٤٩) سورة الأنبياء آية ٩٤

(٢٥٠) سورة الأنبياء آية ٥٠

أولاً: الصلاة :

أ - أهمية الصلاة :

الصلاة هي عمود الإسلام وركنه الأعظم، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فرضها الله تبارك وتعالى من فوق سبع سماوات، تشرiffاً وتعظيماً لشأنها .

الصلاة هي قرة العيون، وهي مواطن السرور، وهي الراحة التي يرتاح في ظلها المؤمن، والنعيم القلبي، الذي يستلذ به قلبه ويسعد به .^(٢٥١)

وهي للمصلي بمثابة العروة الوثقى التي يعتصم بها، وهي بلسم الجروح ، وأمان الخائف، وقوة الضعيف، وسلاح الأعزل، يستعين بها على نوائب الدهر، وقهر الرجال وظلم الظالمين، وقد أمر الله تبارك وتعالى بالاستعانة بها في كتابه فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢٥٢)، وكان من شأن النبي عليه الصلاة والسلام أنه إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة . كما هو مروى عنه في الحديث^(٢٥٣)، وكان يقول لبلال رضي الله عنه أرحنا بالصلاة يا بلال^(٢٥٤) .

(٢٥١) انظر منهج الإسلام في تزكية النفوس أنس كرزون ص ١٦٥

(٢٥٢) سورة البقرة آية ١٥٣ .

(٢٥٣) رواه ابو داود في السنن بلفظ (كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)

برقم ١٣١٩ قال ابن حجر إسناده حسن، انظر فتح الباري ٢/٢٠٥ .

(٢٥٤) رواه ابو داود برقم ٤٣٣ صححه الالباني انظر صحيح سنن أبي داود ٧٨٩٢

ب - أثر الصلاة في حياة المسلم المعاصر :

١ - المسلم المرتبط بحياة الصلاة وحقيقة روحها في أجواء هذا العصر المادية الملتهبة المتقلبة، يعيش في ركوعه الخاشع، وسجده الخاشعة مستشعراً قربه من الله، ومعيته، يشعر أنه يأوي إلى ركن شديد، فينشأ عن ذلك أمناً واطمئناناً وثقة ونعيماً، ويحقق بذلك التفويض والتسليم والصبر على البلاء، والرضا بالقدر، ويتجدد عهد المسلم مع الله على الوفاء والصدق في عبوديته، ويقوى عنده الأمل الكبير في تأييد الله ونصره لعباده المؤمنين العاملين الصادقين .

٢ - الصلاة تعمل على تزكية النفس وتطهيرها من الصفات السيئة خاصة تلك الصفات التي غلبت على من يعيش حياة مادية، وصارت الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم، من مثل أمراض الحسد والحقد والبغي والظلم، وما ينشأ عن ذلك من تقاطع وتدابر وتباغض، تؤدي بالنتيجة إلى الشقاء والضيق والحياة النكدية .

٣ - إن لتكرار الصلاة المفروضة خمس مرات في اليوم الواحد أثراً عجبياً، ولفتة عظيمة، تظهر مدى ارتباط المسلم دائماً وأبداً، بنعيم الصلاة ولذتها، فالمسلم ما بين الصلوات يشعر أنه منذ قليل كان واقفاً بين يدي الله يسأله الهداية إلى

الصراط المستقيم، في خضوع وخشوع، ثم بعد قليل سيحين موعد الصلاة القادمة ليقف مرة أخرى بين يدي الله متذللاً خاشعاً فلا يليق به أن يتعد عن هذا المصدر الإلهي العظيم لحياة روحه ولذته ونعيمه وسعادته، ومن باب أولى أن لا ينسى الله بين الصلاتين أو يغفل عن ذكره، فيقدم على مخالفته ومعصيته^(٢٥٥).

ولزيادة الأمر وضوحاً وتأكيذاً لتأمل ما يلي :

- (أ)- يبدأ المسلم يومه بالوقوف بين يدي الله في صلاة الفجر مفتتحاً يومه بالمناجاة والتذلل والتعبد لله رب العالمين ، في وقوف خاشع، وركوع ذليل، وسجود، وذكر ودعاء .
- (ب)- بعد ما يقارب (٧) ساعات يعود مرة أخرى ليكرر نفس الموقف ويردد ذات الكلمات، ويجدد العهد نفسه في صلاة الظهر .
- (ج)- بعد ما يقارب ثلاث ساعات يرجع أيضاً لصلاة العصر، واقفاً، سائلاً طالباً من الله، بكل الأقوال والأفعال التي فعلها في صلاة الظهر .
- (د)- و بعد ما يقارب الساعتين والنصف يقف لصلاة المغرب، وبعدها بقليل - لا يتجاوز الساعة والنصف - يختم يومه

(٢٥٥) انظر منهج الإسلام في تزكية النفوس أنس كرزون ص ١٦٥

بصلاة العشاء وبتكرار وإعادة لما بدأ به يومه من تجديد للعهد مع الله وسؤال الهداية إلى الصراط المستقيم. (٢٥٦)

هذا ما يتعلق بتوقيت الصلوات المفروضة فضلاً عن النوافل المطلقة، في سائر اليوم. فقد يصل عدد ركعات المسلم اليومية إلى (٥٠) ركعة بين فريضة، وسنة راتبة وسنة مستحبة.

٤ - إن الحياة بصفة عامة تجعل الإنسان في مواجهة دائمة لضمان وجوده واستقراره، وبحثه عن سعادته، مما يؤدي إلى توترات نفسية نتيجة للتناقض بين ما يريده الإنسان وبين ما يمنعه من الوصول إلى رغبته. إن الإنسان في الزمن الأول كان يواجه الشدائد النفسية عند تعرضه لخطر حيوان مفترس، إلا أنه يصرف الطاقة التي توفرها الأعصاب والهرمونات الخاصة بالتوتر في مقاومة هذا الخطر أو الهروب منه أي يتوصل إلى حرق السكر في الدم الناتج عن هرمون الأدرينالين والكورتيزول، بهذه المقاومة.

أما إنسان هذا العصر فهو يتلقى الأذى والتحدي النفسي دون أن يتمكن من تصريف الطاقة في عملية فعلية،

(٢٥٦) هذا التقييد بالساعات هو التوقيت الغالب، وإلا فقد يكون الأمر يختلف في بعض الأماكن عن ما ذكر، والله أعلم.

فرجل الأعمال مثلاً يسمع خبر مزعج لانخفاض الأسهم في السوق فيزداد عنده السكر في الدم ويرتفع الضغط، وليس عنده ما يمكنه من عمل شيء تجاه ذلك .

والمسلم المعاصر الذي يسمع أخبار المسلمين هنا وهناك، بل وفي هذا العصر يشاهد ما يحدث في نفس اللحظة - عن طريق قنوات الفضاء - فيرتفع السكر في دمه ومع ذلك أيضاً هو لا يستطيع ، أن يصنع شيئاً فعلياً في مواجهة ذلك، ويتكرر هذا الأمر مرات ومرات ، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى خلل في وظائف الجهاز العصبي، يتسبب في إحداث اضطراب في التفكير والسلوك عند بعض المسلمين، لكن الصلاة التي تربط الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى عدة مرات في اليوم ، تجعله في حالة روحية مطمئنة ، تمكنه من التخفيف من حدة الانفعالات ، عند تلقي الأنباء المزعجة فيتلقاها بصبر وثبات، فما يحدث في الصلاة من تركيز انتباه وخشوع، وحركات متتابعة، تؤدي إلى تلطيف الآثار الشعورية والفسولوجية الناتجة عن الشدائد، وذلك لسابقية الاستعداد لدى المسلم من أجل التحكم في غضبه والتخلي بالصبر والثبات .^(٢٥٧)

(٢٥٧) الاستشفاء بالصلاة، دراسة حول الفوائد الصحية للصلاة، تأليف د. زهير رابع قرامي، مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي، ١٤١٧هـ. ص ٤٩

٥ - إن الراحة النفسية التي تمنحها الصلاة لمن يداوم عليها تؤدي إلى التخلص من الهموم والتوترات، وتضع المسلم في إطار عقائدي متماسك، تجعله باتصال دائم مع خالقه يستشعر منه الرحمة ويستمد منه العون، ويسأله التوفيق والفلاح في أمور الدنيا والآخرة. مما يؤدي إلى شعور المسلم بأنه باستمرار تحت عناية خالقه جل وعلا، خاصة وأن التوقيت الفاصل بين الصلوات يتدرج نحو التقلص إلى انقضاء اليوم. وقد تكون حكمة ذلك أن الإنسان يزداد تعبته في آخر اليوم مع أوله، مما يزيد في قابليته للتوتر. فكانت الصلوات متقاربة أكثر وبصفة تدريجية بعد الظهر حتى يتخلص المسلم بطريقة أسرع من آثار التعب والتوتر.

إن التركيز الذهني في الصلاة يؤدي إلى تحكّم مراكز القشرة المخية في عمل المراكز الأدنى، مما يجعل الجسم في حالة خشوع تام، وهذا طريق داخلي للاسترخاء بالتركيز الذهني في أجواء الصلاة الروحانية الهادئة. (٢٥٨)

ج - خطوات تحقيق الخشوع والتنعم بلذة الصلاة:

وهناك خطوات مهمة لإيجاد الروحانية التامة وتحقيق الخشوع في الصلاة، ذكرها كثير من علماء الإسلام، ومن ذلك

(٢٥٨) المصدر السابق ص ٥٣

ما ذكره الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه الإحياء، وأسوق ما ذكره^(٢٥٩) مبيناً أثره في إحداث الخشوع :

الخطوة الأولى : حضور القلب :

ومعناه أن يفرغ المسلم قلبه عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العلم بالفعل مقروناً به، ولا يكون الفكر جائلاً في غيره، ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه، وكان في قلبه ذكر لما هو فيه، ولم يكن فيه غفلة، فقد حصل حضور القلب.

وسبب حضور القلب : الهمة، فإن القلب تابع للهمة، فلا يحضر إلا فيما يهتم، ومهما أهتم المسلم أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى، فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه. والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعظلاً بل هو جائلاً فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا، فلا حيلة ولا علاج إلا بصرف الهمة إلى الصلاة، والهمة لا تنصرف إلى الصلاة ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى، وأن الصلاة وسيلة إليها، فإذا أضيف لذلك حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعها، حضور القلب في الصلاة .

(٢٥٩) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢١٥/١

الخطوة الثانية: التفهم :

التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ، فالتفهم هو اشتغال القلب على العلم بمعنى اللفظ. "وسببه، بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى، وعلاجه في إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر، وعلاج دفع الخواطر قطع موادها، وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة، لذلك ترى من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر .

الخطوة الثالثة: التعظيم :

هو حالة للقلب تتولد من معرفتين :

الأولى : معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان ، فإن من لا تعتقد عظمته لا تدعن النفس لتعظيمه.
الثانية : معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوباً. فيتولد من تلك المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه وهو ما يعبر عنه بالتعظيم.

(٢٦٠) انظر مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص ٢١

الخطوة الرابعة : الهيبة :

هي خوف منشؤه التعظيم، لأن من لا يخاف لا يسمى هائباً، فالهيبة خوف مصدره الإجلال .

وتتولد هذه الحالة، من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه، وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة، هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع عدم القدرة على الدفع .

الخطوة الخامسة : الرجاء :

وهو أن يرجو بصلاته ثواب الله عز وجل .

وسببه معرفة لطف الله وكرمه، وعميم إنعامه، ولطائف صنعه، ومعرفة صدقه في وعده بالجنة بالصلاة، فإذا حصل اليقين بوعدته والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة .

الخطوة السادسة : الحياء :

وينشأ الحياء من استشعار التقصير في العبادة، والعلم بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل، ويقوي ذلك المعرفة بعيوب النفس وآفاتهما، وقلة إخلاصها، وخبث دخيلتها، وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها، مع العلم بما يقتضيه جلال الله عز وجل، والعلم بأنه مطلع على السر

وخطرات القلب وإن دقت وخفيت، فهذه المعارف إن حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء^(٢٦١) ومجمل القول أن الصلاة تحقق للعبد المسلم ما يصبو إليه، من راحة واطمئنان، وإزالة للهموم والغموم، والمنغصات، وهي كذلك مبعدة عن الفحشاء والمنكر، ونهاية عن الإثم والعدوان، فهي بذلك موصلة إلى دار السعادة والرضوان.

والصلاة في الإسلام ركن من أركانه لا يستقيم دين المسلم إلا بها فهي الفريضة الرئيسة في الدين وهي أول ما يحاسب عنها العبد يوم القيامة، ومن جنسها كذلك نوافل ومستحبات مكملة للفرائض، كالسنن الرواتب، وقيام الليل، والضحى، والتنفل المطلق، الذي يزداد به العبد تقرباً إلى الله حتى يحبه الله، فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، ولئن سأل الله سيعطيه، ولئن استعاذ به ليعيذه.

(٢٦١) إحياء علوم الدين للغزالي ٢١٥/١.

ثانياً : ذكر الله :

أ - معنى الذكر :

الذكر في اللغة هو الحفظ للشئ وعدم نسيانه^(٢٦٢) .

فذكر الله تعالى هو حفظ الله عز وجل وعدم نسيانه وذلك باستحضار عظمته تبارك وتعالى دائماً، ووسائل ذلك كثيرة منها، التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والدعاء، وتلاوة القرآن، وعموم الأعمال الصالحة، بل قد جعل الله تبارك وتعالى الذكر قرين الأعمال الصالحة وروحها جميعاً من صلاة وصيام وحج وجهاد، وغير ذلك.^(٢٦٣)

ب - أوجه ورود الذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية :

نجد أن الذكر ورد في القرآن الكريم على الأوجه التالية :

١- الأمر به مطلقاً كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٢٦٤) . وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾^(٢٦٥)

(٢٦٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي ٢٥٧ / ١، ولسان العرب، ابن منظور ٣٠٨ / ٤ .

(٢٦٣) انظر الفوائد لابن القيم ص ٢٢٤ .

(٢٦٤) سورة الأحزاب آية ٤١ ، ٤٢ .

(٢٦٥) سورة الأعراف آية ٢٠٥ .

٢ - النهى عن ضده كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾^(٢٦٦) وقوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾^(٢٦٧).

٣ - تعليق الفلاح والنجاح على الإكثار منه كقوله تعالى ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢٦٨).

٤ - الثناء على أهله بقوله تعالى ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٢٦٩).

٥ - بيان خسارة من هوى عنه كما ورد في قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(٢٧٠).

٦ - جعل سبحانه ذكر العباد له ذكراً منه لهم فقال تعالى ﴿ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾^(٢٧١).

٧ - إخباره عز وجل أن الذكر أكبر من كل شئ كما قال تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾^(٢٧٢).

(٢٦٦) سورة الأعراف آية ٢٠٥

(٢٦٧) سورة الحشر آية ١٩

(٢٦٨) سورة الأنفال آية ٤٥

(٢٦٩) سورة الأحزاب آية ٣٥

(٢٧٠) سورة المنافقون آية ٩

(٢٧١) سورة البقرة آية ١٥٢

(٢٧٢) سورة العنكبوت آية ٤٥

٨ - جعله الله تعالى خاتمة الأعمال الصالحة ، كما في آية الصيام
 ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾^(٢٧٣)، وختم
 به الحج في قوله ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ
 كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾^(٢٧٤)، وختم به الصلاة في
 قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا
 وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾^(٢٧٥).

٩ - الإخبار عن أهل الذكر أنهم أهل الانتفاع بالآيات وأنهم
 أولوا الألباب دون غيرهم كما قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي
 الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾^(٢٧٦).

وورد الذكر في السنة النبوية على الأوجه التالية :

١- أن الذكر أزكى الأعمال، وأعظمها كما ورد في الحديث "ألا
 أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في
 درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن

(٢٧٣) سورة البقرة آية ١٨٥

(٢٧٤) سورة البقرة آية ٢٠٠

(٢٧٥) سورة النساء آية ١٠٣

(٢٧٦) سورة آل عمران ١٩٠ ، ١٩١

تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا
بلى يا رسول الله قال ذكر الله" (٢٧٧)

٢- أن الذاكرين هم أهل السبق، كما ورد في الحديث " سبق
المفردون، قالوا وما المفردون يا رسول الله ، قال الذاكرون
الله كثيراً والذاكرات" (٢٧٨)

٣- التشنيع على من جلس في مجلس فلم يذكر الله فيه، كما ورد
في الحديث " ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله
تعالى فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم
حسرة" (٢٧٩)

٤- بيان فضل من جلس في مجلس يذكر الله فيه، كما ورد في
الحديث " لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا
حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم
السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده" (٢٨٠)

٥- بيان أن الذكر خير ما يتمسك به، عند تراحم الأعمال، كما
قال عليه الصلاة والسلام لمن سأله عن شيء يتشبث به
وقد رأى شرائع الإسلام قد كثرت عليه فقال عليه

(٢٧٧) الترمذي في السنن كتاب الدعوات برقم ٣٢٩٩. صححه الألباني انظر
صحيح الكلم الطيب برقم ١

(٢٧٨) رواه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر
الله . رقم : ٢٦٧٦ .

(٢٧٩) رواه أبو داود رقم : ٤٨٥٥ صححه النووي انظر الأذكار للنووي برقم ٣٧٦

(٢٨٠) رواه مسلم رقم ٢٧٠٠ .

الصلاة والسلام: " لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى" (٢٨١)

- ٦ - الإخبار بأن مجالس الذكر هي رياض الجنة، كما ورد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر" (٢٨٢)
- ٧ - بيان شدة تحسر ابن آدم على ساعات الدنيا التي لم يذكر الله فيها، كما ورد في الحديث " ما من ساعة تمر بآدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة" (٢٨٣)

ج - أثر الذكر في حياة المسلم المعاصر :

ذكر علماء الإسلام آثاراً للذكر عجيبة، تجعل المسلم مريد السعادة، يلتزم بالإكثار منه، ويعايش الذكر دوماً وأبداً في خلواته، وجلواته، وفي سره وعلانيته، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن منزلة الذكر :

(هي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائماً يترددون. والذكر منشور الولاية، الذي

(٢٨١) رواد الترمذي في السنن رقم ٣٢٧٥ حسنه ابن حجر، انظر نتائج الأفكار ٩٣/١.

(٢٨٢) رواد الترمذي في السنن: رقم ٣٥٠٩ غريب، انظر ابن حجر نتائج الأفكار ٢٢/١.

(٢٨٣) رواد البيهقي في شعب الإيمان: برقم ٥١١ فصل في إدامة ذكر الله عز وجل، ضعيف جداً، انظر ضعيف الترغيب والترهيب للألباني برقم ٩١٣.

من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل. وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبورا. وعمارة ديارهم، التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً. وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق. وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب. والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات. إذا أضلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفرعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون. يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر المذكوراً، وهو جلاء القلوب و صقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلاها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً: ازداد المذكور محبة إلى لقاءه واشتياقا. وإذا واطأ قلبه للسانه في ذكره: نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضاً من كل شيء. به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار. زين الله به السنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل

كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء . وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ، ما لم يغلقه العبد بغفلته . قال الحسن تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة ، وفي الذكر وقراءة القرآن ، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق . (٢٨٤)

وذكر العلماء رحمهم الله تعالى فوائد وآثاراً عديدة لذكر الله أذكر أهمها :

- ١ - أنه يطرد الشيطان .
- ٢ - أنه يرضي الرحمن عز وجل .
- ٣ - أنه يزيل الهم والغم عن القلب .
- ٤ - أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .
- ٥ - أنه يقوي القلب والبدن .
- ٦ - أنه ينور الوجه والقلب .
- ٧ - أنه يجلب الرزق .
- ٨ - أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .
- ٩ - أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحي الدين، ومدار السعادة والنجاة .

(٢٨٤) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص ١ / ٤١٢

- ١٠ - أنه منجاة من عذاب الله .
- ١١ - أنه يورث حياة القلب .
- ١٢ - أنه يورثه الهيبة لله عز وجل لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى .
- ١٣ - أنه قوت القلب والروح .
- ١٤ - أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه .
- ١٥ - أنه يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت .
- ١٦ - أن ذكر الله يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن، ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف يجدها أماناً له، والغافل خائف مع أمنه، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا (٢٨٥)

(٢٨٥) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب (فصل فوائد الذكر ص ٦٩)

١٧ - أن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه .

١٨ - أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه، لكفى به، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة .

قال مالك بن دينار : ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل فليس من الأعمال أخف مؤونة منه ، ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجاً^(٢٨٦) .

١٩ - أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونوراً في الآخرة .

٢٠ - أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يجيبها إلى العبد، ويسهلها عليه، ويلذذها له، ويجعل قرّة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل ، والتجربة شاهدة بذلك وتوضحه^(٢٨٧)

(٢٨٦) انظر الأذكار للنووي دار القلم، طبعة ١٤٠٩هـ ص ١٤

(٢٨٧) النوازل الصيب ورافع الكلم الطيب (فصل فوائد الذكر ص ٦٩) ،

مرجع سابق .

وفي الواقع المعاصر درس العلماء^(٢٨٨) المحدثون أسباب تغير النفسيات وسبب جعلها تتفاءل أو تتشاءم، أو تحزن أو تفرح، إلى غير ذلك من التغيرات النفسية، فوجدوا أن هناك علاقة وطيدة بين تحول النفسية وما يسبق من أحداث داخلية، بمعنى أنه حتى تتغير نفسية الإنسان فلا بد له أن يحدث نفسه أولاً كأن يرى منظرًا مفرعاً فيحدث نفسه بهذا المنظر، أو يسمع كلمة محزنة فيظل يرددتها، أو كأن يتذكر موقفاً مؤلماً فيظل يشعر به ويناقشه .

فالذي يستديم ذكر الله تعالى، تتبرمج نفسيته على الرسائل الإيجابية، التي تزيده محبة لمن يذكره، وتعظيماً وإجلالاً له .

وعقل الإنسان لا يقف، فهو إما مشغول بالإيجاب، أو بالسلب، وذكر الله بجميع أنواعه يشغل العقل ويوجهه، فلذلك لا يجد العقل مجالاً للتفكير بالسلبيات .

ويذكر الدكتور صلاح الراشد خطوات مهمة لإتقان الذكر منها :

١- البداية بالذكر عند أول فكرة سلبية .

(٢٨٨) كن مطمئناً، د. صلاح الراشد، مركز الراشد للاستشارات النفسية والاجتماعية . ص ١٠٤

٢ - التنويع في ألفاظ الأذكار الواردة، فأجمل الذكر (لا إله إلا الله)، و(الحمد لله) ولكل ذكر موقف وميزة ف(الحمد لله) تخفف الآلام وتعزز الأفراح، و(الله أكبر) للعزة والنصر والفرح الشديد، و(سبحان الله) للتبصر والتفكير وأما (لا إله إلا الله) فلإعادة التوازن النفسي ومقاومة الفكر السلبي .

٣- أن يكون للذكر حلاوة وذلك بانتهاز بعض الفرص الجميلة، والهادئة لتعزيز مواقف الذكر، بصوت محبوب، وبنفس مريح، وبدون تغصب للذكر .

٤- اتباع برنامج محدد للذكر : فقد حرص الإسلام على برجة الإنسان برجة إيجابية، ولقد كان للذكر نصيب أوفر في برنامج الإنسان المسلم . وحرص الإسلام على مواقع مهمة، فمنها أول اليوم، وذلك بأذكار الصباح ، وهو أهم وقت في اليوم كله، فمن استطاع أن يكون سعيداً في بداية يومه، سيكون سعيداً باقي يومه . ومن اطمئن أول يومه اطمئن كامل يومه .

كما حرص الإسلام على أوقات ما بعد الصلوات حيث يكون المسلم في استرخاء تام، وعلى وقت ما قبل النوم ، وهو

وقت يعرف أهميته علماء النفس حيث تظل النفس تعمل طوال الليل بما نامت عليه. (٢٨٩)

د - نماذج من الذكر :

الأول : تلاوة القرآن الكريم :

إن تلاوة القرآن الكريم من أعظم ما يذكر به الله تعالى، ذلك أنه لا ذكر أعظم من كلامه عز وجل، وكلما كان المسلم كثير التلاوة للقرآن الكريم، دائم الاتصال بالله سبحانه وتعالى عن طريق التأمل والتدبر في كتابه، كلما عاش في راحة ونعيم عظيم.

١ - آداب التلاوة :

ومما يعين المسلم على حصول تلك المنفعة العظيمة هو التأدب بآداب التلاوة الظاهرة والتي من أهمها ما يلي :

(١) - أن يكون على طهارة، وعلى هيئة الأدب والسكون قائماً أو جالساً .

(٢) - أن يقرأ بترتيل، لأنه معين على التفكير في القراءة .

(٣) - مراعاة حق الآيات، وما تشتمل عليه من تسييح أو استغفار أو دعاء، أو سجود .

(٢٨٩) المصدر السابق ص ١٠٦

- (٤) - البداية بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
- (٥) - إخلاص هذا العمل وهو تلاوة القرآن الكريم وأن لا يريد به إلا وجه الله تبارك وتعالى. (٢٩٠)
- وكذلك التأدب بآداب التلاوة الباطنة ومن أهمها :
- (١) - فهم عظمة الكلام، وعلوه، وفضل الله تعالى، ولطفه بخلقه في إيصال كلامه إلى إفهام خلقه .
- (٢) - التعظيم للمتكلم سبحانه، فينبغي للتالي أن يحضر- في قلبه عظمة المتكلم، وأن ما يقرأه ليس من كلام البشر، ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته، وجلاله وأفعاله، فإذا حضر بباله العرش، والكرسي، والسموات، والأرض، وما بينهما من الجن، والإنس والدواب والأشجار، وعلم أنه يقرأ كلام خالقها ومدبرها، وتفكر في ذلك حصل التعظيم .
- (٣) - حضور القلب، وترك حديث النفس، والتجرد عند القراءة، وصرف الهم لذلك
- (٤) - التفهم، وهو أن يستوضح عن كل آية ما يليق بها، إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر

(٢٩٠) انظر التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، مكتبة المؤيد الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ص ٦٩ .

أفعاله، وذكر أحوال الأنبياء وأحوال المكذبين لهم وذكر زواجره ونواهيه، وذكر الجنة والنار، وذكر الأحكام الشرعية .

(٥) - التخلي عن موانع الفهم، كصرف الهم إلى إقامة الحروف، وما شابه ذلك .

(٦) - التخصيص، وهو أن يقدر أنه هو المقصود بكل خطاب القرآن، أمراً ونهياً، وعداً ووعداً .

(٧) - التأثر، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغير ذلك.^(٢٩١)

وذكر أحد الباحثين^(٢٩٢) في دراسة له عن أثر القرآن في النجاح في الحياة، عشرة مفاتيح رئيسة لتحقيق الإفادة من تلاوة القرآن وظهور أثرها، وهذه المفاتيح مجموعة في قولك (لإصلاح ترتج) وإيجازها على النحو التالي:

(٢٩١) إحياء علوم الدين ١/ ٢٧٢

(٢٩٢) الدكتور خالد عبدالكريم اللاحم، أستاذ القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . عنوان الدراسة: مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، نشر مطبعة سفير، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ص ١١

- (١) - (ل) قلب، والمعنى أن القلب هو آلة فهم القرآن، والقلب بيد الله تعالى يقلبه كيف شاء، والعبد مفتقر إلى ربه ليفتح قلبه، للقرآن فيطلع على خزائنه وكنوزه.
- (٢) - (أ) أهداف، أو أهمية، أي استحضار أهداف قراءة القرآن أي لماذا تقرأ القرآن؟ .
- (٣) - (ص) صلاة: أن تكون القراءة في صلاة .
- (٤) - (ل) ليل: أن تكون القراءة والصلاة في ليل، أي وقت الصفاء والتركيز.
- (٥) - (أ) أسبوع: أن يكرر ما يقرؤه من القرآن كل أسبوع حتى لو جزء منه.
- (٦) - (ح) حفظاً: أن تكون القراءة حفظاً عن ظهر قلب بحيث يحصل التركيز التام وانطباق الآيات عند القراءة.
- (٧) - (ت) تكرار: تكرار الآيات وترديدها لتحقيق مزيد من الثبوت .
- (٨) - (ر) ربط: ربط الآيات بواقعة اليومي وبنظرتك للحياة.
- (٩) - (ت) ترتيل: الترتيل والترسل في القراءة، وعدم العجلة، إذ المقصود هو الفهم وليس الكم، وهذه مشكلة الكثيرين، وهم بهذا الاستعجال يفوتون على أنفسهم خيراً عظيماً.

(١٠) - (ج) جهراً: الجهر بالقراءة؛ ليقوي التركيز ويكون التوصيل بجهتين بدلاً من واحدة؛ أي الصورة والصوت .

فهذه وسائل وأدوات يكمل بعضها بعضاً في تحقيق وتحصيل مستوى أعلى وأرفع في تدبر آيات القرآن الكريم، والانتفاع والتأثر بها. (٢٩٣)

٢ - حاجة المسلم المعاصر لتلاوة القرآن :

مما لا شك فيه أن هذا العصر تزاخت فيه الأعمال، وتسارعت فيه الأوقات، وطغت النظرة المادية على أفهام كثير من المسلمين، حتى أصبحوا بها يقيمون، ومنها ينطلقون، ونحوها يقصدون، وغدا معظم الناس حريصاً على جمع أكبر ما يمكن من المادة، والتفاخر بها، حتى ينال مكانة مرموقة بين الناس، وهذا أمر فيه من التنغيص والتكدير، والإزعاج للمسلم شيء كبير، فإن من اتبع زينة الحياة الدنيا قد أخبر الله عنه أن يصبح أمره فرطاً، وفكره متشتتاً، لا يستقر على حال ولا ينعم بهال، بل هو في كدر وضيق أبداً .

(٢٩٣) انظر: مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد اللاحم ص ١١ مطبعة السفير، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ .

والمسلم عندما يطالع القرآن الكريم تالياً آياته متدبراً عظاته، متفكراً في زواجره، ومردداً تسييحاته، معظماً لمولاه الكريم، تهون عنده هذه الدنيا فيتطلع إلى حياة أسعد وأهنأ، كيف وهو يقرأ في كتاب الله وصفاً كاملاً للحياة الدنيا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^(٢٩٤)، وفي وسط هذا الزخم الكبير من التركيز على الجانب المادي في الحياة المعاصرة نجد أن المسلم الذي يتلو القرآن الكريم يردد الآيات العظيمة المحقرة من شأن الدنيا وماديتها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾^(٢٩٥) وكقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٢٩٦)، بل هو يتذكر دائماً وأبداً أن هذه الدنيا ليست هي الحياة وإنما ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢٩٧). إلى غير ذلك من الآيات التي تهون من شأن الحياة الدنيا، وتعظم شأن الحياة الأخرى.

وكذلك ما يردده المسلم في قراءته للقرآن الكريم من ذكر كثير لنعيم الجنة، وما أعده الله تعالى فيها من النعيم المقيم

(٢٩٤) سورة الحديد آية ٢٠

(٢٩٥) سورة غافر آية ٣٩

(٢٩٦) الأعلى آية ١٦، ١٧

(٢٩٧) سورة العنكبوت آية ٦٤

والسعادة الأبدية، وبيان لما فيها من أشجار، وأنهار، وأزواج، ونعيم، وراحة تامة بكل ما تقتضيه الراحة والنعمة كما هو في قوله عز وجل: " ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون، وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيه فاكهة كثيرة منها تأكلون" (٢٩٨).

وفي تلاوة القرآن الكريم أيضاً تذكير للمسلم المعاصر بالثقة بنصر الله تعالى لعباده المؤمنين، وأن الله ناصر عباده المؤمنين، وأن هذه سنة الله في عباده، فيمر على تالي القرآن، كيف أن الله تعالى نصر موسى على فرعون وقومه، وكيف أنجى إبراهيم من الكيد العظيم فكانت له العاقبة ببقاء دعوته إلى يوم الدين، وكيف أن الله تعالى حفظ يوسف في محنته، ومكن له في الأرض، ويقرا في كتاب الله هلاك الظالمين والمعتدين من جميع الأمم، وأن هذه سنة الله في خلقه، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا

الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٢٩٩﴾.

ولذلك نجد أن المسلم في هذا العصر، مطالب أكثر من أي وقت مضى بكثرة تلاوة القرآن الكريم، حتى تتحقق له الطمأنينة والسعادة، المنشودة، وحتى يتغلب على القوى التي قد تؤثر على تفكيره واهتماماته من جراء النهم المادي المسعور في هذا الزمن .

وقد توفرت وسائل عصرية، وأساليب تقنية معاصرة، يمكن للمسلم من خلالها، وفي زحمة أعماله، وكثرت مشاغله، أن يداوم على تلاوة القرآن وسماعه، وذلك بوجود مصاحف مصغرة بحجم الجيب، يمكن اصطحابها، وبرامج القرآن الكريم، في الحاسب الآلي، وأيضاً، ما هو موجود في بعض أنواع أجهزة الهاتف النقال الآن من مصحف يظهر على شاشة الجهاز، وقد يتطور الأمر مستقبلاً حتى يصل إلى التلاوة المسموعة .

٣ - التأثير الفسيولوجي لتلاوة القرآن الكريم على الجهاز العصبي :

إن سماع القرآن الكريم وتلاوته يحدثان شعوراً عميقاً بالراحة والطمأنينة، ولقد صرحت الآيات الكريمة بأن للقرآن أثراً في الشفاء كما أن من واقع الممارسة يعالج كثير من المسلمين آلامهم وأمراضهم بتلاوة القرآن الكريم، وقد وجد أن للتلاوة دوراً في إزالة التوتر من الجسم، والقلق من النفس، وهذه ظاهرة كثيرة الحدوث ولها شواهد واقعية لا تحصى^(٣٠٠).

وقد أثبتت كثير من الدراسات العلمية الحديثة^(٣٠١) أن مجرد قراءة القرآن لها تأثير عجيب على الجهاز العصبي، وذلك بخفض شدة التوتر، وأذكر فيما يلي هذا البحث الذي أجري في عيادات ((أكبر)) في بنما سيتي بولاية فلوريدا كما يلي :

أجريت مائتان وعشرة تجارب على خمسة متطوعين هم ثلاثة من الذكور واثنتان من الإناث، تتراوح أعمارهم بين (١٧) و(٤٠) سنة ومتوسط الأعمار كان (٢٢) سنة وكلهم أصحاء.

(٣٠٠) الاستشفاء بالصلاة ص ٦١ مرجع سابق .

(٣٠١) تأثير القرآن على أعضاء الجسم البشري وقياسه بواسطة أجهزة المراقبة الالكترونية د . أحمد القاضي وآخر نشرة الطب الإسلامي العدد الثالث من أعمال المؤتمر العالمي الثالث عن الطب الإسلامي ص ٢٩٠ - ٢٩٤ ، نقلاً عن كتاب الاستشفاء بالصلاة ص ٦١ .

وكان كل المتطوعين من غير الناطقين بالعربية وكانت التجارب على النحو التالي :

(١) - تجارب صمت لم يسمع المتطوعون فيها أي قراءة.

(٢) - تجارب قرئت فيها قراءات قرآنية مجودة .

(٣) - تجارب قرئت فيها قراءات غير قرآنية .

وجد أن التجارب الأولى لم يكن لها أي تأثير مهدئ للتوتر، أما التجارب الثانية والثالثة، فهي المؤثرة .

وقد تم معرفة الفرق بين التجربتين الثانية والثالثة ، بقياس التيارات الكهربائية ، في العضلات ، حيث وجد أن النتائج إيجابية في (٦٥)٪ من تجارب القراءات القرآنية، بينما ظهر الأثر في (٣٥)٪ فقط من تجارب القراءات غير القرآنية .

ويستنتج من هذه التجارب أن للقرآن الكريم أثراً إيجابياً مؤكداً ، لتهدئة التوتر، ظهر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات ، وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيرات في الدورة الدموية وما يصاحب ذلك من تغير في عدد ضربات القلب ، وكمية الدم الجاري في الجلد ودرجة حرارة الجلد .^(٣٠٢)

(٣٠٢) انظر الاستشفاء بالصلاة د. زهير قرامي ص ٦١

الثاني: الدعاء :

الدعاء من أهم أنواع الذكر ، قال ابن القيم رحمه الله (وأنواع الذكر ثلاثة ، ثناء ودعاء ورعاية)^(٣٠٣) ، والدعاء من أعظم وسائل الصلة الإيمانية ، التي تحقق للمؤمن استعانته بربه ، وتيسر له قربه منه ، وتعرضه لرحمته ، وتجعله في موضع محبته ، ومن خلاله يجسد المؤمن العبودية والخضوع ، ويستشعر الخشية والخشوع ، ويستمد من الله القوة لضعفه ، والغنى لفقره ، والقدرة لعجزه ، فالدعاء شأنه عظيم ، وأثره كبير ، ومعانيه ودلالاته واسعة ، ومن هنا ندرك عظمة وبلاغة ووجازة قول المصطفى عليه الصلاة والسلام : "الدعاء هو العبادة"^(٣٠٤) .

وفي هذا العصر الحاضر كثرت الفتن ، وعظمت المحن ، واستعرت نيران الشهوات ، وتزخرفت ضلالة الشبهات ، وامتدت يد البغي بالعدوان على المؤمنين ، وتكالبت قوى الشر بالكيد والقهر على المسلمين ، وفي مثل هذا الزمان تكون الحاجة للدعاء أكد وألزم ، وتكون آثاره في إسعاد المسلم وطمأنينته أظهر وأعظم^(٣٠٥) .

(٣٠٣) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص ٤١٨

(٣٠٤) الترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة برقم

٢٨٩٥ ، حديث حسن انظر البيهقي شرح السنة ١٥٨/٣

(٣٠٥) أثر الدعاء في دفع المحذور وكشف البلاء ، د. محمد عقيل موسى ، دار

الأندلس الخضراء ، الطبعة السادسة ١٤٢٤هـ - ص ٧

أ - معنى الدعاء وحقيقته :

الدعاء هو استدعاء العبد ربه عز وجل العناية واستمداده إياه المعونة. (٣٠٦)

وأما حقيقته فإظهار الافتقار إلى الله، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذل والبشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه سبحانه وتعالى .

ولذلك فإن المسلم الذي يداوم على الدعاء ويكثر منه، أبدأً في جميع الأحوال والظروف ، يستشعر معية الله تعالى له، وحفظه إياه، في كل أموره، فيطمئن ويسعد، وليس كالذي لا يذكر الدعاء إلا في حالة الشدة والكرب، فبينهما من الفرق شيء كبير. بل خص رسول الله صلى الله عليه وسلم إجابة الدعاء في حالة الكرب والشدة لمن كان يكثر الدعاء حال الرخاء وذلك بقوله عليه الصلاة والسلام "من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدة فليكثر الدعاء في الرخاء" (٣٠٧)، وللدعاء سنن و آداب، وشروط وأسباب

(٣٠٦) شأن الدعاء للإمام الخطابي ص ٤ ، نقلًا عن كتاب أثر الدعاء في دفع المكروه وكشف البلاء ، عقيل موسى ، ص ١٥ مرجع سابق .
(٣٠٧) رواه الترمذي في السنن ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة برقم ٢٣٠٤ فيه حبيب بن ابي حبيب ، قال عنه ابن القيسراني كذاب ، انظر ذخيرة الحفاظ ٢١٩٧/٤

وموانع، متى قام بها المسلم حصل المقصود من الدعاء، وليس المجال هنا ذكر ذلك وتفصيله .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دعاء لا بد له من نتيجة، إيجابية للعبد، يحصل له بها المنفعة الدنيوية، والأخروية، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: (ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها مآثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يستجيب له دعوته أو يصرّف عنه من السوء مثلها، أو يدخر له من الأجر مثلها قالوا: يا رسول الله إذا نكث قال: الله أكثر^(٣٠٨). والله تبارك وتعالى في كتابه الكريم قد تكفل بإجابة دعاء عباده، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣٠٩)، وقال مبيناً قربه منهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(٣١٠).

(٣٠٨) انظر الترمذي، كتاب الدعوات، باب انتظار الفرج وغير ذلك، برقم ٢٤٩٧، وأيضاً مسند الإمام أحمد مسند المكثرين، باب مسند أبي سعيد الخدري برقم ١٠٧٠٩. حسن غريب انظر البغوي شرح السنة ١٦٠/٣

(٣٠٩) سورة غافر آية ٦٠

(٣١٠) سورة البقرة آية ١٨٦

ب - نماذج من الأدعية :

وأذكر فيما يلي نماذج من الأدعية الواردة في جلب السعادة للمسلم والتي ورد النص الشرعي بأن لها أثراً في حياة المسلم :

١ - دعاء الاستخارة :

روى الإمام أحمد في مسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل)^(٣١١)

وفي مشروعية دعاء الاستخارة وبيان كفيته ورد الحديث المشهور عن جابر بن عبد الله السلمي رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن، يقول : " إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام

(٣١١) رواه أحمد في المسند ، كتاب مسند العشرة المبشرين ، باب مسند سعد بن أبي وقاص برقم ١٣٦٧ ، إسناده ضعيف انظر صحيح المسند أحمد شاكر ٢٨/٣

الغيوب، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر - ثم تسميه بعينه - خيراً لي في عاجل أمري وآجله - قال: أوفي ديني ومعاشي وعاقبة أمري - فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه. اللهم إن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به".^(٢١٢)

ففي هذا الحديث يخبر جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم الاستخارة، أي كيفية صلاتها ودعائها، وهذا من تمام شفقتة صلى الله عليه وسلم بأصحابه، وحرصه على حضور الخير لهم ودفع الشر عنهم كما يعلمهم السورة من القرآن.

وفي هذا بيان لشدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم، بالاستخارة والعناية بها، وهذا من مزايا الإسلام الظاهرة لكل عاقل، فإن الملجأ الحقيقي للمسلم والحصن الحصين له هو الله تعالى وحده، لا شريك له، فهو العالم بكل شيء من خير أو شر والقادر على كل شيء، من جلب نفع أو دفع ضرر. فاللجوء إليه من مقتضيات الإيمان به والاعتراف بالوحيته وتفردته في أسمائه وصفاته، وفي هذا تربية للصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما كان يعمله العرب في الجاهلية، فإنهم كانوا إذا هم أحدهم بأمر

(٢١٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة، باب ما جاء في صلاة التطوع

أو حزبه شيء يذهب أحدهم " يستقسم بالأزلام، أو يذهب يزجر الطير ليستدل بطيرانه على ما سيحصل له في المستقبل، أو ذهب إلى الكهنة وإخوان الشياطين، وهذا كله رجم بالغيب وشرك بالله، فعوضه الإسلام عن ذلك بالفزع إلى من بيده أزمة الأمور كلها، ومن يملك الخير والشر، فيقدم بين يدي ذلك ركعتين، لتكونا وسيلة بين يدي الطلب ثم يتوجه إلى ربه بهذا الدعاء الذي فيه التوسل إليه سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، وتوحيد الطلب والنية والقصد".

وفي هذا تعظيم لله تعالى وتعظيم لقدرته سبحانه، وأنه سبحانه عرف عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته، وأنه هو المعبود وحده سبحانه المتصف بصفات الكمال والجمال على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى وعظيم سلطانه.

فعند ما يتردد المسلم بين أمرين، من الأمور المباحة، التي يعزم على قضائها، يلجأ إلى الله يستخيره، ويدعوه، ويسأله أن يوفقه لأي الخيرين هو أنفع له في دينه ودنياه، وهو إن فعل ذلك قد علق أمره بربه، فيطمئن مهما كانت النتائج لعلمه أن ما حصل له هو الخير الذي أراده الله له، ومن ثم يحصل له الاطمئنان والرضا والسعادة.

٢ - دعاء الهم والحزن :

وكذلك عندما يصيب المسلم هم أو غم أو حزن - لا سيما في حوادث هذا الزمان - فيلجأ بالدعاء الوارد الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : (ما أصاب أحدا هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً قال فقيـل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال بلى ، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها) (٣١٣).

٣ - من أدعية الكرب :

أ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل - عليه السلام - يا محمد قل : توكلت على الحي الذي لا يموت،

(٢١٢) رواه الإمام أحمد كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن مسعود برقم: ٢٩١، وصححه الألباني، انظر حصن المسلم سعيد القحطاني دار الطرفين، طبعة ١٤٢٢هـ ص ٨٢

والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً) (٣١١).

ب - عن علي رضي الله عنه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بي كرب أن أقول : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين) (٣١٢).

ج - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم) (٣١٣).

د - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ذات يوم فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال يا أبا أمامة: مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال: هموم لزممتني وديون يا رسول الله. قال أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟ قال قلت بلى يا

(٣١٤) أخرجه الحاكم (المستدرك / ١ / ٦٨٩) . وقال صحيح الإسناد

(٣١٥) أخرجه الحاكم (المستدرك / ١ / ٦٨٨) وقال صحيح الإسناد

(٣١٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب الدعاء عند الكرب

برقم ٥٨٦٩ .

رسول الله . قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبت الدين وقهر الرجال"، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله همي، وقضى عني ديني .(٣١٧)

هـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي أبو بكر رضي الله عنه فقال : هل سمعت من رسول الله دعاءً علمنيه؟ قلت وما هو؟ قال لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناً فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه (اللهم فارح الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمني فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك)(٣١٨)

٤ - أدعية جامعة :

عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : هذا ما سأل محمد ربه : (اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبتني وثقل موازيني ، وحقق

(٣١٧) رواه أبو داود في السنن، كتاب الصلاة باب في الاستعاذة، برقم ١٣٣٠، وأيضاً البخاري برقم ٥٠٠٥، ورقم ٥٨٩٢، بالفاظ أخرى .

(٣١٨) رواه الحاكم (١ / ١٨٩٨)

إيماني، وارفع درجاتي، وتقبل صلاتي، واغفر خطيئتي،
وأسألك الدرجات العلى من الجنة، آمين .

اللهم إني أسألك فواتح الخير وجوامعها، وأوله وآخره،
وظاهره وباطنه، والدرجات العلى من الجنة، آمين. اللهم إني
أسألك خير ما آتي وخير ما أفعل، وخير ما بطن، وخير ما
ظهر، والدرجات العلى من الجنة، آمين .

اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتصلح
أمري، وتطهر قلبي، وتحصن فرجي، وتنور لي قلبي، وتغفر لي
ذنبي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة، آمين .

اللهم إني أسألك أن تبارك لي في نفسي، وفي سمعي، وفي
بصري، وفي روحي، وفي خلقي، وفي خلقي، وفي أهلي، وفي
محياتي وفي مماتي، وفي عملي، وتقبل حسناتي، وأسألك
الدرجات العلى من الجنة آمين .^(٣١٩)

الخلاصة :

وهكذا نجد أن الأعمال الصالحة رافد مهم من روافد
السعادة، وباب كبير من أبواب السعادة ومدخلها العظام،
وكل الأعمال الصالحة هي كذلك، فأركان الإسلام جميعها - من
توحيد، وزكاة، وحج، وصيام، ونوافل عبادات - وفضائل

(٣١٩) رواه الحاكم (١ / ١٩١١)

أخرى كبر الوالدين، وصلة الرحم، والإحسان إلى الناس جميعها كذلك تورث السعادة، ولكن كان هذا المبحث مقتصراً على نماذج، من تلك الأعمال الصالحة، والطاعات الموصلة إلى الفلاح الكبير، وليس المجال هو مجال حصر للأعمال الصالحة، وتعدادها، وإنما هو ذكر بعض الأعمال الصالحة التي هي الركن الثاني من أركان النجاة من الخسران الوارد في كتاب الله كما قال الله تعالى: (والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)^(٣٢٠).

(٣٢٠) سورة العصر (٣.١)

المبحث الثالث الدعوة إلى الله

إن مقام الدعوة إلى الله تعالى عظيم جداً، حيث إنه مقام الأنبياء والمرسلين، ومقام الداعين الصادقين إلى الحق إلى يوم الدين، على مر العصور والدهور، وفي هذا الزمان الذي أصبحت فيه حاجة الناس إلى منهج الله كبيرة، بعد التخبط العجيب الذي يعيشون فيه ليس هناك طريق إلى إسعادهم، ونجاتهم ودلاتهم، إلا دعوتهم إلى الله تبارك وتعالى.

وحيث إن للدعوة إلى الله هذه المنزلة الكبيرة، التي تكمن في تخلص البشرية، كل البشرية من الشقاء، وإنقاذها من الجهالة، وإخراجها من الظلمات إلى النور، كان القائم بها له النصيب الأكبر من تلك المكانة، والمنزلة الرفيعة من بين سائر المنازل، وله الثمرة اليانعة في حياته الدنيا وفي الآخرة لقيامه بمهمة دعوة الناس إلى دين الله رب العالمين، وفي هذا المبحث سوف يتعرض الباحث لمعنى الدعوة إلى الله، ووجوبها، على المسلم، وذكر بعض صور ومجالات الدعوة إلى الله في هذا العصر، وأثر ذلك في إسعاد المسلم.

أ - معنى الدعوة إلى الله :

الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به ، بما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به^(٣٢١) .

وكلمة الدعوة مصطلح إسلامي خاص، وهناك علاقة وثيقة بين مدلول اللفظ في الأصل اللغوي وبين استعماله كاصطلاح، حيث نجد أن هذا اللفظ (الدعوة) لا يحمل إلا معنى واحداً وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، أي يدل معنى اللفظ على الإمالة والترغيب^(٣٢٢) . فالذي يدعو إلى الله يقوم بإمالة الناس وترغيبهم في دين الله تعالى ، ولا شك أن هذه الإمالة هي أحسن الأقوال على الإطلاق كما أخبر الله تعالى بذلك حيث قال : ((ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين))^(٣٢٣) ورسول الله الذي هو أسعد البشر قام بهذه الدعوة، فإنه أمر الخلق بكل ما أمر الله به، ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه . أمر بكل معروف ونهى عن كل منكر^(٣٢٤) .

(٣٢١) فتاوى ابن تيمية ١٥ / ١٥٧

(٣٢٢) انظر معجم مقاييس اللغة ابن فارس ٢ / ٢٩٧ والمنطلق محمد الراشد، دار المنطلق للنشر والتوزيع طبعة عام ١٤١٥ هـ . ص ٦٦ .

(٣٢٣) سورة فصلت آية ٣٢ .

(٣٢٤) مجموع الفتاوى ١٥ / ١٦١ .

والواقع أن الدعوة إلى الله هي وظيفة الرسل جميعاً، ومن أجلها بعثهم الله إلى الناس، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله، وإفراده بالعبادة، على النحو الذي شرعه لهم .

وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب، ومن باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله : الأمر به . وكل ما أبغضه الله ورسوله، من باطن وظاهر فمن الدعوة إلى الله النهي عنه . ولا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله، ويترك ما أبغضه الله، سواء كان من الأقوال أو الأعمال الباطنة أو الظاهرة^(٣٢٥).

ب - وجوب الدعوة إلى الله :

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة توجب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، منها ما كان خطاباً للنبي عليه الصلاة والسلام فتدخل أمته في الخطاب تبعاً له، ومنها ما خاطبت به الأمة مباشرة .

فمن الآيات التي خاطبت النبي عليه الصلاة والسلام :
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣٢٦) وكذلك قوله تعالى: **﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى**

(٣٢٥) انظر أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ص ٢٦ ومجموع الفتاوى ١٥ / ١٦٤ .

(٣٢٦) سورة النحل آية ١٢٥ .

هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿ وَأَيْضاً قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ ﴾^(٣٢٧).

ومن الآيات التي فيها خطاب مباشر للأمة بالدعوة إلى الله، قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(٣٢٨) وأيضاً قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(٣٢٩)، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(٣٣٠) وقوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾^(٣٣١).

وبين الرسول عليه الصلاة والسلام الفضل العظيم في هداية الناس فقال للصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه ((لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً من حمر النعم))^(٣٣٢).

(٣٢٧) سورة القصص آية ٨٧

(٣٢٨) سورة التوبة آية ٧١

(٣٢٩) سورة آل عمران آية ١١٠

(٣٣٠) سورة الحج آية ٤١

(٣٣١) سورة المائدة آية ٢

(٣٣٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي

رضي الله عنه، برقم ٤٤٢٣ .

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)^(٣٣٣)

وفي وجوب إنكار المنكر يقول عليه الصلاة والسلام ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))^(٣٣٤).

يتبين من هذا أن الدعوة إلى الله تعالى واجبة على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، وهذا شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ ما جاء به الرسول، والجهاد في سبيل الله، وتعليم الإيمان والقرآن^(٣٣٥).

ج - مجالات الدعوة إلى الله :

وتتعدد مجالات الدعوة إلى الله وتتنوع في هذا العصر، لكثرة المتغيرات والوسائل، والفرص المتاحة، فكما أن هناك نوع تطور في وسائل الصد عن سبيل الله، وإغراء الناس بزينه

(٣٣٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو

سيئة، برقم ٤٨٢١

(٣٣٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن

المنكر من الإيمان برقم ٧٠

(٣٣٥) المنطلق ص ٧٠، مرجع سابق.

الحياة الدنيا وشهواتها، ومحاولة إبعادهم عن دين الله، بوسائل متعددة، وتقنيات متطورة، فإن هناك أيضاً تعدداً لمجالات الدعوة إلى الله عند المسلم المعاصر، فبالإضافة إلى الوسائل العامة (الأصلية) في دعوة الناس كخطبة الجمعة، والمحاضرات العامة، والدروس العلمية، والوعظ والإرشاد العام، فإن هناك، مجالات كثيرة في الحياة المعاصرة، قد شملتها الدعوة إلى الله، ومن أمثلة ذلك، التقنيات المعاصرة مثل شبكات المعلومات، وبرامج الحاسب الآلي، والقنوات الفضائية، التي بدأ كثير من الدعاة اقتحامها في هذا العصر، ومحاولة مزاحمة أهل الباطل في التأثير على الناس بالخير والدعوة إلى الله، ضمن برامج وندوات، ومسابقات، تساهم في نشر الكلمة الطيبة بالأسلوب الحسن المتقدم المعاصر.

كذلك انتشرت كثير من التجمعات الشبابية في المراكز الإسلامية في بلدان العالم بلا استثناء، والمخيمات الموسمية، لإشغال شريحة الشباب بالنافع المفيد، وهذا من باب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى قيام أعداد كبيرة من الهيئات التطوعية، بالخدمات الاجتماعية العامة، من رعاية للأيتام وكفالتهم، ومساعدة للمحتاجين وإعانتهم. (٣٣٦)

(٣٣٦) انظر الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد خياط، دار المجتمع، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ. ص ١٦٢

وأيضاً ما تقوم به جمعيات تحفيظ القرآن الكريم من خدمة لكتاب الله تعالى، وتحفيظه للنشء، وتربيتهم على مائدة القرآن الكريم، وانتشار فروع تلك الجمعيات ليس في البلدان الإسلامية فحسب بل حتى في البلدان غير المسلمة، وأذكر على سبيل المثال، ما تقوم به رابطة العالم الإسلامي، في هذا المجال، بتعميد بعض الهيئات التابعة لها - مثل الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم - ببرامج لتحفيظ القرآن الكريم في معظم دول العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وكان لذلك أثر كبير في ربط أبناء المسلمين في تلك البلاد بالقرآن الكريم .

د - أثر الدعوة إلى الله في تحقيق السعادة في حياة المسلم المعاصر:

إن تعدد مجالات الدعوة إلى الله في هذا العصر، لا تجعل لأي مسلم حجة أو عذراً يبيح له التخلف عن المشاركة، ولا يمكن لأي أحد أن يتحجج بفرضية الكفاية، فإن حاجة المسلمين اليوم للدعوة إلى الله - في كافة نواحي الحياة - شديدة، والتخلف الحاصل في حياتهم لا يمكن أن يتلاشى أو يزول إلا بأن تكون الدعوة إلى الله تعالى، وخدمة دين الإسلام جارية في عروقهم سارية في دمائهم .

وإذا أضيف إلى ذلك تسلط الكافرين، واحتلالهم لبلدان إسلامية - أياً كان هذا الاحتلال مادياً أم فكرياً - وتربص أهل

الكفر بالمسلمين أن يتقدموا، فيقيمون لذلك المؤتمرات، والمعاهدات والاتفاقات، من أجل عدم تقدم المسلمين، إذا أضيف هذا إلى التخلف السابق لم يبق للمسلم عذر. بل لا يمكن أن يتصور أن يعيش المسلم في طمأنينة وسعادة وهو يعلم بحاجة أهل الإسلام، ثم هو لا يقدم شيئاً ولا يقوم بواجب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى. (٣٣٧)

ومن ثم كانت المشاركة في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، عملاً عظيماً من العمل الصالح، الذي هو سبب من أسباب السعادة، والمسلم الذي يعيش ضعف المسلمين اليوم، يجد السعادة واللذة في نصرتهم، والوقوف معهم وتقديم كل ما في وسعه وطاقته لإعانتهم، وهو يستشعر بهذا العمل أنه يقوم بمهمة الأنبياء والرسل الذين قاموا بتبليغ دين الله إلى الناس. وأنه على خطأ السعداء سائر، وفي طريقهم يخطو ويثابر.

وربما أن قصر مفهوم الدعوة إلى الله في تصورات بعض المسلمين اليوم، أدى إلى تراجع البعض منهم عن أعمال قد يكون بها انتصار كبير، وخدمة جليلة للإسلام، كالذي يتصور أن الدعوة إلى الله لا تكون إلا بالخطبة والموعظة الكلامية، أو

(٣٣٧) انظر منهاج النبوة في الدعوة إلى الله، مهدي ميجر، مطبوعات مؤسسة الحرمين الخيرية، ص ٢٩.

درس المسجد، فيضعف بالتالي عن مشاركة إخوانه المسلمين العاملين في أي مجال من مجالات الدعوة إلى الله. والواقع أن الدعوة إلى الله، قد تغلغلت في هذا الزمان في أوساط المجتمع - كل المجتمع - فلا تكاد تجد مجالاً من المجالات إلا وقائم بالدعوة هناك، يطلب من يعينه ويقف معه .

نماذج من مجالات الدعوة إلى الله :

أولاً: تعلم العلم وتعليمه (طلب العلم) :

إن التفريق الحادث بين طلب العلم و بين الدعوة إلى الله ،
تفريق ليس له مستند صحيح - وإن كان قد اشتهر ذلك - لأن
تعلم العلم إن لم يكن للعمل به (ومن العمل به تعليمه) فلا
فائدة فيه ، لأن المقصود من العلم هو العمل ، كما قال الله تعالى
﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ ، فبعد العلم مباشرة
يأتي الأمر بالاستغفار وهو من العمل ، وعن سفیان بن عيينه
أنه سئل عن فضل العلم فقال : ألم تسمع قوله حين بدأ به
﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ فأمر بالعمل بعد
العلم ، وقال : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب وهُوَ وَزِينَةٌ... ﴾
إلى قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾^(٣٣٨) وقوله
تعالى ﴿ وَاَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ... ﴾ ثم
قال : فاحذروهم ﴿^(٣٣٩) ، وقال ﴿ وَاَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ
شَيْءٍ... ﴾^(٣٤٠) ثم أمر بالعمل. ^(٣٤١)

(٣٣٨) سورة الحديد آية ٢٠ - ٢١ .

(٣٣٩) سورة التغابن آية ١٤

(٣٤٠) سورة الأنفال آية ٤١

(٣٤١) تفسير القرطبي ٢٠٥/١٦ مرجع سابق .

وهكذا نجد أن اقتران العلم بالعمل هو الغالب في النصوص الشرعية ، فعندما يعلم المسلم يجب أن يكون لهذا العلم أثرٌ في حياته ، وإنما يكون ذلك إذا سخر هذا العلم في تعليم غيره، وفي نشر الخير لأبناء الأمة، أما اكتساب العلم وطلبه ، للاستكثار من المسائل، أو للاستزادة من المعارف، فإن هذا لم يكن هو طريق المؤمنين الصالحين، الذين كان لهم دور في نهضة الأمة وبنائها ، وحال علماء الإسلام في القديم والحديث ، يشهد لهذا ، أنهم كانوا يقومون بنقل علمهم لغيرهم تعليماً وتربية ومخالطة لعامة الأمة وخاصتهم .^(٣١٦)

ولهذا الأمر (جعل الله تعالى شرط النجاة من الخسران - في سورة العصر - معلقاً بمعرفة الناس للحق، وإذا عرفوه ألزموا أنفسهم به ، ومكنوه من قلوبهم وعاشوا بالحق وللحق، ولا يعفون من المسؤولية ولا ينجون بأنفسهم إذا عرفوا الحق، ولم يبشروا به ويدعون الناس إليه، ويحملونهم حملاً على التمسك بالحق واتباع الحق .فالدعوة إلى الحق والتبشير به : فرع الإيمان بالحق ومعرفة الحق، ولا يتم الأصل بدون هذا الفرع، الذي هو الدعوة إلى الحق والتبشير به بين الناس ، ومن

(٣٤٢) هذا مع عدم التقليل من شأن العلم بحد ذاته ، فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مفتاح دار السعادة (١٥٣) وجهاً في فضل العلم وأهله ، انظر مفتاح دار السعادة ٢١٩/١ .

لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح، بعد أن يعرفه ويتبعه ، فهو من الخاسرين، لأن أمر الله تبارك وتعالى صريح في هذه الآية، وهو التواصي بالحق، والتواصي بالحق يحمل معنى الدعوة إلى الحق بكل صراحة وقوة، فإذا عرفت الحق ورأيت أهل الباطل يزيغون عن الحق، ولم تدعهم إلى اتباع الحق ، وتوصهم باتباع طريق الحق، الذي هو الصراط المستقيم، والنور المبين ، فلا شك أنك من الخاسرين، لأنك لم تنفذ أمر الله ، وتتواصى بالحق ، ولأنك أخذت الحق لنفسك ولم تحمل عليه غيرك ، من الزائغين المنحرفين أو المخطئين التائهين ، والمسلم لا يعيش لنفسه فقط، بل يعيش لنفسه وللناس ، فإذا أصلح نفسه : وجب عليه إصلاح غيره، والدعوة الى الإصلاح تشمل الناس جميعاً ، كل على حسب طاقته ، وبقدر نطاقه الذي يحيط به (٣٤٣).

وأما أثر التعلم والتعليم في جلب السعادة للمسلم في حياته الدنيا وفي الآخرة، فمما ينشأ عنه، من لذة لا تدانيها لذة، وممتعة في طلب العلم وتحصيله تفوق كل الملذات الأخرى، وقد ذكر كثير ممن عاشوا سعادة حقيقية في حياتهم الدنيا أن لطلب العلم دوراً بارزاً في ذلك ، ومنهم الإمام الجوزي رحمه

(٣٤٣) المنطلق، محمد الراشد ص ١٠٣ .

الله تعالى فقد كان يقول : (تأملت أحوال الناس في حالة علو شأنهم، فرأيت أكثر الخلق تبين خسارهم حينئذ، فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب، ومنهم من فرط في اكتساب العلم، ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات، حينئذ كلهم نادم في حال الكبر، حين فوات الاستدراك، لذنوب سلفت، أو قوى ضعفت، أو فضيلة فاتت، فيمضي زمان الكبر في حسرات ، فإن كانت لشيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت قال وأسفاه على ما جنيت وإن لم يكن له إفاقة سار متأسفاً على فوات ما كان يلتذ به، فأما من أنفق عصر الشباب في العلم، فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جنى ما غرس و يلتذ بتصنيف ما جمع ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئاً، بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم ، هذا مع وجود لذاته في الطلب الذي كان تأمل به إدراك المطلوب، وربما كانت تلك الأعمال أطيب مما نيل منها، كما قال الشاعر :

أهتز عند تمني وصلها طرباً ** ورب أمنية أحلى من الظفر
ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي، الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا ما لو حصل لي ندمت عليه ثم تأملت حالي فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم،

وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم، لا يقاوم فقال لي ابليس ونسيت تعبك وسهرك فقلت له أيها الجاهل تقطيع الأيدي لا وقع له عند رؤية يوسف، وما طالت طريق أدت إلى صديق .

ولقد كنت في حلاوة طلب العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو ، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي للحديث وآداب سير الرسول عليه الصلاة والسلام، وأحواله وآدابه وأحوال الصحابة وتابعيهم، فصرت في معرفة طريقه كابن أجود، وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرك بالعلم ، حتى أني أذكر في زمن الصبوة ووقت الغلظة والعزبة قدرتي على أشياء كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال، ولم يمنعني منها إلا ما أثمر عندي من العلم من خوف الله عز وجل^(٣٤٤).

(٣٤٤) صيد الخاطر، دار اليمامة للطباعة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ص ٢٦٧،

ولما كان من مقتضيات تعلم العلم العمل به وتبليغه للناس، فقد كان لابن الجوزي رحمه الله تعالى النصيب الأكبر من ذلك، فقد تاب على يديه في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يديه أكثر من مئتي نفس، وكم سألت عين متجبر بوعظه ودعوته لم تكن تسيل، وكان يجلس حوله في المجلس الواحد أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من رق قلبه أو دمعت عينه^(٣٤٥).

وهكذا نرى أن طلب العلم إذا رافقه العمل حصل به المقصود من إسعاد المسلم في حياته الدنيا وفي الآخرة، أما ما يلاحظ في هذا العصر من كثرة من يتعلم، وقلة من يستفيد من علمه في إسعاد نفسه، فيرجع ذلك إلى أسباب لعل من أبرزها ضعف الإخلاص في طلب العلم، أو طلب العلم وتعلمه للدنيا ولنيل عالي الدرجات، أو عدم معرفة الطريقة الصحيحة للتعلم، أو عدم تبليغ العلم وإيصاله للناس إلى غير ذلك من الأسباب التي أدت إلى عدم الوصول إلى الثمرة الحقيقية من العلم^(٣٤٦).

ويكفي شرفاً للعلم وتعلمه أحاديث عدة رويت في شأن العلم وتعلمه منها، ما رواه الصحابي الجليل معاذ بن جبل

(٣٤٥) المصدر السابق ص ٢٦٨

(٣٤٦) انظر الركائز الأساسية لطالب العلم، وحيد بالي، مكتبة التابعين،

طبعة علم ١٤١٧هـ ص ٧

رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قرابة ، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم، ويقتدي بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خدمتهم، وبأجنتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البحر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصاييح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، هو إمام العمل، والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء) (٣٤٧).

(٣٤٧) رواه ابن عبد البر، مختصر جامع بيان العلم وفضله، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤١٣. ص ٥٣ قال ابن القيم موقوف على معاذ، مفتاح دار السعادة ٥٣٢/١، وقال الألباني موضوع، ضعيف الترغيب والترهيب برقم ٤٧ .

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن مما يلاحظ اليوم على واقع الكثير من المسلمين المعاصرين ، ضعف اهتمام الفرد بالمجتمع وقضاياها وبالأمّة ومصيرها ، فقد أصبح هذا الإحساس معدوماً أو غائباً، بل ربما كان مغيباً حتى عن النشء الصاعد من أبناء هذا الجيل، ومما زاد الأمر خطورة عدم استشعار الانتفاء للأمّة عند الكثيرين ، وما ذاك إلا بسبب التبعية الثقافية والفكرية للعلم المتحضر ، الذي تشكل فيه الأنانية النسبة العالية بين الأفراد ، والذي أصبحت المصلحة الشخصية فيه هي الهدف الأسمى.^(٣٤٨)

ولما كان المسلم ينتمي إلى أمّة هي خير أمّة أخرجت للناس، كان من الضروري عليه المعيشة الكاملة لكل خصائص هذه الأمّة ، والاقترداء بمن جعلهم الله تبارك وتعالى نبزاً للأساتذة للحائرين ، وهداة للضالين ، من أنبياء الله ورسله وأتباعهم الصادقين المخلصين، ومن أجل ما تميزت به هذه الأمّة العظيمة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،^(٣٤٩) هذه الميزة التي وصف الله تعالى بها نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام

(٣٤٨) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار المجتمع للطباعة الرابعة ١٤١٠هـ. ص ٣٠ .

(٣٤٩) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في حفظ الأمّة د. عبدالعزيز المسعود ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ٤٤/١ .

في كتابه الكريم ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣٥٠)، وكذلك هو وصف للأمة جميعاً ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣٥١)

وهو وصف أهل الإيمان كذلك ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣٥٢).

أ - أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق السعادة:

قد ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم سبل فلاح النفس الإنسانية وتزكيتها وأمر بتحقيق ذلك والحث عليه، فقال سبحانه وتعالى ((قد أفلح من زكاها))^(٣٥٣)، وبين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وسائل نيل ذلك الفلاح بقوله تعالى ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون))^(٣٥٤) وبقوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون))^(٣٥٥) فالفلاح في الآيتين الأخيرتين تعلق بالدعوة إلى الخير وبالأمر بالمعروف والنهي

(٣٥٠) سورة الأعراف آية ١٥٧

(٣٥١) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٣٥٢) سورة التوبة آية ٧١

(٣٥٣) سورة الشمس آية ٩

(٣٥٤) آل عمران آية ١٠٤

(٣٥٥) سورة المائدة آية ٣٥

عن المنكر وبالتقوى والعمل الصالح وبالجهاد مما يدل على أن الفلاح المتعلق بتزكية النفس يدخل فيه هذا كله. (٣٥٦)

والدعوة إلى الخير والمعروف تؤكدهما في النفس وذلك يزكيها، والنهي عن المنكر يقبحه في النفس وذلك يزكيها، ولا يتصور أن يعيش المسلم في سعادة ونعيم، في عصر ملئ بالمنكرات الأخلاقية، والفكرية، والاجتماعية، وهو لم يتحرك منه ساكن تجاه ذلك كله، ولم يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إن القلق النفسي الذي يعاني منه المؤمنون تجاه المنكرات القائمة هو قلق طبيعي يبعث المؤمن على تغيير المنكرات على قدر استطاعته بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وإن كان ذلك أضعف الإيمان كما جاءت الإشارة إلى ذلك في الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان) (٣٥٧).

(٣٥٦) انظر تفسير ابن كثير دار المعرفة بيروت ١٤٠٩هـ ٥٥١/٤

(٣٥٧) سبق تخريجه ص ٧٢

ب - صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن المسلم المعاصر الذي تحددت لديه معالم طريق السعادة، يجد أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمشاركة فيه باب واسع جداً وله صور متعددة أذكرها إجمالاً بناءً على استقراء الواقع الدعوي، فمن ذلك :

١ - المشاركة في عموم الأعمال الدعوية، من برامج توعية الناس بأمور الدين، أو مساعدة الفقراء والمساكين، أو قضاء حوائج المحتاجين ، ويدخل في ذلك كل عمل يمكن للمسلم القيام به للناس على قدر استطاعته، فالذي يشارك في نشر الخير بين الناس بأي مشاركة كتوزيع الإعلانات للمحاضرات والندوات، أو الأشرطة والكتيبات، أو توزيع الأطعمة والأغذية على مستحقيها، أو غير ذلك من الأعمال كلها داخلة في باب الأمر بالمعروف .

٢- إقامة البرامج البديلة للغشاء السائد في مجالات الثقافة والإعلام المعاصرة، من قنوات فضائية، أو مجلات دورية، أو مواقع الكترونية، وتحديث وسائل دعوية تناسب مستوى العصر، كل ذلك يدخل في باب النهي عن المنكر.

- ٣ - مخالطة أفراد المجتمع ، في مجالسهم ومنتدياتهم وحثهم على أمور الدين وتعليمهم ما يجهلون منه، وإرشادهم إلى البعد عن المعاصي وترك ما حرم الله تعالى بالأسلوب الحكيم. (٣٥٨)
- ٤ - تربية الأبناء على الالتزام بأحكام الإسلام باطنياً وظاهراً، وتدريبهم على أفعال الخير وتعويدهم على الأعمال الصالحة منذ الصغر . وفيما قص الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم علينا من وصايا لقمان لابنه فوائد عظيمة حيث خصص له وصية عظيمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أمره بالصلاة ((يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)) (٣٥٩).
- ٥ - تذكير الناس بالصلاة في أوقاتها ، وأمرهم بالمسارعة لها، في الأماكن العامة، والمنتديات، والأسواق. وقد تكون هذه الصورة هي المشهورة عند الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بينما الأمر أعم من ذلك، كما ذكرنا .

(٣٥٨) انظر الأسلوب التربوي في الدعوة إلى الله ص ١٦٣

(٣٥٩) سورة لقمان آية ١٧

٦ - محاربة الرذيلة، والفساد، والفواحش في المجتمع بأي وسيلة مناسبة، وإعانة الجهات المسؤولة عن ذلك، والتعاون مع تلك الجهات على البر والتقوى .

٧ - التربية الدعوية لشباب الإسلام على منهج الإسلام الشامل لكل نواحي الحياة، وإعداد شخصيات إسلامية دعوية، قادرة على تحمل الدعوة إلى الله، والسير في طريق الله، للتمكين للإسلام في الأرض، وإصلاح أوضاع المجتمع، والاهتمام بقضايا المسلمين.

ثالثاً : الجهاد في سبيل الله :

معنى الجهاد :

لغة : من المشقة و بذل الوسع ، وجهد الرجل في كذا أي جد فيه و بالغ^(٣٦٠).

اصطلاحاً : يعرفه عبد الله عزام بقوله (اتفق الفقهاء الأربعة على أن الجهاد هو القتال والعون فيه)^(٣٦١).

قال الله تعالى : ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣٦٢).

(٣٦٠) مختار الصحاح ص ١١٤

(٣٦١) عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر دار المجتمع ، الطبعة ١٤٠٨ هـ ص ٦. (نقلاً عن الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله)

وهذا هو الجهاد الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الجنة تحت ظلال السيوف))^(٣٦٣) .

ولأهمية الجهاد في حياة المسلم وأمته ولأن في تركه النذل والصغار حذر النبي عليه الصلاة والسلام من التشاغل عن الجهاد بأي أمر من الأمور لأن ذلك يورث النفاق، قال عليه الصلاة والسلام ((من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق))^(٣٦٤)، وقال أيضاً (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)^(٣٦٥) .

نرى من ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام جعل ترك الجهاد نكوصاً عن الدين ، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (إن التشاغل عن الجهاد بالتجارة والزراعة والمعاملات الربوية من أسباب ذل المسلمين وتسليط أعدائهم عليهم كما هو الواقع)^(٣٦٦) .

(٣٦٢) سورة التوبة آية ٨٨

(٣٦٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد باب الجنة تحت بارقة السيوف برقم ٢٦٠٧

(٣٦٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ، باب من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو برقم ٣٥٢٣

(٣٦٥) رواه أبو داود في السنن كتاب البيوع ، باب النهي عن العينة ، برقم ٣٠٠٣ روي من وجهين ضعيفين ، السنن الكبرى للبيهقي ٣١٦/٥

(٣٦٦) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر - ص ٥٥

وباب الجهاد مفتوح إلى يوم القيامة، وحاجة المسلمين اليوم إليه على أشدها في وقت سلبوا فيه الأرض، والمقدسات وغربت فيه شمس العزة الإسلامية عن الدنيا، وتسلم أعداء الله زمام الأمور. (٣٦٧)

ومن يقتل مجاهداً في سبيل الله فقد نال السعادة يقيناً، بما أعده الله تبارك وتعالى له من الجزاء الأخروي العظيم، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (للسهيد عند الله ست خصال، يغفر له عند أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويؤمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين من أهل بيته) (٣٦٨)، ومن قتل مجاهداً في سبيل الله، فهو حي، عند الله تبارك وتعالى كما روى عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانكم بأحد: جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة

(٣٦٧) منهج الإسلام في تزكية النفوس أنيس كرزون ص ٢٢٠

(٣٦٨) إسناده صحيح انظر مشكاة المصابيح برقم ٢٧٥٧

نرزق لثلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله سبحانه أنا أبلغهم عنكم^(٣٦٩) قال : فأنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٣٧٠).

و لما كان الجهاد بهذا المفهوم من المسائل العامة للأمة فإنه لا يتسرع في إيجابه على كل المسلمين بل يوكل ذلك إلى علماء الأمة، فهو من باب مسائل السياسة الشرعية التي يراعى فيها جانب القوة والضعف وإعداد العدة لملاقاة الكافرين وترجح المصلحة في القتال ، إلى غير ذلك من الأمور المهمة ، و لكن الذي يجب أن يكون حاضراً في ذهن المسلم هو أن الجهاد عامل أساسي من عوامل النصر والتمكين، وأنه حتى تقوم قائمة للإسلام لا بد من وجود فئة مجاهدة تقاتل في سبيل الله قد باعت أرواحها لله تعالى .

الخلاصة :

يتضح لنا من هذا المبحث أن باب التواصي بالحق - والذي هو الركن الثالث من أركان النجاة من الخسران ونيل السعادة - هو الدعوة إلى الله بمفهومها الواسع الشامل، والتي تشمل العلم، طلباً وتعليماً وتشمل النصيحة للمسلمين ، جميعاً،

(٣٦٩) رواه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة ، برقم ٢١٥٨ قال

الزيلعي معناه في مسلم ، الكشاف ١ / ٢٤٢

(٣٧٠) سورة آل عمران آية ١٧٠

بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وتشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بآدابه وأساليبه، وتشمل الجهاد في سبيل نصرته الدين، بعموم أنواع الجهاد المشروعة .

فعندما يكون المسلم داعياً إلى الله تعالى، متواصياً مع إخوانه المسلمين بالحق، دائماً، في كل أحواله، فقد حقق سبباً عظيماً من أسباب السعادة المنشودة .



المبحث الرابع حسن الخلق

إن المسلم إذا اتصف بحسن الخلق حاز سبقاً عظيماً في تعامله مع من حوله، بل حتى في تعامله مع ذاته هو، فسوف يجد طمأنينة واستقراراً كبيرين، ثمرة لتوافق ما يحمل من إيمان وعمل صالح مع ما يتحلى به من أخلاق كريمة قد حث الإسلام عليها. ^(٣٧١)

ومن يتأمل أحوال البشر جميعاً يجد أنهم قد فطروا على قبول ما يستحسن من الأخلاق، ورفض ما يكره منها، وقد كان الناس وهم يعيشون في جاهلية جهلاء يقدرون صاحب الأخلاق الكريمة، ويكبرونه، ويحترمونه، لاتصافه بحسن الخلق.

ولذلك عبر رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أهمية الأخلاق والاتصاف بها بقوله (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) ^(٣٧٢)، ووصف عليه الصلاة والسلام حسن الخلق بأوصاف عظيمة، وأنزل صاحبها منازل رفيعة فمن ذلك أن صاحب الأخلاق الحسنة هو أحب عباد الله إلى الله، وأن خير ما أعطي الإنسان الخلق الحسن، وأن صاحب الخلق الحسن هو

(٣٧١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي ١٧٧/٣

(٣٧٢) رواه احمد رقم ٨٩٢٩. صححه الألباني انظر صحيح الأدب المفرد ٢٠٧

أحسن الناس إسلاماً، وأكملهم إيماناً، وأيضاً فإن صاحب الخلق الحسن يصل بحسن خلقه درجة الصائم القائم، كل تلك العبارات في بيان أهمية حسن الخلق تبين ما له دور كبير في صياغة الشخصية المسلمة السعيدة. (٣٧٣)

وهو قبل ذلك خلق الرسول عليه الصلاة والسلام الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣٧٤) وهو وصيته لأصحابه رضي الله عنهم ووصية أصحابه بعضهم بعضاً.

وسوف يعرض المؤلف في هذا المبحث إلى معنى الخلق، ومعنى حسن الخلق وأركانه وأثره في تحقيق السعادة في حياة المسلم، ونماذج من أهم الأخلاق الإسلامية العظيمة.

أولاً: معنى الخلق :

الخلق - بضم اللام وسكونها - هو الدين والطبع والسجية . وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختلفة (٣٧٥).

(٣٧٣) انظر الخلق الكامل، محمد جاد المولى ٣/١

(٣٧٤) سورة القلم آية ٤

(٣٧٥) لسان العرب لابن منظور ١٩٤/٤

ويفصل الغزالي رحمه الله تعالى في تعريف الخلق فيقول :
 (ويراد بالخلق الصورة الظاهرة ، ويراد بالخلق الصورة الباطنة،
 وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح
 ونفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة ، إما
 قبيحة وإما جميلة، فالنفس المدركة بالبصيرة ، أعظم قدراً من
 الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمر الإنسان، بإضافته
 إليه، إذ قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
 طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٣٧٦)
 فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح إلى رب
 العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد، فالخلق
 عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة
 ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث
 تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت
 تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة
 سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً .^(٣٧٧)

(٣٧٦) سورة الصافات آية ٧١

(٣٧٧) إحياء علوم الدين للغزالي ٥٣/٣

ثانياً : معنى حسن الخلق :

يعرفه الإمام أحمد رحمه الله بأنه: (سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال ، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس) .

وهو في ذات الله تعالى أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله ونواهيه ، يفعل ما فرض عليه ، طيب النفس به سلساً نحوه ، وينتهي عما حرم عليه واسعاً به غير متضجر منه، ويرغب في نوافل الخير، ويترك كثيراً من المباح لوجه الله تعالى إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله ، مستبشراً لذلك غير ضجر منه ولا متعسر به .

وهو في المعاملات بين الناس: أن يكون سمحاً بحقوقه، لا يطالب غيره بها، ويوفي ما يجب لغيره عليه منها، فإن مرض لم يعد ، أو قدم من سفر فلم يزر أو سلم فلم يرد عليه، أو ضاف فلم يكرم، أو شفع فلم يجب، أو أحسن فلم يشكر، أو دخل على قوم فلم يمكن ، أو تكلم فلم ينصت له، أو استأذن على صديق فلم يأذن له، أو خطب فلم يزوج، أو استمهل الدين فلم يمهل أو استنقص فلم ينقص، وما أشبه ذلك، لم يغضب، ولم يعاقب، ولم يتنكر من حاله حال، ولم يستشعر في نفسه أنه قد جفي وأوحش، وأنه يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله، بل يضم أنه لا يعتد بشيء من ذلك، ويقابل

كلاً منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب، إلى البر والتقوى، وأشبهه بما يحمد ويرضى، ثم يكون في اتقاء ما يكون عليه بما يجب أن يكون له، فإذا مرض أخوه المسلم عاده، وإن جاءه في شفاة استشفع له، وإن استمهله في قضاء دين أمهله، وإن احتاج إلى مئونة، وإن احتاج منه إلى معونة أعانه، وإن استسمح له في بيع سمح له، ولا ينظر للذي عامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا، أو كيف يعامل الناس، إنما يتخذ الأحسن إماماً لنفسه، فينحو نحوه ولا يخالفه) (٣٧٨).

ثالثاً: أركان حسن الخلق :

الأخلاق الحسنة التي يجب على المسلم التحلي بها كثيرة متعددة، وحصرها وتعدادها ليس هو مجال البحث، ولكن هناك أركان أساسية تدرج تحتها كل الأخلاق الإسلامية، وهي :

١ - العلم الموافق للكتاب والسنة.

٢ - الشجاعة .

٣ - العفة .

٤ - الصبر . (٣٧٩)

(٣٧٨) شعب الإيمان للبيهقي ٦/٢٣٠.

(٣٧٩) هداية المشتاق إلى محاسن الأخلاق عبد الله شقيبيل، دار القاسم الطبعة

الأولى ١٤٢٣هـ ص ٢٤.

الركن الأول: العلم الموافق للكتاب والسنة :

إن كل صفة مدح الله تعالى بها العبد في القرآن فهي ثمرة العلم ونتيجته، وكل ذم ذمه فهو ثمرة الجهل ونتيجته، فمدحه بالإيمان وهو رأس العلم ولبه، ومدحه بالعمل الصالح الذي هو ثمرة العلم النافع، ومدحه بالشكر، والصبر، والمسارة في الخيرات، والحب له، والخوف منه، والرجاء، والإنابة، والحلم، والوقار، واللب، والعفة، والكرم، والإيثار على النفس، والنصيحة لعباده، والرحمة بهم والرافة، وخفض الجناح، والعفو عن المسيء، إلى سائر الأخلاق المحمودة والأفعال المرضية. (٣٨٠)

وعندما ينحرف العلم عن حدود الاعتدال فإنه ينحرف إما إلى جهل ناتج عن تفريط في تحصيل العلم، أو إلى ضلال ناتج عن إفراط منحرف في تحصيل العلم، يخرج عن حدود مصدره التشريعي الكتاب والسنة، والاستعاضة عنهما بمصادر أخرى موافقة للأهواء .

(٣٨٠) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١١٧/١

الركن الثاني: الشجاعة :

الشجاعة لغة هي : شدة القلب في البأس^(٣٨١).

واصطلاحاً : انقياد قوة الغضب للشرع في إقدامها وإحجامها ، فهي تقدم إن انتهكت حرمانات الله وتحجم إن نادى داعي الهوى لانتصار النفس، فالشجاع هو الذي يغضب لله ، وفي الله ، ومن أجل محارم الله ، لا من أجل الانتصار لنفسه.

ولذلك الشجاع حقيقة هو من ظهرت عليه علامات الشجاعة التي تتمثل في الخصال التالية : [كظم الغيظ - العفو - الإحسان - الحلم - الأناة - الرحمة - الرفق - سلامة الصدر - حسن الظن - التوقير - التبسم - طلاقة الوجه - التواضع - التودد - الستر - التسامح - الشهامة - النجدة - والغضب لله]^(٣٨٢).

فالمسلم في هذا الزمان معرض لكثير من الظروف والأحوال التي يكون فيها اختباره عن حسن خلقه، ومدى تطبيقه لما يحمل من إيمان، فالمسلم الشجاع إذا أخطأ عليه أحد من إخوانه خطأ في شخصه يكظم عندها غيظه ، ويعفو عنه،

(٣٨١) لسان العرب لابن منظور ٣٦/٧

(٣٨٢) انظر هداية المشتاق ص ٢٧

بل ويحسن إليه، ويتأنى في أموره كلها، ويرحم من تحت يديه، ويرأف بهم، وينقي صدره من الغل والحقد على المسلمين، ويحسن ظنه دائماً وأبداً، ويوقر من هو أكبر منه اعترافاً بسابقته واحتراماً لشيبته، ويصحب الابتسامة، فإن لها تأثيراً عجبياً في تغيير نفسيته، إلى الأفضل، ويطلق وجهه لمن لقيه، متواضعاً، متودداً، متحبباً لإخوته، ساتراً لما يقع من عيوب وأخطاء لا يجب نشر الفضائح والفتن بين الناس، متسامحاً، هيناً في يد إخوانه، ذو شهامة ونجدة، ومساعدة ومبادرة، متعاوناً مقدماً غيره على حظوظ نفسه.

الركن الثالث: العفة :

العفة لغة هي: الكف عما لا يحل ويجمل^(٣٨٣).

واصطلاحاً: تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع^(٣٨٤).

وللعفة أنواع متعددة :

أ- العفة عن شهوة الفرج .

ب- العفة عن شهوة اللسان

ج- العفة عن شهوة البطن .

(٣٨٣) لسان العرب ٢٩٠/٩

(٣٨٤) إحياء علوم الدين ٥٤/٣

د- العفة عن شهوة المال .

هـ- العفة عن الشهوة الخفية .

ومن علامات أنواع العفة ما يلي :

١ - الورع :

والورع المشروع هو: ترك ما يضر في الآخرة ، وهو ترك المحرمات والشبهات ، فأما ما ينفع في الدار الآخرة بنفسه فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣٨٥) ، كما أن الاشتغال بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع ، فإن اشتغل بها عن واجب أو بفعل محرم كان عاصياً وإلا كان منقوصاً عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين.

والورع يكون في النظر ، وفي السمع ، وفي الشم ، وفي الكلام ، وفي الأكل ، وفي المال ، وفي الملابس ، ولكل ذلك شواهد من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرة أصحابه الكرام رضي الله عنهم .

(٣٨٥) سورة المائدة، آية ٨٧.

٢ - القناعة :

وهي الرضا بالقسم، يقال : قنع الرجل إذا رضي، وقال أبو ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغبتها * وإذا ترد إلى قليل تقنع^(٢٨٦).

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه)^(٢٨٧) والمسلم الذي رزقه الله القناعة بما عنده، سواء من المال أو من الجاه والمنصب عاش مطمئناً سعيداً، وإلا فقد أتعب نفسه ولن يحصل على ما تريده النفس لأنها لا تشبع من الدنيا أبداً، بل إن هناك وعيداً لمن لم يقنع وجعل همه الدنيا، بأن يشتت الله شمله ويفرق جمعه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، كما جاءت الإشارة إلى ذلك في الحديث النبوي .

٣ - الحياء :

الحياء صفة في النفس، تحمل الإنسان على فعل ما يجمل ويزين، وترك ما يندس ويشين، فتجده إذا فعل شيئاً يخالف المروءة استحيا من الناس، وإذا فعل شيئاً محرماً استحيا من الله.

(٢٨٦) انظر عن هداية المشتاق ، شقيل ص ٢٨ .

(٢٨٧) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب في الكفاف والقناعة برقم ١٧٤٦ .

- عز وجل - ، وإذا ترك واجباً استحيا من الله، وإذا ترك ما ينبغي فعله استحيا من الناس^(٣٨٨).

وذكر ابن القيم رحمه الله أقساماً عشرة للحياء وهي: [حياء جنائية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حشمة، وحياء استصغار للنفس واحتقار لها، وحياء محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة، وحياء المستحيي من نفسه].^(٣٨٩)

٤ . التعفف :

قال الله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ لَا يُسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا﴾^(٣٩٠).

وعن حكيم ابن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال : (ياحكيم، إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى) قال حكيم فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق، لا أرزأ أحداً

(٣٨٨) شرح رياض الصالحين من كلام سيده المرسلين للنووي ٢٦/٧

(٣٨٩) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ٢/٦٢١

(٣٩٠) سورة البقرة ٢ آية ٧٣ .

بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر - رضي الله عنه - يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر - رضي الله عنه - دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أي عرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس حتى توفي) (٣٩١).

ولا شك أن التعفف وعدم سؤال الناس شيئاً يعطي المسلم شرفاً وعزة، في تعامله مع الناس، لأن الناس إذا رأوا الرجل كثير السؤال - حتى وإن كان مباحاً- ينقص ذلك من قدرهم عنده ومصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق: اليد العليا خير من اليد السفلى .

وهذا موقف لأحد السعداء المتعففين يبين كيف أن من تمتع بحسن الخلق وتعفف تكون لكلمته وقع في نفوس الأجيال، إنه سالم ابن عبد الله ، عندما دخل عليه هشام بن عبد الملك الكعبة، فقال: سلني حاجة، فقال سالم: من حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟ قال بل من حوائج الدنيا، فقال والله ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها؟! (٣٩٢)

(٣٩١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن الأسئلة برقم ١٣٧٩ هـ .

(٣٩٢) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء عقيل موسى ٤٢١/١ .

٥ - السخاء والكرم والجود والإنفاق في سبيل الله:

قال الله تعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾^(٣٩٣) وقال تعالى ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّفَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلَمُونَ﴾^(٣٩٤) وفي الحديث النبوي يقول النبي عليه الصلاة والسلام (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله، قالوا يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما آخر)^(٣٩٥).

ولما كان إنفاق المال في وجوه الخير يدل على عدم محبة للدنيا وإيثار ما عند الله تعالى، كان الإنفاق والكرم وبذل المال للغير باعثاً نفسياً كبيراً على الاطمئنان وراحة النفس واستقرارها، وكان ما يقابل ذلك من البخل وإمساك المال عاملاً مهماً من عوامل الشقاء.

وفي سير السعداء نجد أن الكرم والبذل والإنفاق سمة بارزة في حياتهم فهم لا يحرصون على المال ولا على جمعه إلا لإنفاقه في وجوه الطاعات، ومن أولئك عبد الله ابن المبارك

(٣٩٣) سورة سبأ آية ٣٩ .

(٣٩٤) سورة البقرة آية ١٧٢ .

(٣٩٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له

برقم ٥٩٦١ .

رحمه الله فقد كان (ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون : نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زى وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فيقول لكل واحد : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حاجهم، قال لكل واحد منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول كذا وكذا ، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته عليها اسمه) (٣٩٧)، فأبي سعادة يا ترى ينعم بها من هم مثل ابن المبارك في هذا العصر؟ .

(٣٩٦) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، عقيل موسى ٦٥٤/٢ مرجع سابق .

٦ - الصدق :

أمر الله تعالى بالصدق في كتابه الكريم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣٩٧)، وأخبر أيضاً أنه في يوم القيامة ﴿لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾^(٣٩٨).

والنبي عليه الصلاة والسلام قد حث أُمَّته على الصدق وبين لهم ثوابه فقال: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتبه عند الله صديقاً)^(٣٩٩).

والصدق نقيض الكذب^(٤٠٠) وهو (إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، فالصدق من طريق واحد، أما نقيضه الكذب فضروب وألوان ومسالك ووديان)^(٤٠١).

(وهو موافقة الحق في السر والعلانية، وحقيقة الصدق: القول بالحق في مواطن الهلكة).^(٤٠٢)

(٣٩٧) سورة لتوبة آية ١١٩

(٣٩٨) سورة الأحزاب آية ٢٤.

(٣٩٩) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا

الله ..) برقم ٥٦٢٩

(٤٠٠) لسان العرب ٣٠٦/٧

(٤٠١) حلية طالب العلم، ضمن المجموعة العلمية، دار العاصمة للنشر

والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ص ١٨١

وعند التأمل نجد أن (كل عمل صالح ظاهر أو باطن منشؤه الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن منشؤه الكذب، والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يعقده ويثبته عن مصالحه، ويثبت الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدها بمثل الكذب) (١٧٠). وقد قيل: (للصادق ثلاث خصال: الحلاوة و الملاحاة والمهابة) (١٧١). (ولذلك فإن صدق اللهجة عنوان الوقار وشرف النفس، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل، ورسول المودة مع الخلق، وسعادة الجماعة، وصيانة الديانة. فمن تطلع الى سمعة فوق منزلته فليعلم أن في المرصاد رجالاً يحملون بصائر نافذة، وأقلاما نافذة، فيزنون السمعة بالأثر فتتم تعريته عن ثلاث معان: فقد الثقة به من القلوب، وذهاب علمه، وانحسار قبوله، وعدم تصديقه ولو صدق) (١٧٢).

وما يشتهر عند بعض الناس في هذا العصر من كلمات رنانة وأساليب مؤثرة كالتى تسمى (الدبلوماسية) أو نحوها

(٤٠٢) نزهة الفضلاء، سير أعلام النبلاء، عقيل موسى، ٧٠٢/٢.

(٤٠٣) الفوائد، دار اليقين للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ص ١٧٣.

(٤٠٤) المرجع السابق.

(٤٠٥) حلية طالب العلم، أبو زيد، ص ١٨٣.

من العبارات عند وزنها بالميزان الشرعي نجد أنها مجانية لحال الصادقين، الذين اتخذوا الصدق منهجاً لهم في حياتهم، ويظهر أثرها في تعامل الإنسان مع الآخرين وفي مدى الثقة المتبادلة بينه وبين الناس^(٤٠٦).

(٤٠٦) انظر : الصدق منجاة ، سعيد عبد العظيم ، دار الإيمان ، ص ٩.

الركن الرابع : الصبر

الصبر : نقيض الجزع ، وهو حبس النفس عند الجزع^(٤٠٧) .
وقد ذكر الله تعالى الصبر في كتابه الكريم في أكثر من تسعين موضعاً ،^(٤٠٨) تارة بالأمر به ، وتارة ببشارة الصابرين ، وأخرى ببيان أجرهم ، وبيان منزلته من الدين ، وأنه الممحص لاختبار المجاهدين ، وأنه شرط من شروط الولاية ، بل ذكر سبحانه وتعالى أن الصبر هو أحد العوامل المنجية للإنسان من الخسران وذلك في قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾^(٤٠٩) .

والنبي عليه الصلاة والسلام أرشد أمته إلى التحلي بالصبر وبين أن الصبر ضياء للمؤمن في هذه الحياة ، وأرشد أمته إلى أن من يتصبر يصبره الله ، وأن خير ما أعطي المؤمن الصبر ، وصح عنه عليه الصلاة والسلام قوله (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)^(٤١٠) .

(٤٠٧) لسان العرب لابن منظور ٢٧٦/٧

(٤٠٨) انظر هداية المشتاق إلى محاسن الأخلاق ص ٥١ ، .

(٤٠٩) سورة العصر (١-٣)

(٤١٠) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرفاق ، باب ، المؤمن أمره كله خير . برقم

من ذلك يتبين أن الصبر أمر واجب على كل مسلم مكلف، فالؤمن يحتاج إليه عند نزول البلاء والشدائد، مثل الخوف، والجوع، ونقص الأموال، وفقد الحبيب، وكل الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية، لينال الأجر والثواب، كما يحتاج إليه المجاهد في سبيل الله، ليثبت في ميدان المعركة، والداعية، ليقوم بتبليغ الحق، ويقاوم تيار المخالفين، والقاضي ليعينه في القضاء بين الناس، والعالم لينال به الإمامة في الدين، والشاب ليتحصن من شهوة الفرج، والوالدان، ليستعينا به في تربية أبنائهما، والزوجان، ليعينهما على القيام بالحقوق الزوجية لبعضهما البعض، والمعلم ليستعين به في تربية وتعليم طلابه، وكل من هو مسئول، ليقوم بحقوق من هم تحت مسؤوليته، ولهذا تختلف مراتب الصبر وأسماؤه باختلاف متعلقة ((فإن كان صبراً عن شهوة الفرج المحرمة سمي عفة، وضدها الفجور والزنا والعهر، وإن كان صبراً عن شهوة البطن وعدم التسرع إلى الطعام أو تناول ما لا يجمل منه سمي شرف نفس وشبع نفس، وسمي ضدها شرهاً ودناءة ووضاعة نفس، وإن كان عن إظهار ما لا يحسن إظهاره من الكلام سمي كتمان سر وضده إذاعة وإفشاء أو تهمة فحشاء أو سباً أو كذباً أو قذفاً، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً، وضده حرصاً، وإن

كان على قدر يكفي من الدنيا سمي قناعة وضدها الحرص أيضاً، وإن كان عن إجابة داعي الغضب سمي حليماً وضده تسرعاً، وإن كان عن إجابة داعي العجلة سمي وقاراً وثباتاً وضده طيشاً وخفة ، وإن كان عن إجابة داعي الفرار والهرب سمي شجاعة وضده جبناً وخوراً، وإن كان عن إجابة داعي الثأر سمي عفواً وصفحاً وضده انتقاماً وعقوبة ، وإن كان عن إجابة داعي الإمساك والبخل سمي جوداً وضده بخلاً، وإن كان عن إجابة داعي الطعام والشراب في وقت مخصوص سمي صوماً ، وإن كان عن إجابة داعي العجز والكسل سمي مروءة .

فله عند كل فعل وترك اسم يخصه بحسب متعلقة، والاسم الجامع لذلك كله الصبر، وهذا يدل على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر من أولها إلى آخرها. وهكذا يسمى عدلاً إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين ، وضده الظلم ، ويسمى سماحة إذا تعلق ببذل الواجب والمستحب بالرضا والاختيار، وعلى هذا جميع منازل الدين. ((^(٤١١)

(٤١١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ص ٢٤ .

الخلاصة :

مما سبق من الحديث في هذا المبحث عن الخلق الحسن، وأثره في أن يكون سبباً يجيى به المسلم الحياة السعيدة، عند مخالطته للآخرين ، يتضح جلياً أن التواصي بأهم الأخلاق الإسلامية (الصبر)، والذي هو الخلق الجامع الشامل لكل خلق فاضل حيث ذكره الله تبارك وتعالى ركناً أساساً من أركان النجاة من الخسران ونيل السعادة ، كما هو مذكور في سورة العصر، وأن كل الأخلاق الإسلامية مردها إلى خلق الصبر، فمن قام بهذا الركن الخلقى حق القيام ، واستكمل معه، ما مضى - من أركان أساسية - والتي هي الإيمان، والعمل الصالح والتواصي بالحق - فقد نال السعادة ، والنجاة من الخسارة والشقاء .

تطبيقات عملية للتدريب واكتساب حسن الخلق: (٤١٢)

- ١ - مقابلة الناس بوجه الرضا ، من غير ذلة ولا هيبة منهم .
- ٢ - توقير الناس من غير كبر .
- ٣ - التواضع لهم من غير ذلة .
- ٤ - مقابلتهم بوجه باش وثمر باسم .
- ٥ - الرفق بهم في التعامل معهم .

(٤١٢) انظر هداية المشتاق ، عبد الله شقيبيل ص ٢١ ، ٢٠

٦ - الوسطية في جميع الأمور فكلما طرفي قصد الأمور ذميم .

٧ - التحفظ أمام الناس مما يأتي :

- تشبيك الأصابع .

- العبث باللحية أو بالخاتم .

- تخليل الأسنان .

- إدخال الأصبع في الأنف أو الفم .

- كثرة البصاق والتنخم .

- طرد الذباب من الوجه .

- الوفز عند الجلوس .^(٤١٣)

- قرظ الأظافر والأصابع .

- كثرة الهرش في الجسم أو الرأس .

- كثرة التمطي والتأؤب في وجوه الناس .

- كثرة الالتفات .

٨ - الإصغاء إلى الكلام الحسن ممن يتحدث من غير إظهار

تعجب مفرط ، ولا تكرار سؤال .^(٤١٤)

(٤١٣) الوفز عدم الاطمئنان في الجلوس

(٤١٤) انظر، في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة

الثالثة ٤٠٨هـ - ٣٨

- ٩ - الابتعاد عن القيل والقال وكثرة السؤال .
- ١٠ - السكوت عن كثرة المضاحك والحكايات .
- ١١ - ترك التحدث عما يخص الذات بإعجاب مثل التحدث عن الولد أو الإنجاز أو العمل أو ما شابه ذلك من الأمور الخاصة .
- ١٢ - ترك التصنع في الزينة أو التبذل في الملبس .
- ١٣ - عدم الإلحاح في الحاجات .
- ١٤ - عدم التشجيع على كل ما هو مكروه .
- ١٥ - تخويف الأهل والولد من غير عنف ، واللين لهم من غير ضعف .
- ١٦ - ترك الهزل والالتزام بالجدية في جميع الأمور ومع كل الناس .^(٤١٥)
- ١٧ - الابتعاد عن الخصام وإن حصل ذلك فلا بد مما يأتي :
 - التوقي والتحفظ من الجهل
 - تجنب العجلة
 - عدم الإكثار من الإشارة باليد

(٤١٥) انظر هذه أخلاقنا ، محمود خزندار، ص، دار طيبة ، الطبعة التاسعة

- عدم الالتفات يمنة ويسرة
- ترك الكلام إلا إذا هداً الغيظ
- ١٨ - عدم حضور الولايم إلا بدعوة .
- ١٩ - عند الدخول على قوم في مجلس ، فلا بد من الآتي :
- بدء من في المجلس بالسلام
- الجلوس حيث يتسع المكان أو حيث ينتهي المجلس ،
- أو حيث يأمر صاحب المجلس ، وحيث لا تظهر عورة .
- عدم النظر إلى الأبواب أو النوافذ ، وعدم الإكثار من السؤال فيما لا يخص السائل .
- الالتزام بالهدوء والسكينة ، والتحدث بحديث منظم مرتب صادق ، وإلا فالصمت أولى .
- عدم الاستعجال في القيام إلى الطعام .
- ٢٠ - ترك الجلوس في الطريق ، وإذا حدث فللطرف حقوق منها :
- غض البصر
- كف الأذى
- نصرة المظلوم
- إغاثة الملهوف

- عون الضعيف
- إرشاد السائل
- رد السلام
- إعطاء السائل
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (١١٦)
- ٢١- التقليل من مجالسة العامة ، وإن حدث فبشروط :
 - ترك الخوض في حديثهم .
 - قلة الإصغاء إلى أراجيفهم .
 - التغافل عما يجري من سوء أفاظهم .
 - ترك مماراتهم ولو كان الحق جلياً .
- أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة .
- ٢٢- ترك المزاح، وإذا حدث فيعطى كل ذي قدر قدره في ذلك، مع ترك الإفراط والكذب في المزاح .

(٤١٦) انظر شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد الهاشمي ف، دار البشائر الإسلامية الطبعة التاسعة ١٤٢٢هـ . ص١٦٢ .

الفصل الثالث

عوائق السعادة

■ المبحث الأول: قصور الفهم السليم لتحقيق السعادة

■ المبحث الثاني: ضعف التربية الإيمانية عند المسلم المعاصر

■ المبحث الثالث: الأمراض

تمهيد:

إن من سنة الله تبارك وتعالى في هذه الحياة أن جعل الناس متفاوتين في سعادتهم ، كما هم متفاوتون في أرزاقهم ، وفي صحة أجسادهم ، وفي غير ذلك من أمور معاشهم في هذه الحياة ، ولا شك أن هناك منغصات و موانع تعيق المسلم من أن يحقق السعادة الكاملة في حياته ، وأن يعيش عيشة أهل النعيم ، وهذه العوائق منها ما يتعلق بذات المسلم ، ومنها ما يتعلق بالمؤثرات الخارجية التي تؤثر في حياته سلباً أو إيجاباً ، وبالظروف المصاحبة لحياته ، وعلى ذلك فمن الناس من تغمر السعادة جوانحه ، مستصحباً أسبابها دائماً ، مهما حصل له في طريق حياته من منغصات ومكدرات ، ومنهم من يصعب عليه ذلك فيسعد حيناً ، وتتكدر عليه سعادته حيناً آخر .

ومن خلال مفهوم السعادة ، وأسبابها ، وما ورد في شأن تحقيقها من آيات كريمات ، وأحاديث شريفة ، تظهر معنى السعادة في حياة المسلم ، ومن خلال النظر لواقع الحياة المعاصرة التي يجيهاها المسلم ، وما يعترض طريقه فيها ، من مكدرات ومنغصات في سبيل أن يجيى حياة السعداء ، أحاول في هذا الفصل مناقشة وإيضاح هذه المنغصات من خلال المباحث التالية :

- الأول : قصور الفهم السليم لحقيقة السعادة .
- الثاني : ضعف التربية الإيمانية عند المسلم المعاصر
- الثالث : الأمراض .

المبحث الأول

قصور الفهم السليم لحقيقة السعادة

إن القصور في الفهم الحقيقي لمعنى السعادة ، أدى إلى البحث عنها في غير مضانها الأصلية، وكما سبق بيانه في الفصل الأول من هذا البحث، فإن الناس قد اختلفوا في تحديدهم لمعنى السعادة ، فكل يرى سعادته في شئ فقد حصلت له السعادة في تحقيقه - من وجهة نظره - ولكن يبقى أن هناك معنى للسعادة بيناً ، قد تكلمنا عليه فيما مضى - *^(١٧)، ولذلك فإن هذا المبحث ، حول هذا العائق من عوائق تحقيق السعادة سيقترص على العناصر التالية، والتي ، لها دور كبير في التأثير على مفهوم السعادة التي يسعى إليها المسلم والتي تتوافق مع قيمه ومبادئه في الحياة على ضوء العقيدة الإسلامية، وهي المادية المعاصرة والتأثيرات الفكرية والمجاراة والتبعية، وبيان ذلك على النحو التالي :

أولاً : المادية المعاصرة :

سيتناول الباحث تأثير المادية المعاصرة على سعادة المسلم المعاصر من خلال النقاط التالية :

(٤١٧) انظر تعريف المؤلف للسعادة من هذا البحث ص ١٠.

أ - الانفجار المادي المعاصر:

إن هذا العصر الذي نعيش فيه، هو عصر المادة، والتي بلغ اهتمام الناس بها مبلغاً عظيماً لم تصل إليه البشرية من قبل، وذلك نتاج طبيعي للتقدم العلمي، فإن الله تبارك وتعالى قد علم إنسان هذا العصر من أسرار الخلق شيئاً عجيباً - ولا يقتصر ذلك على المسلم فحسب - بل إن غير المسلمين هم الذين تكشفت لهم كثير من الحقائق العلمية سواء في علم الصناعات أو علم الكائنات الحية أو علم الفلك، أو غير ذلك، وقد علمهم الله تبارك وتعالى ما لم يكن يعلمه من قبلهم من الأجيال، فكانت التقنيات الحديثة والصناعات المتطورة في جميع المجالات. ^(٤١٨)

ولاشك أن الربع الأخير من هذا القرن شهد تحولات في شتى المجالات التقنية والاقتصادية والسياسية والإعلامية وغيرها وشهد تقدماً مذهلاً في ذلك مما له أكبر الأثر على الحضارة المعاصرة وعلى حياة الإنسان على وجه الأرض وعلى حياة المسلم على وجه الخصوص وهذا أمر مشاهد ملموس، فالانفجار المعرفي في عالم العلوم سواء النظرية منها أو التطبيقية

(٤١٨) انظر الفتاة المسلمة والأزمة الأخلاقية، د. باحارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ص ٢٥.

يعد بالدرجة الأولى هو المصدر المحرك لكل ذلك التقدم فسبحان الله ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٤١٩)، وذلك كله نتاج طبيعي للعلم والمعرفة التي يحصلها الإنسان والبحث الذي يمضي فيه العلماء والباحثون جل أوقاتهم ويفنون فيه أعمارهم ، ففي مجال العلوم الطبية مثلاً استطاع الإنسان بتوفيق من الله عز وجل أن يدرس ويكتشف أسرار جسم الإنسان وتعقيدات تركيبته المعجزة ودراسة أجهزة الجسم المتعددة ومعرفة تفاصيل كل جهاز في جسم الإنسان ومن ثم دراسة الأمراض التي يتعرض لها الجسم واكتشاف الأدوية الطبية التي تقاوم الأمراض التي يصاب بها أي جزء من جسم الإنسان حتى تطورت المستشفيات والأدوات الطبية العلاجية لدرجة كبيرة جداً حيث أصبح الآن يمكن الكشف عن أجزاء دقيقة جداً داخل الجسم بوسائل وأجهزة حديثة مطورة . وكان كذلك التقدم العلمي في علم الأجنة ودراسات وأبحاث تتعلق بمراحل النمو وإمكانية تحديد واختيار جنس الجنين في بطن أمه^(٤٢٠)

(٤١٩) سورة العلق آية ٥.

(٤٢٠) انظر اختيار جنس الجنين، د. عبدالرشيد قاسم، مكتبة الأسد
الطبعة الثانية ص ٥.

وأيضاً أبحاث تتعلق بالهندسة الوراثية وأطفال الأنابيب وغيرها .

وفي عالم الاتصالات هناك تقدم سريع ومذهل حيث غدا من أسهل الأمور الآن معرفة أي خبر يتعلق بالشخص أو بأهله أو ببلده بأسرع وقت بل في نفس الوقت أحياناً وإن كان بينه وبينهم البحار والمحيطات .. وأيضاً فيما يتعلق بنقل العلوم والمعارف بأسرع وقت وأقل جهد حيث نجد أن التعامل والاتصال من خلال الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) يعد الآن وسيلة مهمة جداً من وسائل التعلم السريع فقد تعددت المواقع والمنتديات والشبكات التي يستطيع الإنسان أن يتعلم من خلالها في وقت سريع ما لم يكن يمكنه إدراكه قبل هذا الزمن بل إن كثيراً من الكتب الأساسية في كثير من الفنون يمكن الآن وبكل سهولة العثور عليها في قرص أو برنامج من برامج الحاسب الآلي ، إضافة إلى تعدد قنوات الاتصال الفضائية عن طريق الأقمار الصناعية مما أدى إلى اندماج كثير من الثقافات المتعددة والمختلفة والمتعارضة في كثير من الأحيان عن طريق تلك القنوات مما أثر ذلك ولاشك في كل نواحي الحياة الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها وهو نتاج التقدم والتطور المذهل لأن ذلك مرتبط

ارتباطاً وثيقاً بالتقدم العلمي وما يصاحبه من انفجار معلوماتي رهيب.^(٤٢١)

إن هذه الاكتشافات والتقدم السريع فيها، هي جزء يسير مما في هذا الكون الذي جعله الله سبحانه وتعالى أية من آياته العظام كما قال تعالى ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.^(٤٢٢) وإن الإنسان ليقف عاجزاً أمام قدرة الله تعالى وعظيم حكمته في خلقه عندما يتأمل هذا الكون الذي يعيش فيه حيث يرى الدقة والنظام في جميع المخلوقات على هذه الأرض ابتداءً من الذرة ومكوناتها وانتهاءً بالمجرات والفضاء الخارجي ويعجز عقله أيضاً عن استيعاب دقة الإلكترونات والبروتونات والجسيمات الأخرى والعلاقة التي تربط بعضها ببعض كما عجز أيضاً عن تصور الكون الفسيح وحجم المجرات، والمسافات الكونية الهائلة التي تقاس بملايين السنين الضوئية، وغير ذلك أيضاً من الحقائق والظواهر المثيرة للتفكير الإنساني مثل الضوء والطاقة والصوت والحرارة والموجات الكهرومغناطيسية والليزر والانشطار الذري وذلك كله محكوم بقوانين صارمة لا تتغير

(٤٢١) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي ص ٢١٣.

(٤٢٢) سورة الذاريات آية ٢١، ٢٠.

ولا تتبدل فطر الله الكون عليها مثل قوانين المادة والطاقة وقوانين الحركة والزمن وقوانين التجاذب والتنافر وغيرها. (٤٢٣)

وقد هياً الله تعالى للإنسان دراسة كل ذلك بل جعل سبحانه وتعالى كل ما على الأرض مسخراً للإنسان حتى يعمر الأرض التي استخلفه فيها كما قال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢٤) وقوله تعالى ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٤٢٥) وأيضاً حثه على تأمل السنن الحادثة في هذا الكون والتي تربط بين أجزائه ليتبين للإنسان الحق - الذي هو منهج الله لعباده الذي أراده لهم في هذه الحياة - ، فيعمل به ويسير عليه كما قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤٢٦).

(٤٢٣) آفاق بلا حدود، د. محمد التكريتي، دار المعارج الطبعة الثالثة، ص ١٨.

(٤٢٤) سورة الجاثية آية ١٣.

(٤٢٥) سورة هود آية ٦١.

(٤٢٦) سورة فصلت آية ٥٣.

ب - أثر الانفجار المادي في إضعاف شعور المسلم بالسعادة:

إن من منغصات الحياة الطيبة اتجاه المسلم إلى اتخاذ الملذات أساساً ورأس مال جوهرياً للحصول على السعادة ، ومما يؤسف له أن أعداداً متزايدة من الناس ، ولا سيما الشباب والفتيان صار لديهم اعتماد أساسي في الحصول على السعادة والأمن والاطمئنان على ما ورد إلينا من العالم الغربي والصناعي من تقنيات ووسائل تقوم أساساً على الرفاهية والسعي إلى الانتصار على الإملاق والعوز والملل بل على الشيخوخة والقبح ، ومن المؤسف أن الأجيال الجديدة باتت تتلقف شروط الحياة السعيدة من التربة المشوهة الموجودة في كثير من البيوت ، ومن حملات الدعاية والإعلان التي تصور للناس أنهم إذا لم يتحولوا إلى مستهلكين نهمين لكل شيء ، فإنهم سيكونون متخلفين وبعيدين عن الحضارة وتذوق ملذات المعاصرة والحداثة^(٤٢٧) .

ولما كان الإنسان مفطوراً على حب البقاء ، ومحجب إليه الخلود والسكون إلى الأرض ، بما فيها من زينة وجمال كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

(٤٢٧) عش هانئاً د. عبد الكريم بكار ، مركز الولاية للتممية الفكرية ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ص ٨٦/٨٥ .

الشَّهَوَاتِ مِنَ النَّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ^(٤٢٨)، لما كان الأمر كذلك كان لمعاصرة هذه الماديات الطاغية أثر في الإقبال على الحياة الدنيا والتنعم فيها بكل وسيلة ممكنة، مع نسيان ما هو خير وأسعد .

وإن الاستغراق في شهوات الدنيا، و رغائب النفوس، ودوافع الميول الفطرية هو الذي يشغل القلب عن التبصر والاعتبار، ويدفع بالناس إلى الغرق في لجة اللذائذ القريبة المحسوسة، ويحجب عنهم ما هو أرفع وأعلى، ويغلظ الحس فيحرمه متعة التطلع إلى ما وراء اللذة القريبة، ومتعة الاهتمامات الكبيرة اللائقة بدور الإنسان العظيم في هذه الأرض واللائقة كذلك بمخلوق يستخلفه الله في هذا الملك العريض .

ولما كانت هذه الرغائب والدوافع - مع هذا - طبيعية فطرية، ومكلفة من قبل البارئ جل وعلا أن تؤدي للبشرية دوراً أساسياً في حفظ الحياة، وامتدادها، فإن الإسلام لا يشير بكبتها وقتلها، ولكن إلى ضبطها وتنظيمها، وتخفيف حدتها واندفاعها، وإلى أن يكون الإنسان مالكا لها متصرفاً فيها،

(٤٢٨) سورة آب عمران، آية ١٤ .

لا أن تكون متصرفة فيه وإلى تقوية روح التسامي فيه والتطلع إلى ما هو أعلى^(٤٢٩) .

والآيات الواردة في ذم الإقبال على الحياة الدنيا كثيرة، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة ، بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك^(٤٣٠) .

وقد حذر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، أمته من الانسياق وراء الشهوات المادية، لعلمه بما تحدثه من نتائج في حياة المسلم ولأنه عليه الصلاة والسلام قد دل الأمة على كل خير وقد حذرهم من كل شر، فقال مبيناً خطورة الطمع في حب المال: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)^(٤٣١) . وبين عليه الصلاة والسلام أن محبة المال عبادة له من دون الله تعالى ، فقال عليه الصلاة والسلام : (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش)^(٤٣٢) ، بل بين عليه

(٤٢٩) انظر في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق ١/٣٢٧ ،

(٤٣٠) موعظة المؤمنين للقاسمي ص ٢١٦ .

(٤٣١) صحيح ابن حبان برقم ٣٢٣٧ .

(٤٣٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب الحراسة في

الغزو في سبيل الله برقم ٢٦٧٣ ، بلفظ آخر ، ورواه بهذا اللفظ ابن

مجاهة في سنه كتاب الزهد برقم ٤١٣٦ .

الصلاة والسلام لأمته الطريقة الصحيحة للتعامل مع المال، وكيف يفهم المسلم معنى وجود المال عنده وكيف يتصرف به، فقال عليه الصلاة والسلام: (يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت)^(٤٣٣).

ونحن نرى جموعاً كبيرة جداً من المسلمين قد ربطوا سعادتهم بالمال، وبما يحصلون عليه من مادة، حتى وصل الحال بهم إلى نسيان الهدف الأساس من وجود هذا المال بين أيديهم، فكثير من أرباب المال وأصحاب الثروات يعيشون في شقاء وتعاسة في حياتهم الدنيا قبل الآخرة، لماذا؟ لأنهم يتعبون في جمع المال، وفي حفظه واستثماره، وفي القلق والخوف من فوات هذا المال وزواله، فكم من إنسان يملك المليارات ولكنه خائف، قلق، لماذا كل هذا الخوف؟ ولم كل هذا القلق؟. إنه يخاف على هذا المال أن تأتيه هزة سياسية، أو يأتي لصوص فيسرقون هذا المال، إذن هو يعيش في شقاء، وخوف، وقلق، وهم، وغم، بل إنه لا ينام الليل، وهذا أمر مجرب مشاهد في أحوال كثير ممن يجمعون المال، بل قد يكون المال سبب هلاكه

(٤٣٣) رواه مسلم كتاب الزهد والرقائق باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر برقم (٥٢٥٨) .

ومماته . فكم من غني خطف أو قتل بسبب تجارته، بل كم من غني حرم لذاته بسبب أمواله، تجده لا يمشي طليقاً، لا يمشي حراً، لا يسافر كما يريد، لا ينام كما يريد، كل هذا بسبب أمواله. ثم كم من إنسان صاحب مال زال ماله، وزالت ثرواته بسبب أو بآخر فعاش بقية حياته في تعاسة وشقاء^(٤٣٤).

ج - التوسط والاعتدال في معيشة المادية المعاصرة:

ليس المقصود مما سبق من كلام عن مادية العصر-، وإقبال الناس على المال أن هذا ينافي سعادة المسلم أصلاً ولكن هو عائق من عوائق سعادته إن لم يتوسط في الأخذ منه،^(٤٣٥) وإن لم يفهم سعادته كيف تكون وما علاقة الدنيا كلها بما فيها بسعادة المسلم . وحتى يتضح المراد بذلك فسوف أورد فيما يلي ما المقصود بالدنيا المذمومة التي تعيق المسلم عن تحقيقه سعادة الدارين كما بين ذلك بعض علماء الإسلام^(٤٣٦)، يقول الغزالي رحمه الله تعالى: (الدنيا والآخرة هي عبارة عن حالتين من أحوال القلب، فالقريب الداني يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت، والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت ، فكل ما فيه حظ

(٤٣٤) السعادة بين الوهم والحقيقة د. ناصر العمر، دار الوطن للنشر الطبع الأولى ١٤١٠هـ ص ٧، ٨ .

(٤٣٥) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن ص ٧٢ .

(٤٣٦) انظر إحياء علوم الدين للغزالي، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤١١هـ . ٣٨٦/٣

ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا، إلا أن جميع ما إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام :

الأول : ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح .

الثاني : كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً، كالتلذذ بالمعاصي كلها، والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والسرف، فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة .

الثالث : كل حظ عاجل معين على أعمال الآخرة وهو ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي يصل بها إلى العلم والعمل .

فالدنيا حظ النفس العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة، ويعبر عنه بالهوى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾^(٤٣٧) .

يظهر من التقسيم السابق لأحوال الدنيا والآخرة أن المسلم الذي يعايش مادية العصر الحاضر هذه يمكنه أن يسخر ما يستطيعه منها في خدمة آخرته وهو في حياته الدنيا، وأن

(٤٣٧) النازعات آية ٤٠ ، ٤١ .

يتوسط في الأخذ منها بقدر ما يحتاج، بل ويكيف حياته على ذلك، لأنه ليس من منهج المؤمنين الإعراض عن الدنيا وعن عمارة الأرض، وإنما هم القادرون فحسب على عمارتها وفق منهج الله تبارك وتعالى الذي أراده لهذه الأرض، وهذا يدعو المسلم إلى أن يستشعر المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقه تجاه عمارة الأرض والقيام فيها بالعدل، والإصلاح ونشر الخير في زمن ملئ ظلماً وبغياً وإفساداً .

لا سيما وأن الله تعالى قد وعد عباده المؤمنين بالتمكين لهم واستخلافهم في الأرض لعمارتها إن هم قاموا بشروط ذلك من الإيمان به وعبادته عز وجل وعدم الإشراك به : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (٤٣٨) .

وقد بين الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم أهم صفات الحياة الدنيا وعلاقة الإنسان بها في كثير من آيات القرآن الكريم فمن ذلك ما يلي :

(٤٣٨) سورة النور آية ٥٥ .

١- أنها متاع مؤقت ومكان عبور، ووسيلة إلى الآخرة ولا يجوز اتخاذها غاية .

٢- الدنيا مملوءة بالزينة وبالزخرف والشهوات والملذات، وهذا من تمام الابتلاء والاختبار.

٣- يجوز للمسلم بل يحق له أن يستمتع بالحياة الدنيا وزينتها في حدود الشرع، ويشترك بها مع غيره من الكفار والملحدين، ولكن بشرط ألا تلهيه عن طاعة الله، أي يجب عليه أن يبتغي بها الدار الآخرة، وأن يسخرها في طاعة الله، فيستمتع بالولد، ليربيه على طاعة الله وشريعته، وهكذا يستمتع بما أباح الشرع، بهدف تحقيق الشرع .

٤ - الدنيا عالم له قوانينه الاجتماعية والبشرية التي سنها الله بين الشعوب والأمم، فمن سعى في الدنيا استوفى نتيجة سعيه في الدنيا، ومن سخر الدنيا لإرضاء الله ربح في الدنيا والآخرة .

٥ - الحياة الدنيا قصيرة الأمد ، لا تعدو أن تكون ساعة أو يوماً من أيام الآخرة .. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (٤٣٩)

٦ - الحياة الدنيا دار تعب وكدح وجد. «^(٤٤٠)» ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٤٤١).

الخلاصة :

نخلص مما مضى بيانه ، أن مادية هذا العصر ، قد أثرت في تحبيب الإنسان للحياة الدنيا ، وما يراه من زينة في عالم الشهادة ، ومحاولة صده عن الآخرة وعالم الغيب ، وذلك بكثرة التركيز على الجوانب المادية ، في سائر شئون الحياة المعاصرة ، وهذا بدوره ، يجعل مفهوم السعادة وما يراد منها من معان سامية ، قاصراً على ما يراه الإنسان ويشاهده ، فيؤثر ولا شك في المفهوم الحقيقي للسعادة ، والذي لا يقتصر على الحياة الدنيا ، وإنما يشمل نعيم الدنيا والآخرة .

ثانياً: التأثير الفكري: (٤٤٢)

إن البعد عن المصدر الخالد في توجيه حياة الإنسان على وجه الأرض - وهو منهج الله تعالى المتمثل في القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين - يجعل من السهل التأثير والتغيير لقناعات

(٤٤٠) انظر أصول التربية الإسلامية للنحلاوي دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ص ٥١ .

(٤٤١) سورة الانشقاق آية ٦ .

(٤٤٢) لتعريف التفكيك انظر المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ٣١٧/١ .

المسلم، لا سيما عند وجود العوامل الكثيرة الداعية لذلك، مع قلة المعين الذي يساهم في توعية المسلم وتوجيهه.

ونظراً لازدحام هذا الزمان بكثير من النظريات والفلسفات المتناقضة التي تعمل على زعزعة النفسيات، وعدم استقرارها، وعلى إخراج الإنسان عن جوهر الحياة وفطرته السليمة، الذي هو تحقيق هدف الوجود الإنساني في الأرض - أعني القيام بحق العبودية الكاملة لله تبارك وتعالى - كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤٤٣) لذلك فإن تأثيراً خفياً يطرأ على فكر المسلم، فبدلاً من استقامته على صراط الله المستقيم، نجد أنه قد انحرف يمناً ويسرة، بسبب ما توحىه كثير من القوى المفسدة في الأرض والتي تحاول جاهدة صد المسلم عن سبيل الله بما تمتلكه من مغريات جذابة وبريق فتان، يؤدي في نهايته إلى بلبلة تفكير^(٤٤٤) المسلم وإضعاف إحساسه بالسعادة والنعيم، بل ويؤدي به إلى أبعد من ذلك حيث يرى الباطل حقاً والحق باطلاً والسعادة شقاء، والشقاء سعادة .

(٤٤٣) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٤٤٤) انظر التفكير السديد طريقك إلى النجاح والتفوق، د. أحمد الأميري،

دار المعرفة للاستشارات التربوية. ص ١٥ .

وقد زود الله تعالى الإنسان بالحواس التي تعين العقل على القيام بوظيفته، والتعرف على خصائص الأمور، وصفات الأشياء، وتدفعه إلى البحث العلمي، واكتشاف أسرار هذا الكون والانتفاع بما بث الله فيه من قوى وخيرات، دون إفساد في الأرض، أو إضرار بالنفس، أو إحداث ظلم أو عدوان^(١٤٥).

وعملية التفكير السليم^(١٤٦) التي تؤدي إلى ضبط الفكر في الاتجاه الصحيح لاستخراج المفاهيم تخضع لعناصر أربعة يؤثر كل منها في صياغة التفكير صياغة صحيحة بعيدة عن الانحراف والشطط، وهذه العناصر^(١٤٧) هي:

- ١ - الواقع الذي هو موضوع التفكير .
- ٢ - قنوات للإحساس (الحواس الخمس) ينتقل بها الواقع للإنسان .
- ٣ - جهاز عصبي (الدماغ) يستقبل الواقع المحسوس .
- ٤ - معلومات سابقة مخزونة في الجهاز العصبي لتفسير هذا الواقع كي يتمكن من الفهم والحكم والتقييم لهذا الواقع

(٤٤٥) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها عبدالرحمن الميداني ص ٢٩١، نقلاً عن (الفتاة المسلمة والأزمة الأخلاقية في الإعلام المرئي المعاصر من الوجهة التربوية الإسلامية) د. عدنان با حارث .

(٤٤٦) مقومات الشخصية المسلمة، د. الكيلاني، ص ٤٢ .

(٤٤٧) انظر الإنسان والعقل دنايف معروف، دار سبيل الرشاد، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ. ص ١٧٨ .

والمعايشة الحقيقية له مع ما يتوافق مع عقيدته ومبادئه التي يؤمن بها .

والتفكير السليم يتضمن أربعة أنواع يجب أن تكون متكاملة حتى لا ينشق أحدها عن الآخر، فيحدث الخلل في التفكير وعدم التوافق والتلاؤم بين ما يحمل المسلم من مبادئ وقيم وبين ما يفكر فيه ويعيشه ، وهذه الأنواع للتفكير هي^(٤٤٨):

١- التفكير المنطقي أو التحليلي مثل التفكير الرياضي والفلسفي .

٢- التفكير التجريبي مثل التفكير الفيزيائي والكيميائي .

٣- التفكير الأخلاقي الذي يعتمد على العقائد والمبادئ والقيم .

٤- التفكير الجمالي الذي يركز على الانتاج والجمال^(٤٤٩) .

فإذا أمكن التأثير على عناصر التفكير الأربعة أو حدث خلل في عدم تكامل أنواع التفكير السابقة أو حدث تداخل فيما بينها، فإنه يتبع ذلك تغيير التفكير حسب الاتجاه المراد، والنتائج الطبيعي لعملية التفكير هو الأفكار والمفاهيم، حيث

(٤٤٨) مقومات الشخصية المسلمة، د. ماجد الكيلاني ص ٢٢ .

(٤٤٩) انظر الإنسان الصالح وتربيته د. علي خميس الغامدي ص، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ص ٢٧٤ .

إن الأفكار هي الأحكام التي يتوصل إليها الإنسان بعد استيعاب المعلومات المقدمة إليه^(٤٥٠).

وعوامل تغيير التفكير في اتجاه يصاد مفهوم السعادة الحقيقي، في حياة المسلم المعاصر متعددة متنوعة فمنها :

أ - الإعلام السلبي :

الإعلام السيئ بشتى وسائله المسموعة والمرئية والمقروءة، يؤثر ولا شك في التأثير على التفكير، فالمسلم الذي يعايش قنوات الفضاء صباح مساء، مستهلكاً كل ما يعرض من خلالها، بغثه وسمينه، والآخر الذي يتصفح مواقع الشبكات بكل ما تعج به من ثقافة وفكر، والذي يطالع ذلك الكم الهائل من المجالات الهابطة التي وضعت عنوان فكرتها على أغلفتها الخارجية، لا بد أن يحدث له مع ذلك كله نوع من الخلط عظيم، بين ما استقر في فكره من تصور عن حقيقة الوجود، والدور المطلوب منه القيام به في هذه الحياة وبين ما يجول في داخل نفسه مما شاهده أو سمعه، أو قرأه، فيحصل عندئذ تأثير للعنصر الأول من عناصر التفكير وهو الواقع فينقل بصورة فاسدة، أن هذا هو الواقع الذي يجب أن يحياه

(٤٥٠) انظر الإنسان والعقل د. نايف معروف ص ١٨٧ مرجع سابق .

وأيضاً انظر ما تحت الأقتعة د. محمد الصغير مطبعة سفير، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ص ١٢٥.

الإنسان، وأن هذه المظاهر التي تعرض لذلك الواقع، هي مظاهر السعادة فيحدث بالتالي تغير فكري، وتحول نفسي يمكن أن يؤدي بالمسلم إلى كثير من المزالق والصعاب .

وذلك لأنه رغم ما تحمله هذه الوسائل الإعلامية المعاصرة من إيجابيات ثقافية ، فإنها إلى جانب ذلك تحمل معها كما هائلاً من مظاهر الانحرافات العقديّة والفكرية والخلقية، التي تعد جزءاً أصيلاً من مكونات الرسالة الإعلامية المعاصرة، مما يهدد الأمة المسلمة في أصولها الكبرى، ومثلها العليا ومبادئها التي تعززها^(٤٥١) وتختلف الوسائل الإعلامية بعضها عن بعض فيما تقدمه من الآثار البشعة في تشويه الشخصية الإسلامية بوجه عام وتغيير معالمها المتميزة ولا سيما شخصية الناشئة من شباب الأمة الإسلامية، فقد حاز الشباب على النصيب الأكبر من التأثير السلبي للإعلام العالمي المسيطر، أو الإعلام المحلي المقلد، وانفردت - في كل ذلك - الوسائل الإعلامية المرئية بالساحة الإعلامية الأوسع، واختصت بالفئات الاجتماعية الأكبر^(٤٥٢).

(٤٥١) الفتاة المسلمة والأزمة الأخلاقية في الإعلام المرئي المعاصر د. عدنان

باحارث، مرجع سابق ص ٩ .

(٤٥٢) المصدر السابق ص ١١ .

ولا شك أن الكثير من فصائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما: مسخرة اليوم لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة والسعي بالفساد في الأرض، بما يترتب على ذلك من خلخلة للعقيدة وتحطيم للأخلاق والقيم والمثل^(٤٥٣).

وقد أثبتت الأبحاث والدراسات أن بعض الطلاب عندما يتخرج من المرحلة الثانوية يكون قد أمضى أمام جهاز التلفزيون قرابة ١٥٠٠٠ ساعة، بينما لا يكون قد أمضى في حجرات الدراسة أكثر من ١٠٨٠٠ ساعة على أقصى تقدير، ومعدل حضور الطلاب في الجامعة ٦٠٠ ساعة سنوياً بينما متوسط جلوسه أمام التلفزيون ١٠٠٠ ساعة سنوياً^(٤٥٤).

وأما عن استغلال الشهوة الجنسية وإبرازها بشكل يؤثر تأثيراً مباشراً على المفاهيم الثابتة عند المسلم وتفكيره فقد أغرق الإعلام في نشر صور المرأة وفي دراسة قام بها أحد الباحثين تم فيها تحليل ٣٥٦ إعلاناً تلفزيونياً بلغ إجمالي تكرارها ٣٤٠٩ خلال ٩٠ يوماً فقط وقد وجد الباحث التالي:

(٤٥٣) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د. علي جريشة، ومحمد شريف الزبيق. ص ٧١.

(٤٥٤) الإسلام والعملة، د. سامي دلال، كتاب المنتدى، الطبعة الأولى ١٤٢٥ ص ٦٥ نقلاً عن بحث للدكتور ناصر العمر بعنوان (كيفية التعامل... رؤية شرعية).

١) استخدمت صورة المرأة في ٣٠٠ إعلان من ٣٥٦ إعلاناً، كررت قرابة ٣٠٠٠ مرة في ٩٠ يوماً .

٢) ٤٢٪ من الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة لا تخص المرأة.

٣) سن النساء اللاتي ظهرن في الإعلانات من ١٥ — ٣٠ فقط.

٤) اعتمدت ٧٦٪ من الإعلانات على مواصفات خاصة في المرأة مثل الجمال والجاذبية، و ٥١٪ على حركة جسد المرأة، و ١٢،٥٪ استخدمت فيها ألفاظ جنسية. (٤٥٥)

فالإعلام إذاً له دور كبير جداً في التأثير على تفكير المسلم، وتغيير مفهوم السعادة الحقيقي لديه، وإبداله بما يعايش ويشاهد .

ب - سوء التربية :

إن التربية التي يتلقاها الطفل المسلم منذ نعومة أظفاره، لها أثر كبير في تسيير تفكير الطفل وإحداث التغيير للفترة التي فطره الله عليها، وذلك بسبب المبالغة في الإباحة والتدليل وانعدام الضوابط في معاملة الأطفال، وعدم الالتزام بآداب

(٤٥٥) الإسلام والعولمة ص ٦٧، مرجع سابق .

التربية الإسلامية الأصيلة ، والاعتماد على النظم التربوية الحديثة، (التي لم تكن لتؤدي إلى خير الإنسانية وفلاحها، مادامت قد بنيت على أسس فكرية وعقائدية زائفة لا تنسجم مع الفطرة السليمة، ولا مع التفكير المنطقي الصحيح)^(٤٥٦)، وبالتالي فإن غرس بعض المبادئ والقيم المخالفة لمفهوم السعادة عند الطفل مثل التركيز الدائم على المكافآت التشجيعية، وعدم التذكير بالأجر الأخروي، والمنافع الشخصية من وراء العلاقات الاجتماعية ونحو ذلك تؤدي إلى نشوء عادات يتربى عليها الطفل من شأنها أن تحدث نمطاً معيناً من أنماط التفكير الذي يتربى عليه ويأخذ حيزاً كبيراً في فهمه للحياة والعيش فيها بما يتوافق مع ما نشأ وتعود عليه.

وحتى يسلم الطفل المسلم من الانحراف الفكري الذي قد يؤدي به إلى الشقاء لابد من مراعاة جوانب مهمة في تربيته وتنشئته منها :

١ - الرعاية الثقافية للمحيط :

يولد الطفل وعقله خال من الخبرات والمقدمات، قابل لكل ما يصل إليه من أفكار عن طريقي الفطرة والحواس. يقول الغزالي (الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره

(٤٥٦) أصول التربية الإسلامية، د. عبد الرحمن النحلوي، مرجع سابق ص٩.

نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة، قابل لكل ما ينقش، مائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه، أبواه وكل معلم له، ومؤدب)^(٤٥٧) والمحيط القريب من الطفل بما فيه من خبرات ومعارف يؤثر في النشاط العقلي تأثيراً كبيراً.

ولذلك لا بد من تقديم المعلومات الصحيحة والخبرات السليمة ليقوم بناء فكر الطفل على أساس صحيح، ولا بد أيضاً من بيان طرق التفكير الصحيح لحل المشكلات والوصول إلى الحقائق مع ضرورة التقييد بتوجيهات الإسلام، وأيضاً تنقية الجو المحيط بالطفل من كل الشوائب الفكرية التي تكدر على فطرة العقل صفاءها، وتشوش على الذهن هدوءه، وكذلك إتاحة الفرصة أمام الطفل للتطبيق الفكري العلمي في واقع الحياة، بما يتوافق مع مبادئ الإسلام وقيمه العظام، حتى ينشأ قويم الفكر معتدل الرأي لا يتشتت فكره ولا يعوج رأيه، وبذلك ينشأ على طرق السعادة، وينعم في ظلها.^(٤٥٨)

(٤٥٧) إحياء علوم الدين للغزالي ٢/٢٠٠، مرجع سابق .

(٤٥٨) انظر تربية النشء في ظلال الإسلام د. محمود عمارة مطبوعات الرابطة، العدد (٢٦) ١٤٢١هـ. ص ١٩.

٢ - التعليم ووسائله :

يسهم التعليم المباشر ووسائله في بناء فكر الطفل وسلامته لأن التعليم في الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات ، وعلى حساب الأساس وأساليبه يكون حال من يبني عليه، فإذا أردنا أن نبني فكر أطفالنا بناءً سليماً فلا بد من أن نحرص على تعليمهم مقدمات العلوم الصحيحة وأساليب التفكير السليم ونعودهم على التزام الحق والوقوف على الدليل والبرهان ، فإن هذا من شأنه أن يبني عقلاً مبدعاً ، ونظراً ثاقباً، ودراية فاحصة، فالعقل يتكون حسب ما يتربى عليه من طرائق التعليم ومناهجه^(٤٥٩).

٣ - قراءة القرآن واستظهاره :

إن ربط الطفل منذ نشأته بالقرآن الكريم من أهم الوسائل البانية لعقله والمحركة لفكره، لما يشتمل عليه القرآن الكريم من آيات كريمة ، تقدر العقل، وتحث على التفكير والتدبر والنظر، ولقد كان البدء بتعليم الطفل القرآن أو استظهاره مسلكاً اتفق عليه المسلمون في جميع أمصارهم^(٤٦٠)، لما للقرآن

(٤٥٩) ثقافة الطفل المسلم مفهومها وأسس بنائها، أحمد الحلبي، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ص ٢٨٢.

(٤٦٠) المصدر السابق ص ٢٨٥.

الكريم من أثر في ترسيخ الإسلام وعقائده ومفاهيمه في قلوب الأطفال منذ الصغر، وليصير أصلاً لما عداه من علوم وملكات^(٤٦١).

إذاً يظهر دور التربية، بارزاً في التأثير على الفكر لدى المتربي الناشئ، ومن شأن ذلك الفكر أن يؤدي بدوره إلى تعزيز وتثبيت كثير من المبادئ وأيضاً قد يؤدي إلى انحراف مغاير لمفهوم السعادة المنشودة .

ج - العولمة الثقافية :

عند تنزيل مفهوم العولمة على المسلمين، فإنه يقصد منها التدخل المباشر في ثقافة الشعوب الإسلامية، وذلك لتحقيق أهداف خطيرة منها: ^(٤٦٢)

- ١ - تشويه ثقافات (الذاتية التاريخية) للأمة الإسلامية .
- ٢ - بث الشبهات في أساسات تلك الثقافات من خلال التشكيك في مرجعياتها الأصلية (الكتاب والسنة)، ويتضمن ذلك دعم وتشجيع الفئات الطائفية التي تتبنى في أصل عقيدتها ذلك النوع من التشكيك .

(٤٦١) انظر مقدمة ابن خلدون، تصحيح وفهرسة، ابو عبد الله السعيد، المكتبة التجارية، الياز مكة . ٢٣٨/٢ .

(٤٦٢) انظر العولمة حقائق وأرقام، عبدسعيد عبد إسماعيل، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ص ٣١ .

٣ - إقحام المرأة في كل المجالات دون استثناء، بقصد استغلالها باسم الثقافة والفن لتكون أداة ميدانية لتطويع الشعوب الإسلامية للهجمة الثقافية الغربية، ويتجسد ذلك أكثر ما يتجسد ببث ما يسمى (بثقافة الجنس) والتي تتضمن استغلال صور المرأة، والحديث عن جسدها، وإبراز مفاتها، سواء في الكتب أو في الصحافة أو في المجالات أو التلفزيون أو الإعلانات أو الندوات أو غيرها.

٥ - تغليب المنتج الثقافي العلماني والقومي على المقابل الإسلامي، ليكون ذلك المنتج هو الصبغة العامة المؤثرة في ثقافة الشعوب الإسلامية، وخاصة فيما يتعلق بالأخلاق والسلوك، فضلاً عن الأفكار والمعتقدات .

٦ - تغيير المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية، وذلك باستغلال ما بقي فيها من آثار ضعيفة تذكر الطالب المسلم بدينه وتاريخه .

٧ - تذيب المجتمع المسلم في بحر الثقافة الغربية، ولاسيما فيما يتعلق منه بالإسفاف المادي، والانحراف العقدي والترهل المعنوي^(٤٦٣) .

(٤٦٣) الإسلام والعولمة د. سامي الدلال ص ٦٥ .

إن تحقيق هذه الأهداف العولمية وتأثيرها الفكري، يؤدي إلى إضعاف مفاهيم راسخة عند المسلم في معنى السعادة، بل ويعني أيضاً ذوباناً كاملاً في مفاهيم بعيدة جداً عن ما يصبو إليه المسلم في هذه الحياة .

وما سبق من إيراد لعوامل تغيير التفكير، وإحداث نوع من البلبلة، للقناعات الراسخة، المرتبطة بأصول العقيدة الإسلامية، عند المسلم في هذا العصر، لا يعني الاستقصاء الكامل لجميع العوامل وإنما هو شئ منها فقط .

ومع الاتجاه العصري ، في التعلم والتدريب ، ونقل التجارب والخبرات - المرتبط بالعولمة - ظهرت دورات وافدة ، وكتب مترجمة متعددة ذات تأثير مباشر على الفكر بصورة مباشرة ، تحتاج من المهتمين بالفكر الإسلامي والتربية الإسلامية، إلى دراسات أعمق ، حول هذه الظاهرة ومدى تأثيرها على هوية المسلم .

ثالثاً : المجارة والتبعية :

قد حذرنا نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام من مجارة الأمم الأخرى ، بل وبين لنا قدر الله تعالى في آخر هذه الأمة أنها ستتبع طريقة اليهود والنصارى ، في أدق تفصيلات الحياة وطرقها كما هو مبين في قوله عليه الصلاة في الحديث الصحيح: (لا تقوم

الساعة حتى تأخذ أمتي بالقرون قبلها شبراً شبراً وذراعاً بذراعاً)، وفي الرواية الأخرى (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قلنا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟!)(٤٦٤) .

والواقع أن في هذا الزمان قد اتبع كثير من المسلمين اليهود والنصارى - وإن لم تكن هذه التسمية (اليهود والنصارى) ظاهرة الآن - لكن في حقيقة الأمر نجد أن ما يطلق عليه الغرب اليوم بدوله الكبرى هو يتبع في مجمله إحدى الديانتين اليهودية والنصرانية، ويظهر ذلك جلياً في المواقف السياسية التي يقفها زعماء الدول الكبرى تجاه المسلمين - سواء في فلسطين أم في البلاد الإسلامية الأخرى - . والتي تبين انتماءاتها الدينية لليهودية والنصرانية ، وكان هذا الاتباع هو تنفيذ مباشر لخطط اليهود والنصارى التي أعدت سلفاً لإغواء الشعوب الإسلامية وإضلالها، من حيث لا تشعر وذلك بالغزو الفكري الثقافي والذي كان له أكبر الأثر في قصور الفهم الحقيقي للسعادة حيث أصبح اللهث المادي، والتطلع إلى الثراء والرفاهية الدنيوية هو ديدن الكثير من

(٤٦٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي لتتبعن سنن حديث رقم ٧٣١٩ وحديث رقم ٧٣٢٠ .

المسلمين اليوم وبأي شكل من الأشكال، حتى (غلبت النزعة المادية، وسيطرت على مشاعر المسلمين وهمومهم نتيجة التأثير بالحضارة الغربية المادية التي لا تقيم لأشواق الروح وصلاح الآخرة أي وزن فاهم الأكبر ليس ما أنجزه على صعيد مرضاة الله وإنما ما زاد في ثروته، واطمحل لفظ (الصالح) و(التقي) على ألسنة الناس وحل محله (الإنسان الناجح)^(٤٦٥).

والتأمل يجد أن مما يؤثر في قصور فهم المسلم لحقيقة السعادة الشعور بالانهزامية العامة أمام (اليهود والنصارى) فيضطر عندئذ إلى المجاراة والتبعية، وذلك لأن موازين السياسة العالمية ومعايير القوى العسكرية، هي التي تفرض على المهزوم حضارة المنتصر، وتغريه باقتفاء أثره حذو القذة بالقذة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو كائن مشاهد في هذا العصر لا في مجال السياسة والترسانة العسكرية فحسب بل في شتى مناحي الحياة الأخرى . تماماً كما هو الحال في وضع الهيمنة الأمريكية، ومن قبل الشيوعية والبلشفية والإنكليزية . ولم تشوه معايير الفطرة ويختل ميزان الأخلاق والقيم على أيدي هؤلاء العابثين بهذه الصورة إلا حين انحسر المد الإسلامي عن قيادة العالم قبل عدة قرون فقط .

(٤٦٥) نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي د. عبدالكريم بكار . دار المسلم للنشر والتوزيع ص ٢٩ .

إنها إذن ليست معايير النجاح والعظمة الحقيقية التي تفرض نفسها في سماء التفوق والنبوغ الذاتي بقدر ما هي نماذج مشوهة - في كثير من الأحيان - يستعرض بها المنتصر أمام الشعوب الضعيفة المهزومة، التي لا يحق لها التفكير إلا وفق مناهج النصر العسكري، ولا التحضر إلا على غرار حضارة الشعب الذي يتلاعب بمقدرات العالم !! بل ولا تملك تسيير شؤونها في سائر مجالات الحياة إلا تحت ضغط العصا الغليظة التي يلوح بها ذلك المنتصر الأرعن .

ولا عجب في أن يوجه لتسيير الحياة الاجتماعية لتلك الشعوب الضعيفة التائهة أفراد من بني جلدتها ، ويتكلمون بألسنتها ممن أحسن ذلك المنتصر تربيتهم ، وقاد زمامهم ، ومسخ هوياتهم ، لتحقيق مآربه في مقدرات شعوبهم ، وفي حضارتهم وفي معتقداتهم وأديانهم .^(٤٦٦)

إن مجارة الغرب في كل ما يقدم أمر خطير جداً، إذ إنه يوقع المسلمين في انتكاسة شنيعة، لما يحملون من قيم ومبادئ غرستها تربيتهم الإسلامية،^(٤٦٧) يقول أحد المرين الفضلاء (إن حضارة الغرب حضارة مشوهة مرقعة آيلة للزوال قريباً على لسان أعلام من الغرب ذاته، وهي بذلك لا تصلح أن تكون

(٤٦٦) تربية العظماء جمال الحوشي، دار الأندلس الخضراء، ص ٢١٤
(٤٦٧) انظر الهزيمة النفسية عند المسلمين، د. عبد الله خاطر، كتاب

أنموذجاً يحتذى به في أي من شؤون الحياة سوى طريقة صنع الصابون، وتعليب الخضروات وتصدير السيارات ونحوها من الصناعات، وما عدا ذلك فلا . بل حتى مشروباتهم، ومأكولاتهم، وملبوساتهم أصبحت تحمل كثيراً من أمراضهم. واستطاعوا أن يصدروا التعاسة والوباء والأمراض للعالم، وباتوا يعلمون الناس سماجة الذوق، والانتهازية والشراسة والأناية) (٦٨)، يقول ابن خلدون: (إن المغلوب مولع أبداً بالاقتراء بالغالب، في شعاره، وزيه، ونحلته، وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً، تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه) (٦٩).

فنخلص من هذا المبحث إلى أن: مادية العصر الطاغية، والتأثيرات الفكرية المغايرة لمبادئ العقيدة الإسلامية، وأيضاً المجاراة والمتابعة لأهم الشقاء، المتقدمة (دنيوياً)، كل ذلك أدى إلى قصور في فهم حقيقة السعادة عند بعض المسلمين، فعاقبهم ذلك الانحراف في الفهم عن معايشة السعادة الحقيقية.



(٤٦٨) تربية العظماء جمال الحوشبي ص ٢١٥

(٤٦٩) المختار من التراث العربي، من مقدمة ابن خلدون، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨م، اختيار سهيل عثمان، ومحمد درويش . ص ١٦٦.

المبحث الثاني

ضعف التربية الإيمانية للمسلم

إن مما يؤثر في مدى سعادة المسلم المعاصر، وزيادتها أو ضعفها وثباتها أو استمرارها بل ما يعيق المسلم من تحقيقها،^(٤٧٠) هو ما يتعلق ببناء المسلم وتربيته، فعندما لا يكون هناك بناءً إيمانياً قوياً لشخصية المسلم، في استكمال الجوانب المهمة في حياته، يضعف شعوره بالسعادة بالقدر الذي ينقصه من إكمال تلك الجوانب، ولذلك فإن هناك جملة من العوائق التي تعيق المسلم عن الشعور بالسعادة أو التي تنغص عليه استكمال العيش في نعيم الحياة الدنيا والآخرة، منشئها في بناء المسلم الإيماني،^(٤٧١) وسوف يكون الكلام في هذا المبحث مقتصرًا على ما يلي مما يراه المؤلف عائقاً تربوياً في بناء المسلم المعاصر وهو: ضعف الإيمان، والتفريط في الأعمال الصالحة.

(٤٧٠) انظر مقومات الشخصية المسلمة، د. ماجد الكيلاني، مكتبة دار الاستقامة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ص ١٣.

(٤٧١) انظر شخصية المسلم، كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة التاسعة ١٤٢٢هـ، ص ٨.

الأول : ضعف الإيمان :

الإيمان هو النور الذي يسير المسلم في هذه الحياة نحو الاتجاه الصحيح الذي يريده منه رب العالمين سبحانه وتعالى، وهو بلسم الحياة الذي من فقده فهو في بحار من الظلمات يتخبط، وفي دركات من الشقاء يعيش، وبين الهموم والآلام يتقلب، ولذلك كان الإيمان هو الركن الأول من أركان السعادة^(٤٧٢)، وبزيادة الإيمان تزداد سعادة المسلم وبضعفه تضعف، ولهذا كان الشقاء كل الشقاء في الكفر بالله تعالى وعدم الإيمان به، فإن الكافر لا يمكن أن يذوق طعم السعادة الحقة أبداً حتى يؤمن بالله تعالى، بل بشر الله تعالى غير المؤمن بالشقاء في الحياة الدنيا مع ما ينتظره من عذاب أليم في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾^(٤٧٣)، قال ابن كثير: خالف أمري وما أنزلته على رسلي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداة ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ أي ضنكاً في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره،

(٤٧٢) راجع مبحث أسباب السعادة في الإسلام، الفصل الثاني، المبحث الأول،

من هذا المؤلف .

(٤٧٣) سورة طه آية ١٢٤/١٢٥.

بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ، ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث ما شاء ، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك العيش . قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال الشقاء ، وقال إن قوماً ضلالاً أعرضوا عن الحق ، وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين ، فكانت معيشتهم ضنكاً ، فإذا كان العبد يكذب بالله ويسئ الظن به والثقة به اشتدت عليه معيسته فذلك الضنك^(٤٧٤) .

إن المؤمن بقوة إيمانه في أمان من الضلال والشقاء، والشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقاً في المتاع ، فهذا المتاع ذاته شقوة ، شقوة في الدنيا وشقوة في الآخرة وما متاع حرام إلا وله غصة تعقبه وعقابيل تتبعه، وما يضل الإنسان عن هدى الله تعالى إلا ويتخبط في القلق والحيرة والتكفؤ والاندفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يتوازن في خطاه ، والشقاء قرين التخبط ولو كان في المرتع الممرع ، ثم الشقوة الكبرى في دار البقاء، ومن اتبع هدى الله فهو في نجوة من الضلال والشقاء في الأرض وفي ذلك عوض عن الفردوس المفقود حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود .

(٤٧٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٣٢٢/٥ .

والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه، ضنك الحيرة والقلق والشك، ضنك الحرص والحذر، الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت، ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طويلاً وعرضاً وعمقاً وسعة والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان. (٤٧٥)

والإيمان كما هو مقرر في معتقد أهل السنة والجماعة يضعف ويقوى أو يزيد وينقص، والمسلم مطالب - حتى يجيى حياة السعداء - أن يكون دائماً في زيادة لإيمانه وارتقاء في عبوديته لأنه حينئذ سيشعر بطعم السعادة، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله (فالعبد سائر لا واقف، فإما إلى فوق وإما إلى أسفل، إما إلى أمام وإما إلى وراء . وليس في الطبيعة أو الشريعة وقوف ألبتة، ما هي إلا مراحل تطوى أسرع طي إلى الجنة أو إلى النار، فمسرع ومبطئ ومتقدم ومتأخر، وليس في

(٤٧٥) انظر في ظلال القرآن سيد قطب، دار الشروق، ٢٣٥٥/٤.

الطريق واقف ألبتة، وإنما يتخالفون في جهة السير وفي السرعة والبطء: ﴿إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُفْرِ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾^(٤٧٦) ولم يذكر واقفاً، إذ لا منزل بين الجنة والنار ولا طريق سالك إلى غير الدارين ألبتة فمن لم يتقدم إلى هذه بالأعمال الصالحة فهو متأخر إلى تلك بالأعمال السيئة^(٤٧٧).

وسوف يذكر المؤلف فيما يلي مظاهر ضعف الإيمان وأسبابه وطرق العلاج:^(٤٧٨)
مظاهر ضعف الإيمان:

إن مرض ضعف الإيمان له أعراض ومظاهر متعددة فمنها ما يلي:

١- كثرة الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات والتهاون في ذلك .

٢- الشعور بقسوة القلب وخشونته .

٣- عدم إتقان العبادات و عدم التلذذ بها .

(٤٧٦) سورة المدثر آية ٣٧، ٣٦، ٣٥ .

(٤٧٧) مدارج السالكين لابن القيم ص٢٩٢ ، هذه المقولة نقلاً من كتاب العادات العشر للشخصية الناجحة ، د. القعيد ، ص٩٠ .

(٤٧٨) انظر ، ظاهرة ضعف الإيمان، محمد المنجد ، دار الوطن للنشر والتوزيع الطبعة ١٤٢٠هـ ص ٦ .

- ٤- التكاسل عن الطاعات والعبادات، وإضاعتها
- ٥- ضيق الصدر وتغير المزاج وانحباس الطبع
- ٦- عدم التأثر بالقرآن
- ٧- عدم الغضب إذا انتهكت محارم الله عز وجل
- ٩- الشح والبخل
- ١٠- أن يقول الإنسان ما لا يفعل
- ١١- احتقار المعروف
- ١٢- عدم الاهتمام بقضايا المسلمين
- ١٣- عدم استشعار المسؤولية في العمل للدين
- ١٤- التعلق بالدنيا، والشغف بها، والاسترواح إليها .
ويمكن إجمال أسباب ضعف الإيمان فيما يلي:^(٤٧٩)
- ١- استصغار الذنوب
- ٢- الابتعاد عن الأجواء الإيمانية
- ٣- التنافس في الدنيا
- ٤- الغفلة عن ذكر الله
- ٥- الآفات القلبية

(٤٧٩) انظر الرائد في التربية، مازن الفريح ج ١ ص ٩٢ ادار المنطلق .

- ٦- الانشغال بالمال والزوجة والأولاد
- ٧- وجود الإنسان المسلم في وسط مظلم
- ٨- الابتعاد عن طلب العلم الشرعي
وأما أسباب زيادة الإيمان^(٤٨٠) فهي:
 - ١- الالتزام بالفرائض والقيام بالواجبات
 - ٢- تدبر القرآن العظيم
 - ٢- الذكر
 - ٣- استشعار عظمة الله عز وجل
 - ٣- الصحبة الصالحة
 - ٤- تعلم علوم الشريعة
 - ٥- المجالس الإيمانية بين الإخوة
 - ٦- الاجتهاد في الأعمال الصالحة
 - ٧- الدعاء
 - ٨- الدعوة إلى الله

(٤٨٠) انظر في ظلال الإيمان صلاح الصاوي، ص ١٠٣

والخلاصة...

أن بناء شخصية المسلم الإيمانية، أمر مهم جداً، في مجال الشعور بالسعادة، وذلك لأنه عندما يضعف إيمان المؤمن تظهر آثار هذا الضعف على حياته، فلا يشعر باستقرار اجتماعي ولا توافق نفسي، ولا هدوء ولا ارتياح، بل يكون في توتر وعدم رضا عن حاله، هذا مع ما يقع فيه ضعيف الإيمان من مخالفات شرعية، تعرضه للعقوبة الأخروية، في يوم الحساب، والتي يسعى المسلم إلى عدم التعرض لها بأي شكل من الأشكال أو وجه من الوجوه .

الثاني: التفريط في الأعمال الصالحة :

لما كان العمل الصالح هو ركن من أركان سعادة المسلم، وهو أحد أركان النجاة من الخسران كما قال الله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ- إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾^(٤٨١)، ولما للأعمال الصالحة من أثر بالغ في جلب السعادة والحياة الطيبة في حياة المسلم كما قال الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤٨٢)، كان

(٤٨١) سورة العصر الآيات ٦.١

(٤٨٢) سورة النحل آية ٩٧ .

التفريط في العمل الصالح وتضييعه عائقاً من عوائق السعادة، ذلك أن التهاون في العمل الصالح أو ترك الأعمال الصالحة بالكلية هو مما يبعد المسلم تدريجياً عن الإيمان والذي يعتبر العمل الصالح منه، ولأن غذاء القلب وسمو الروح إنما يكون في المواظبة على العمل الصالح، وعليه فإن من فرط فيه فقد قطع عن^(٤٨٣) القلب غذاءه ودواءه ومصدر سعادته وطمأنينته مما ينتج اضطراباً وقلقاً نفسياً بل ويسهل على المرء الجرأة على المعصية، و كذلك فإن التفريط في العمل الصالح يحرم العبد من العون والتوفيق الإلهي، وفقدان الهيبة بين الناس، إلى غير ذلك من الآثار والتي أعظمها وأخطرها بلا شك هو تكدير حياة المسلم وعدم شعوره بالسعادة والحياة الطيبة الهنيئة . وسيعرض المؤلف فيما يلي لمفهوم التفريط في العمل الصالح وأسبابه ومن ثم علاج هذا العائق على النحو التالي :

١ - مفهوم التفريط في العمل الصالح :

التفريط لغة : هو التقصير في الأمر ، وتضييعه حتى يفوت، قال في اللسان (وفرط في الأمر يفرط فرطاً، أي قصر فيه وتضييعه حتى فات ، كذلك التفريط)^(٤٨٤)، وفرط في الشيء وفرطه : ضييعه

(٤٨٣) آفات على الطريق ، د. السيد نوح ٣١٣/٢ ، دار اليقين للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .

(٤٨٤) انظر لسان العرب لابن منظور ٣٦٨/٧ مادة فرط .

وقدم العجز فيه ، وفي التنزيل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾، أي أنيؤوا إلى ربكم وأسلموا له مخافة أن تصيروا إلى حال من الندامة للتفريط في أمر الله. (٤٨٥)

التفريط في العمل الصالح اصطلاحاً :

هو التقصير أو التضييع للوظائف العبادية التي ينبغي للمسلم الحفاظ والمواظبة عليها. (٤٨٦) مثل صلاة الجماعة والنوافل، ومحاسبة النفس، أو إهمال الآداب الاجتماعية من عيادة المريض أو تشييع الجنازة، أو الإحسان إلى الجيران، وغير ذلك من الطاعات والأعمال الصالحة .

٢ - أسباب التفريط في الأعمال الصالحة :

للتقصير في تأدية الأعمال الصالحة، والتفريط فيها أسباب متعددة ، تفهم من معاني الآيات الكريمة ومن أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ومن سيرة سلفنا الصالح فمن ذلك :

أ - اقرار الذنوب والمعاصي

ب - الإغراق في المباحات

ج - عدم استشعار فضل الله في النعمة

د - الغفلة عن الحاجة للعمل الصالح

(٤٨٥) المصدر السابق ٣٧٠/٧ .

(٤٨٦) انظر آفات على الطريق د. السيد نوح دار اليقين، ٢/ ٢٠٢ مرجع سابق.

- هـ - نسيان أجور الأعمال الصالحة
 و - نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد
 ز - التسويف والتأجيل للأعمال الصالحة
 ح - كثرة المسؤوليات والتكاليف الحياتية

٣ - علاج التفريط في العمل الصالح :

الأول - مجاهدة النفس :

يحتاج المسلم إلى مجاهدة النفس وأخذها بالحزم والشدة، مع اتهامها بالتقصير ومع ترك التسويف، ومع تمنيتها أنها إن تعبت اليوم، ستمتع غداً بالنعيم الذي لا ينقطع والسعادة التي لا يشوبها شيء من الكدر أبداً^(٤٨٧) وقد وعد الله بالهداية لمن جاهد نفسه بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤٨٨)، ومجاهدة النفس تعني (المحاولة الدائمة للانتصار على الذات، وتطويع النفس، وقيادتها، وتعويدها على مواجهة المسؤوليات ومتابعتها، والثبات على المبادئ والقيم، والصبر على أنواع التكاليف في الحياة لتحقيق الحياة الكريمة، والأهداف العالية، التي ترغب في تحقيقها، وجهاد النفس يعني كذلك قيادة الذات، والإمساك بزمام

(٤٨٧) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ٤٢٥ .

(٤٨٨) سورة الروم آية ٦٩ .

النفس، وتعويدها على الفعل والانطلاق والمبادرة، وتسخير المواهب والقدرات والإمكانات في تحقيق الأهداف المنشودة لصالح الدنيا والآخرة^(٤٨٨).

ولأن هذا العلاج فيما يبدو هو من أهم الطرق التي يتغلب بها المسلم على التفريط في الأعمال الصالحة، - إن لم يكن هو أهمها على الإطلاق - فسيذكر المؤلف فيما يلي الوسائل التي يمكن أن تؤدي إلى التوفيق في مجاهدة النفس والانتصار على الذات وهي كما يلي^(٤٨٩):

أولاً - الفعالية في إدارة الصراع مع العدو الأول :

والمقصود بالعدو الأول هو الشيطان - لعنه الله - الذي يسعى دائماً إلى إغواء الإنسان وإبعاده عن الصراط المستقيم، وتزيين المنكر والمعصية في عينه، واثقال الطاعة والعمل الصالح، حتى يراها الإنسان شديدة على نفسه لا يستطيع القيام بها. فيجب استحضار هذه العداوة وذلك الصراع دائماً، والتعود على الأساليب المشروعة في مصارعة العدو الأول والتي هي :

(٤٨٩) العادات العشر للشخصية الناجحة. إبراهيم القعيد ص ٣٤١ .

(٤٩٠) انظر الضيق أسبابه وعلاجه في ضوء الكتاب والسنة. عبدالله شقيبيل

ص ٣٢ وأيضاً العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٣٤٢.

- ١ - دوام الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وتكرارها في غالب الأحوال، في الجهر والإسرار، في الوقوف والجلوس، في الليل والنهار، لأن هذه الكلمة تطرده بعيداً إذ فيها إعلان الولاء للخالق والاستعانة به والالتجاء إليه سبحانه وتعالى .
- ٢ - مراقبة الله تعالى في جميع الأعمال، في الحديث، في الفعل، في النية، إذ إن المراقبة تحمي المسلم من الوسواس الشيطانية أيها حماية .
- ٣ - عدم الغضب، فإن الغضب مدخل من أكبر المداخل الشيطانية التي يدخل بها على النفس البشرية، لأن الغضب يفقد الإنسان التحكم في ذاته، ويخرجه عن طوره ويفقده توازنه وبالتالي يسهل على الشيطان في هذه الحالة تسييره إلى حيث يريد .
- ٤ - دوام ذكر الله تعالى، من التكبير والتهليل، والتسبيح والاستغفار والتحميد، بالذكر يتحصن الإنسان من الشيطان .

ثانياً - الفعالية في إدارة الصراع مع العدو الثاني: (٤٩١)

والعدو الثاني هو النفس ذاتها، فالنفس مخلوقة بطبيعة مزدوجة بين قطبين قطب إلهي نوراني، يوجهها إلى الخير والصلاح، وقطب شيطاني مظلم يوجهها إلى الشر والفساد، وهذا الصراع هو الذي تنتصر فيه النفس بزيادة الرصيد الإيماني بالأعمال الصالحة . والله تبارك وتعالى قد قرر هذه القابليات المزدوجة في النفس في كتابه الكريم فقال ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٤٩٢)، وذكر سبحانه وتعالى تخيير العبد مع أي من هذه الطباع النفسية ، وهداه إلى السبيل الأقوم وهو اتباع منهج الأعمال الصالحة كما قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٤٩٣)، وبين له جزاء مخالفة النفس السيئة بقوله ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤٩٤).

(٤٩١) انظر الشباب المسلم في مواجهة التحديات الدكتور عبدالله علوان

دار القلم، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ. ص ١٧.

(٤٩٢) سورة الشمس الآيات ٧، ٨، ٩

(٤٩٣) سورة الإنسان آية ٣

(٤٩٤) الفازعات ٤١، ٤١

ثالثاً - التربية الجادة للنفس :

وذلك بتربيتها على الآداب الإسلامية العالية التي تكلم عنها أرباب السلوك وتزكية النفوس مثل المحاسبة، والمراقبة، والتوبة، والمجاهدة، ونحوها .

فالمراقبة تعني الحساسية تجاه الأفعال،^(٤٩٥) فالذي يراقب الله في أعماله لا بد أن يجتهد ويجاهد نفسه في عمل الصالحات^(٤٩٦) وهو يتذكر قوله عز وجل: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٤٩٧)، وقوله ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾^(٤٩٨)، وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٤٩٩). فيعلم أن الخالق العظيم مطلع عليه يعلم السر والنجوى، وما هو أدق وأخفى، حتى الأفكار والوساوس والخطرات ودقيق الكلمات هو سبحانه أدرى بها ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٥٠٠) ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٥٠١) .

(٤٩٥) انظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب، مكتبة طيبة، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ . ص ٣٤٠ .

(٤٩٦) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص ٢١١ .

(٤٩٧) سورة المجادلة آية ٧

(٤٩٨) سورة الشعراء آية ٢١٨

(٤٩٩) سورة آل عمران آية ٥

(٥٠٠) سورة ق آية ١٦ .

(٥٠١) سورة ق آية ١٨ .

والمحاسبة أدب رفيع وآلية فعالة في تربية النفس، وهي تعني الوقوف مع النفس وقفات للمراجعة والتقويم وتلمس نواحي النقص والقصور ومحاولة تعديل السلوك بناء على ذلك، وقد ورد في الأثر (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا واستعدوا للعرض الأكبر على الله)^(٥٠٢). فالذي يجعل لنفسه وقفات محاسبة يومية ولو دقائق معدودة سائلاً نفسه عن المسؤوليات التي هو مكلف بها هل قام بها أم لا، وما نواحي القصور وكيف يمكن معالجتها، ونواحي القوة وكيف دعمها والاستمرار عليها، الذي يفعل ذلك يجد دافعاً لعمل الصالحات والقيام بما هو مطلوب منه من الطاعات والباقيات الصالحات .

والتوبة أدب كبير من آداب تربية النفس ذلك أن الإقلاع عن الذنوب والمعاصي والرجوع إلى الله تبارك وتعالى وتجديد العهد مع الله ، يدفع العبد دفعاً حثيثاً إلى المسارعة إلى ما يحبه الله تعالى من الأعمال الصالحة ، بل قد أمر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم العباد أن يجعلوا التوبة في حياتهم متجددة "وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون"^(٥٠٣)، فهذا

(٥٠٢) رواه الترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب صفة القيامة ٦٣٨/٤
(٥٠٣) سورة النور آية ٣١ .

أمر من المولى جل وعلا بالتوبة من الذنوب والتحرر من الكبائر وكثرة الاستغفار من الصغائر والتحرز منها، فإن الصغائر تجتمع على المرء حتى تهلكه، وقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام من التهاون بها فقال: "إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإن رسول الله ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجئ بالعود، حتى جمعوا سواداً فأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها"^(٥٠٤)، ولأن للتوبة حاجة ملحة في النفس حتى مع عدم وجود الذنوب، كان أسعد السعداء عليه الصلاة والسلام يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم الواحد أكثر من سبعين مرة، مع أنه مغفورة ذنوبه عليه الصلاة والسلام.

ونجمل علاج التفريط في الأعمال الصالحة - بعد مجاهدة النفس - فيما يلي:

الثاني - معايشة القرآن الكريم والسنة النبوية

الثالث - الاعتدال والتوسط في المباحات

الرابع - إدراك دور الأعمال الصالحة في تحقيق السعادة

(٥٠٤) رواه أحمد حديث رقم ٣٦٢٧ من حديث ابن مسعود. اسناده حسن، ابن حجر فتح الباري ١١ / ٣٢٧ .

الخامس - الشكر

السادس - التوازن

السابع - الوسط الصالح

الثامن - الاستعانة التامة بالله عز وجل

التاسع - دوام النظر في سير وأخبار السلف الصالح

المبحث الثالث

الأمراض التي يصاب بها المسلم في حياته

الصحة مطلب عظيم من مطالب الحياة السعيدة، بها تكتمل سعادة المسلم، وبفقدتها تنغص عليه الحياة،^(٥٠٥) ولكن هناك نقاط توقف في حياة المسلم، يتعرض فيها للأمراض، على اختلاف أنواعها، وتعدد أسبابها، وتنوع مظاهرها وأشكالها وسوف يكون هذا المبحث في أنواع الأمراض التي يتعرض لها المسلم والتي قد تكون عائقاً من عوائق السعادة ومنغصاً من منغصاتنا :

النوع الأول : الأمراض البدنية

النوع الثاني : الأمراض النفسية

النوع الثالث : الأمراض الاجتماعية

أولاً : الأمراض البدنية :

هذا النوع من الأمراض هو الذي يتبادر الى الذهن عند سماع كلمة (مرض) إذ أن تعدد الأمراض البدنية (العضوية)، هو الشائع المنتشر،^(٥٠٦) خاصة في هذا الزمن ، حيث إنه قد

(٥٠٥) انظر الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن ص ٦٧ .

(٥٠٦) المصدر السابق ص ٧٥ .

تفشيت أمراض وظهت أوجاع لم تكن معروفة من قبل، وقد لا تجد جهازاً، أو عضو من أعضاء الجسم إلا وقد عرف بمرض من الأمراض، حتى كثرت مسميات الأمراض الخاصة بكل عضو من الأعضاء .

وللتقدم الكبير في مجال الطب ودراسة الأمراض فقد خصصت دراسات وأبحاث في مجالات طبية متعددة، لدراسة حالات تلك الأمراض، وإعداد الأدوية والعلاجات المناسبة لها، وأنشئت الوزارات، وافتتحت المستشفيات، وتعددت كليات الطب، وأقسام العلوم الطبية المختلفة في كل بقاع العالم، كل ذلك من أجل المحافظة على الصحة العامة للإنسان، وسلامته من الأمراض .

وتعد السلامة من الأمراض، والمعافة منها على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للمؤمن الذي يريد بسلامة صحته التقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح في هذه الدار، حتى ينعم بالسعادة الأبدية في الدنيا وفي الآخرة إذ أن الاعتلال بالأمراض البدنية، قد يقعد عن كثير مما يصبو إليه المؤمن، ويتطلع إليه، وإن كان ذلك لا يعد مانعاً مطلقاً، لكن قد يتسبب في حرمان المسلم بعض الأحوال التي ترنو إليها الهمة، ويهفو إليها الفؤاد من أحوال الهناء والسعادة بأعمال البر والطاعات .

وقد عد النبي عليه الصلاة والسلام المعافاة من الأمراض البدنية من الأمور التي إذا حصلت للمسلم فكأنما ملك الدنيا جميعها ، وذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : (من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)^(٥٠٧).

ونظراً لأن مفهوم السعادة أكثر التصاقاً بالمشاعر والأحوال القلبية والنفسية منه بالبدن والمظاهر الجسدية فإن تأثير تنغيص الأمراض البدنية على سعادة المسلم يبقى محدوداً إذا ما قورن بأمراض الأنواع الأخرى (النفسية)، حيث إن هناك عوامل إيمانية معينة ومؤثرة جداً على تلافي تأثير أمراض الجسد على سعادة المسلم ، والتي منها ما يلي :

١- عامل الصبر على المرض، مما ينتج عنه تكفير للخطايا والآثام ، وأن ذلك من الابتلاء للمؤمن، كما جاء في الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه

(٥٠٧) رواه الترمذي في كتاب الزهد باب التوكل على الله ، برقم ٢٢٦٨ ،

ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب القناعة برقم ٤١٣١ .

والحديث حسن لشواهده انظر السلسلة الصحيحة برقم ٢٣١٨ .

فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة) (٥٠٨).

٢ - عامل احتساب الأجر في الآلام والأوجاع ، كما ثبت ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام بقوله : (ما يصيب المسلم من هم ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله تعالى بها من خطاياها) (٥٠٩).

٣ - عامل الرضا بما قدر الله تعالى على العبد من أمراض، وآلام يورث لدى المسلم حالة من الشعور بالسعادة تقابل ما يشعر به من ألم المرض .

٤ - النية الصادقة في الاستمرار على العمل الصالح يكتب بها للمسلم الأجر والثواب لمن يتعرض للمرض، كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بذلك بقوله (إذا كان العبد يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض أو سفر كتب له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم) (٥١٠).

(٥٠٨) رواه ابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم ٤٠١٣ صححه ابن حبان، المقاصد الحسنة للسخاوي برقم ٨٣ .

(٥٠٩) رواه البخاري في صحيحه كتاب المرض، باب كفارة المرض، برقم ٥٢١٠ .

(٥١٠) سنن أبي داود كتاب الجنائز باب إذا كان الرجل يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض رقم ٣٦٨٧ والحديث حسن، انظر السلسلة الصحيحة للألباني ٢٠٩١ .

٥- الإيمان بالقضاء والقدر : إن الإيمان بهذا الركن العظيم والتكيف الصحيح مع أحداث الحياة ، كفيل بإذن الله تعالى بالوقاية من هذا العائق الذي ينغص على المسلم سعادته، ذلك أن الإيمان بالقضاء والقدر له تأثير كبير على صحة وسعادة الروح ، فالإنسان المؤمن بقضاء الله وقدره مطمئن النفس رضي البال صابراً صامداً تجاه ضربات القدر، كالجبل الأشم لا تؤثر فيه الريح ولا تقلقله الزوابع مهما عنت ، فهو مؤمن أن هذه المصائب شئ مكتوب عليه منذ اللحظة التي نفخ الملك فيها الروح، وكتب عليه ما سيدوق من حلو ومر في ببدء هذه الحياة، كما قال عليه الصلاة والسلام (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً بأربع كلمات، فيكتب عمله، وأجله، ورزقه وشقي أو سعيد)^(٥١١). ولا شك أن للتسليم والرضا ، وتسليم القيادة لله أثراً عظيماً في محاربة الآلام والهموم المصاحبة للأمراض ومقاومتها وبالتالي القضاء عليها، ومن تأمل قول الله تعالى: ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها

(٥١١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة

إن ذلك على الله يسير))^(٥١٢) ، وقوله تعالى ((قل لنا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون))^(٥١٣) من تأمل ذلك وجد الطمأنينة واليقين، في أعماله، وما يعترض طريقه من مشكلات ومصاعب،^(٥١٤) وسلم أمره للحجى القيوم، وإذا تذكر قول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام (...واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)^(٥١٥)، إنه إذا تذكر ذلك هانت عليه المصاعب النازلة بساحته من الأمراض، فهو مؤمن بأنها مقدرة عليه ، وستحل به كائناً من كان وكيفما كان.^(٥١٦)

(٥١٢) سورة الحديد آية ٢٣

(٥١٣) سورة التوبة آية ٥١

(٥١٤) الهداية الريانية إلى الضوابط الأمنية، أنس كرزون ص ٦٠

(٥١٥) رواه الترمذي، في سننه، كتاب القيامة والرقائق والورع، باب منه برقم ٣٤٤٠.

(٥١٦) انظر الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة نورة بنت صالح آل علي الناشر دار ابن القيم . ص ١٩، ٢٠.

ثانياً : الأمراض النفسية :

يعيش العالم حالياً عصر الاضطرابات النفسية، كما تدل على ذلك الأرقام والإحصائيات التي تؤكد أن ما يقرب من نصف سكان العالم يعانون من نوع أو آخر من الأمراض النفسية ، وتشير الإحصائيات إلى أن نسبة الإصابة بحالات القلق النفسي تصل إلى ٣٠٪ في بعض المجتمعات، وحالات الهلع والخوف المرضية بنسبة ١٢٪، والاكتئاب النفسي بنسبة ٧٪، والوسواس القهري بنسبة ٣٪، وذلك بالإضافة إلى مرض الفصام العقلي بنسبة ١٪، وهذه مجرد أمثلة للانتشار غير المسبوق للأنواع المختلفة من الأمراض والاضطرابات النفسية التي تصيب الإنسان في مختلف بلاد العالم^(٥١٧)، ويعود ذلك إلى تعقيدات الحياة المعاصرة، وتناقضاتها ، وإن كانت الأمراض النفسية هي من جملة الأمراض التي يصاب بها الإنسان ، ولا فرق في ذلك بين المسلم والكافر^(٥١٨)، ولكن الملاحظ أن انتشار الأمراض النفسية والعقلية في المجتمعات غير المسلمة أكثر، ولعل ذلك بسبب وجود ما يعين المسلم من مؤثرات روحية

(٥١٧) من بحث للدكتور / لطفى الشربيني (استشاري الطب النفسي) من موقع : حياتنا النفسية .

(٥١٨) انظر العلاج النفسي والعلاج بالقرآن ، رؤية طبية نفسية شرعية ، د. طارق الحبيب ص ٣٦٤ .

تخاطب الروح وتؤثر فيها كآيات القرآن الكريم ، وما يحمل المسلم من معتقدات وتصورات صحيحة عن الحياة ، تؤدي به حتماً إلى التوافق التام والتكامل بين احتياجات الجسم والنفس .

وعندما لا تكون هناك أي أمراض نفسية يتعرض لها الفرد فإنه يوصف بالصحيح نفسياً إذ أن الصحة النفسية هي (حالة إيجابية توجد عند الفرد ، وتكون في مستوى قيام وظائفه النفسية بمهامها كما يبدو ذلك في عدد من المظاهر : فإن كانت الوظائف النفسية تقوم بمهامها على شكل حسن ومتناسق ، ومتكامل ضمن وحدة الشخصية ، كانت الصحة النفسية سليمة وحسنة ، وإن لم يكن الأمر كذلك كان من اللازم البحث عن أوجه النظر فيها) ^(٥١٩).

ويذكر المختصون في دراسة الطب النفسي وعلم النفس مظاهر عديدة للإنسان الصحيح نفسياً وهي على النحو التالي: ^(٥٢٠)

- ١- تكامل الدوافع النفسية وانسجامها وعدم الصراع النفسي .
- ٢- تقبل الحقيقة بالنسبة للذات والغير وللعالم المحيط .

(٥١٩) الصحة النفسية ، نعيم الرفاعي ، مطبوعات جامعة دمشق الطبعة السابعة ، ١٩٨٧م ص ٦ .

(٥٢٠) علم الصحة النفسية ٧ د. مصطفى خليل الشرقاوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ص ٢٦ ، ٢٧ .

- ٣- تحمل مسؤولية الأعمال والمشاعر والأفكار وعدم تحميلها الآخرين.
- ٤- تقبل النقد عند اندماجه في عمل جماعي من أجل تحقيق أهداف مشتركة.^{٥١}
- ٥- تقدير الحياة والشعور بالرضا للوجود فيها بمعنى أن يكون الشخص سعيداً بحياته ويرى أن لها قيمة وفيها ما يستحق أن يكافح ويعمل من أجله .
- ٦- إدراك الدوافع والأهداف التي يعمل من أجلها، ومعرفة الوسائل التي يستطيع أن يحقق بها هذه الأهداف .
- ٧- التعاون والمبادأة من منطلق الطبيعة الإنسانية في اعتماد الناس بعضهم على بعض، وكذلك المبادرة بالإسهام في تحسين البيئة المحيطة والخدمة والعطاء .
- ٨- الاتزان الانفعالي، فالشخص الصحيح نفسياً يمكنه السيطرة على انفعالاته المختلفة والتعبير عنها بحسب ما تقتضيه الضرورة وبشكل يتناسب مع المواقف التي تستدعي هذه الانفعالات.
- ٩- ثبات الانفعالات في المواقف المتشابهة .

(٥٢١) انظر الخلق الكامل، مكتبة محمد صبيح، الأزهر، الطبعة الثانية
١٣٨٥هـ / ١ / ٣٦٠ .

١٠- ثبات السلوك، ويعني التمسك بالمبادئ المعينة التي يرتضيها الفرد والأساليب السلوكية الإيجابية المرتبطة بذلك والتي أصبح يتبعها في حياته .

والاضطرابات النفسية التي قد يتعرض لها الإنسان فتخرجه عن صحته النفسية الكاملة كثيرة مثل حالات الذهان والتي تشمل: الفصام والذهانات الانفعالية، وذهان الزور، ومثل حالات العصاب، والتي تشمل: الهستيريا والقلق العصبي، والخوف العصبي، والوهن العصبي، والوساوس المتسلطة والاكئاب العصبي^(٥٢٢).

ونظراً لأن كل هذه الاضطرابات هي ما يتعلق بشعور الإنسان وتكيفه مع البيئة المحيطة من حوله، فإن لها تأثيراً بيناً في استكمال السعادة والشعور بها، ولذلك فإن مقدار السعادة يتناسب تناسباً عكسياً مع وجود الاضطرابات النفسية فكلما زادت الإصابة بعرض من هذه الأعراض صاحبها فقدان من الشعور بالسعادة بمقدار ذلك حيث إن المضطرب نفسياً يسعى للاستقرار الذي هو مظهر من مظاهر السعادة - والحديث هنا خاص بالاضطرابات المرضية وليس مجرد

(٥٢٢) الصحة النفسية، نعيم الرفاعي، وانظر علم الصحة النفسية ص ٤٦
د. مصطفى خليل الشرقاوي ص ٢٤٠ .

الاختلاف النفسي فهذا لا يخلو منه أحد غالباً - ولأن الأمراض النفسية متعددة ومتنوعة فإن الباحث سوف يقتصر على ذكر نماذج من الأمراض النفسية والتي يرى أنها الأكثر شيوعاً وانتشاراً خاصة في هذا العصر :

الأول: القلق :

يعد القلق من أكثر الأمراض النفسية انتشاراً وشيوعاً ويشمل كثير من الاضطرابات النفسية تقل أو تكثر حسب حدة المرض ، وضعفه .

تعريف القلق :

لغة : الانزعاج ، يقال بات قلقاً وأقلقه غيره^(٥٢٣).

والقلق من الحركة، أقلق المرء الشيء أي حركه من مكانه، وأقلق القوم السيوف أي حركوها في غمدها، فالقلق إذن هو الحركة والاضطراب وهو عكس الطمأنينة^(٥٢٤).

اصطلاحاً : هو حالة نفسية تتصف بالتوتر والخوف

والتوقع ، سواء كان ذلك حيال أمور محددة أم غامضة^(٥٢٥).

(٥٢٣) لسان العرب ج ١٠ ص ٣٢٤ .

(٥٢٤) القلق وكيف نتخلص منه د. زهير السباعي دار القلم ، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ . ص ٧ .

(٥٢٥) المصدر نفسه ص ٧ .

وهو انفعال عاطفي يتميز بالتخوف والتوجس والترقب،
بما يصاحب ذلك من تغيرات فسيولوجية وأعراض بدنية
وسلوكية.^(٥٢٦)، ويعرفه صاحب كتاب الصحاح في اللغة
والعلوم بأنه :

حالة انفعالية تتميز بالخوف مما قد يحدث من المستقبل
وهي من خصائص مختلف الاضطرابات النفسية^(٥٢٧).

وفي الطب النفسي : هو شعور غامض عام بالخوف
والتوجس والتوتر دون إدراك لمصدر الخوف ويكون مرضياً
لأنه يصاحب الفرد في كل مكان ولا يمكن مواجهة مصدره أو
ملاقاته ويصبح مصدراً للرعب والوساوس والتفكير والضيق
والحصر. ويكون مصحوباً بأحاسيس جسمية تتكرر بين حين
وآخر يشكل ضيقاً في الصدر والتنفس أو فراغاً في المعدة،
أو تسرعاً في نبضات القلب.^(٥٢٨)

(٥٢٦) نفسه ص ١١ .

(٥٢٧) الصحاح في اللغة والعلوم العلامة الشيخ عبد الله العلاء يلي (دار
الحضارة العربية بيروت) ص ٣٣٦ .

(٥٢٨) أسس الطب النفسي الحديث د. عطوف محمود ياسين منشورات
بحسون الثقافية ص ٢٣٩ .

وأما أسباب القلق ، فهناك أسباب كثيرة تؤدي إلى القلق منها، الضغوط النفسية،^(٥٢٩) واختلاف طبيعة الشخص وطاقته الذاتية على مواجهة ومقاومة الظروف الضاغطة نفسياً، والسند الاجتماعي للشخص سواء المساندة المادية أو المعنوية، والعاطفية، وأما العوامل الرئيسية التي تظهر أعراض القلق فهي :

- ١- الخوف والتوجس وترقب السوء حيال أشياء معروفة أو مبهمة.
- ٢- الصراع بين نوازع الإنسان من جهة والقيود التي تحول دون هذه النوازع .
- ٣- الفردية والوحدة ، وما يصاحب ذلك من تركيز على الذات .
- ٤ - تحميل الإنسان نفسه ما لا تحتمل من الأعمال والمسؤوليات .
- ٥ - الإفراط والتفريط في الحياة العملية ، وعدم التوازن في أمور الحياة .^(٥٣٠)

(٥٢٩) محاضرة د. طارق الحبيب ، طيف محقق الأمن في ذواتنا . (شريط كاسيت) .

(٥٣٠) انظر الصحة النفسية ص٤٦ ، والقلق وكيف تتخلص منه ص٧٧ .

الثاني: الاكتئاب :

التعريف :

في اللغة : الكآبة سوء الحال والانكسار والحزن،
اكتأب اكتئابا واكتئاب حزن واغتم وانكسر فهو كئيب^(٥٣١) .

في الاصطلاح : هو مظهر أو نتيجة من نتائج القلق
يصاحبه شعور بالبوأس وشعور بالتوعك والعجز والمزاج
السوداوي وضيق الصدر وعدم الرضا واليأس وعدم
الاكتراث بالحوادث أو نتائجها وشعور بالإعياء وعدم القدرة
على إنجاز أي عمل والانحدار في الثقة بالنفس.^(٥٣٢)

أسباب الاكتئاب: (٥٣٣)

أولاً: أسباب عضوية:

١- تغيرات في بعض كيميائيات المخ من أهمها مادة السيروتونين
ومادة النور ادرينالين التي لها دور هام في حدوث الاكتئاب
النفسي عند نقصهما . كذلك نقص هرمونات الغدة الدرقية
ونقص الفيتامينات كفيتامين ١٢^(٥٣٤) .

(٥٣١) لسان العرب ٦٤٩/١ .

(٥٣٢) أسس الطب الحديث ص ٢٤٧ د. عطوف محمود ياسين ، منشورات
بحسون الثقافية .

(٥٣٣) موقع <http://www.feedo.net/tellafriend.asp>

(٥٣٤) الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة د. عبد الله الخطر كتاب المنتدى . ص ٣٦

٢- عامل الوراثة: الجينات الوراثية تؤثر في حدوث الاكتئاب، حيث وجد أنه هناك عوامل وراثية لظهور الاكتئاب في بعض العائلات إذ أن الدراسات التي أجريت على التوائم أحادي البويضة وجد أن إصابة أحد التوائم بالاكتئاب يرفع نسبة حدوث الاكتئاب في التوائم الآخر إلى ٧٠٪ ويكون عرضة للإصابة بالاكتئاب في مرحلة ما من حياته الشخصية.

٣- الروح الانهزامية، والاعتماد علي الغير، والتأثر بالمتغيرات الخارجية والشخصيات التي لها دائماً نظرة تشاؤمية للأمور احتمال إصابتها بالاكتئاب كبيرة .

ثانياً: عوامل بيئية:

١- أحداث الدنيا، كفقد عزيز، أو تغير معيشة، أو انقطاع علاقة اجتماعية ونحو ذلك من أحوال مثل كثرة التعرض للعنف والاعتداء النفسي أو الجسدي، وكذلك كثرة الضغوط الخارجية على الإنسان دون وجود متنفس لها تدعو إلى الشعور بعدم جدوى الحياة وهي أهم المؤديات للاكتئاب.

٢- الأدوية، فقد ثبت في الدراسات والتجارب التي أجريت أن بعض الأدوية يؤدي إلى تغيرات كيميائية في الدماغ فيؤدي إلى ظهور آثار جانبية منها الاكتئاب. (٥٣٥)

(٥٣٥) الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٦ د. عبد الله الخطر كتاب المنتدى .

٣- المخدرات :

ثبت أن بعض المخدرات تسبب الاكتئاب بنفسها، وبعضها إذا توقف عنها الإنسان، مثل أنواع الخمور، والحبوب المنبهة التي يستخدمه سائقو الشاحنات، إذ أنها تحتوي على مادة الأمفيتامين التي إذا توقف عنها المتعاطي أصيب بالحزن والضيق. (٥٣٦)

أعراض الاكتئاب :

- يذكر المختصون في علاج الأمراض النفسية، من الأطباء النفسيين جملة من الأعراض لمرض الاكتئاب منها ما يلي :
- ١- الشعور بهبوط الروح المعنوية معظم الوقت .
 - ٢- الشعور بعدم الرضا عن النفس وقد يفقد الثقة بالنفس.
 - ٣- سيطرة الأفكار السلبية على تفكير المصاب.
 - ٤- الشعور بالعجز والخواء واليأس .
 - ٥- لوم النفس والشعور بالذنب تجاه الأمور بدون ضرورة.
 - ٦- ضعف التركيز وعدم المقدرة على اتخاذ القرارات .

(٥٣٦) نفسه ص٢٦ ،

وانظر الصحة النفسية نعيم الرفاعي ص ٣١٢.

- ٧- سرعة الانفعال بشكل غير اعتيادي وفقدان الصبر .
 - ٨- اضطرابات وصعوبة في النوم .
 - ٩- عدم الاتزان في التغذية ، فقد يفرط المكتئب فيزداد وزنه، أو قد يفرط فيقل وزنه.
 - ١٠- لا يتمتع بالأنشطة المبهجة عادة .
 - ١١- يعاني من اضطراب في الرغبة الجنسية .
 - ١٢- يحاول الهروب إلى استعمال التبغ أو المخدرات أو الكحول رغبة في إزالة الاكتئاب .
 - ١٣- يفكر أو يرتكب أفعال إيذاء النفس أو الانتحار.
 - ١٤- يعاني من الضعف في النشاط والطاقة .
 - ١٥- يتعد عن الآخرين بدلا من أن يطلب منهم المساعدة أو الدعم .
 - ١٦- يكون لديه نظرة يائسة ومتشائمة للمستقبل .^(٥٣٧)
- ومن خلال النظرة الواقعية لأثر الحضارة المادية المعاصرة - البعيدة عن الوحي - في إحداث الاضطرابات النفسية لدى الإنسان المعاصر نجد أن الواقع الذي تشهد به الإحصائيات

(٥٣٧) موقع multikulti : العربية، الصحة، وانظر الموسوعة النفسية، عبداللطيف شراره، دار إحياء العلوم، بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٨ هـ. ص ١١ .

والأرقام ، وتُسمعنا إياه الأخبار والتحليلات والتعليقات يدل على أن الحضارة المادية المعاصرة أدت إلى تدهور كبير في الصحة النفسية للإنسان المعاصر حيث إن مرضى الاضطرابات النفسية والعقلية يشغلون في أمريكا فقط أكثر من نصف الأسرة في جميع المستشفيات المخصصة للأمراض الأخرى، بمعنى أن هناك مستشفيات مخصصة للأمراض النفسية والاضطرابات العصبية هذه كلها مليئة بهؤلاء المرضى، لكن هناك مستشفيات عامة تصف أعداد الأسرة التي فيها من المرضى النفسانيين الذين يصابون بالاكتئاب والاضطراب والخوف والجزع ، وغير ذلك من هذه الأدواء والعلل. ومن أثر ذلك كان تطور الاعتداء على النفس البشرية بإزهاقها وإعدامها من الوجود ، وذلك يتمثل في جريمة الانتحار التي أعظم أسبابها هو هذه الاضطرابات والأمراض النفسية ، حيث ارتفعت نسبة الانتحار في أمريكا إلى ٧٠٠٠٠ سبعين ألف حالة انتحار في كل عام، وأكثرها من شباب العقد الثالث أي في سن ما بين العشرين والثلاثين.

وفي إحصائيات أخرى بلغ عدد المقدمين على الانتحار خلال عام واحد هو (٢٥٠٠٠٠) مائتين وخمسين ألف شخص ربع مليون - أي بمعدل مئة وعشرين شخصاً في اليوم

الواحد - وبالمقارنة أن هذا العدد أقل من عدد جرائم القتل التي يعتدي فيها الإنسان على الإنسان، فأصبح قتل الإنسان لنفسه أكثر عدداً من جرائم القتل التي يعتدي فيها عليه غيره وفي الدول الإسكندنافية التي^(٥٣٨). تعتبر أكثر دول العالم تحللاً - ليس فيها شيء ممنوع مطلقاً - والتي تمثل أرقى وأعلى مستوى معيشة في العالم - سجلت الإحصائيات أكثر نسبة الانتحار بين دول العالم كلها؛ لأنه كلما غاص الإنسان في الوحل كلما ازداد تلطخاً بالأوضار، وكلما زاد في الشهوات المحرمة كلما ضاقت نفسه وضاق صدره وأقبل على إنهاء وجوده مختاراً بنفسه، ولذلك أنشأت في تلك البلاد - ذات الحضارة العريقة التي ينخدع بها الناس - مراكز لتلقى مكالمات المتقدمين على الانتحار، أو الذين لديهم مشكلات عاطفية، والذين يعانون من ضيق الصدر وعندما أنشأت هذه المراكز انهالت عليها مئات الآلاف من المكالمات، التي تكشف عن مدى عمق التمزق النفسي والاضطراب الذي يعيشه أولئك القوم .

ولذلك أنشئت في بعض الجامعات وحدات لمراكز أبحاث متخصصة في شؤون الاكتئاب ، وفي الإحصائيات

(٥٣٨) انظر الإيمان والحياة ، د. يوسف القرضاوي ص ٨٤ .

التأخرة نجد هذه الأرقام في أمريكا نسبة الانتحار تبلغ ما بين ١٠ إلى ١٢ في كل مئة ألف نسمة^(٥٣٩).

الثالث : الأمراض الاجتماعية :

الأمراض الاجتماعية ، مصطلح شائع لبعض الأخلاق الذميمة، والتي تظهر عند تعامل الإنسان مع الآخرين وتؤثر على سلامة الصحة العامة للمسلم المصاب بها، مثل الحسد، والحقد ، والظلم، والغيبة والنميمة، والغضب، والكبر، والرياء، وغيرها، وهي تسمى عند علماء تزكية النفوس بأمراض القلوب^(٥٤٠)، وحتى لا يلتبس الأمر بالنسبة للأمراض القلبية التي تصيب عضو القلب، كما سبق في الأمراض البدنية، فإن المؤلف قد اختار تسمية هذه الأخلاق بالأمراض الاجتماعية نسبة لتعلقها بأفراد المجتمع، أو لظهورها عند المخالطة والانخراط في الناس ، وسوف يذكر نموذجاً من أهم تلك الأمراض والتي يرى المؤلف أنه الأكثر أثراً في تنغيص السعادة ، وأنه ربما كان هو الدافع لكثير من الأمراض الاجتماعية الأخرى التي تؤثر سلباً في سعادة المسلم ، ألا وهو مرض الحسد،

(٥٣٩) مرجع هذه الإحصائيات، محاضرة للشيخ علي بادحدح، من موقع إسلاميات، بتصرف .

(٥٤٠) انظر موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للقاسمي ص ٢٠٤ .

وسوف يتناوله المؤلف من حيث مفهومه، وحكمه، ومراتبه، وأسبابه، وعلاجه، وذلك على النحو التالي:

الحسد:

أ - مفهوم الحسد:

الحسد في اللغة: القشر، وحسد الشجرة قشر عنها لحاءها،^(٥٤١)

وأما في الشرع فقد تعددت تعريفات العلماء للحسد، فن ذلك:

١- يعرفه الماوردي أنه: شدة الأسى على الخيرات تكون لأفاضل الناس.^(٥٤٢)

٢- تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للحسد أنه: البغض والكره لما يراه من حال المحسود.^(٥٤٣)

٣- الغزالي يعرف الحسد أنه: كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه^(٥٤٤)

(٥٤١) انظر لسان العرب لابن منظور، مادة حسد ٢/٨٦٨.

(٥٤٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٢٤٥.

(٥٤٣) مجموع الفتاوى ١/١١٢.

(٥٤٤) إحياء علوم الدين ٣/٢٤٩.

٥- عرف الجرجاني الحسد أنه : تمنى زوال نعمة المحسود إلى الحاسد. (٥٤٥)

٦- ويعرف ابن حجر العسقلاني الحسد أنه : تمنى الشخص زوال النعمة عن مستحق لها أعم من أن يسعى في ذلك أولاً. (٥٤٦)

يظهر من التعاريف السابقة أن بعضها ذكر أسباب الحسد، مثل تغير القلب والحزن والكره والبغض الآخر، أو ذكر آثار الحسد مثل الغم الذي يصيب القلب ، وبعضها ذكر حقيقة الحسد والتي هي تمنى زوال النعمة عن الغير، إذ لا حسد إلا عند نعمة ، ولذلك فإن التعريف المختار هو :

الحسد تمنى زوال النعمة عن الغير مطلقاً ، أعم من أن يكون صاحب هذه النعمة مستحقاً لها أو لا ، وأعم من أن تزول إلى الحاسد أو لا ، وأعم من أن يسعى الحاسد في إزالتها أو لا ، وأعم من أن يكون السعي بالتفكير، أو التخيل، أو بالنظر بالعين ، أو بالملامسة ، أو بغيرها. (٥٤٧)

(٥٤٥) التعريفات، الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ ص ١١٧

(٥٤٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٤٢٢/٥ ، وانظر إحياء علوم الدين للغزالي ٢٤٩/٣ .

(٥٤٧) وانظر آفات على الطريق ٢٦٩/٦ مرجع سابق .

ب - حكم الحسد :

الحسد محرم ، لورود النهي الصريح عنه في قوله عليه الصلاة والسلام : (.. لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ..).^(٥٤٨) ولأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد حذر منه الأمة وبين لهم خطورته فقال: (إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب)^(٥٤٩). غير أن وجود الحسد أمر لا يسلم منه إلا من عصمه الله تعالى، وفي ذلك يذكر العلامة ابن القيم كلاماً نفيساً إذ يقول : (تأمل تقييده سبحانه وتعالى: شر الحاسد بقوله: (إذا حسد)، لأن الرجل قد يكون عنده حسد، ولكن يخفيه ، ولا يترتب عليه أذى بوجه ما، لا بقلبه ، ولا بلسانه، ولا بيده بل يجد في قلبه شيئاً من ذلك، ولا يعامل أخاه إلا بما يحب الله ، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصم الله .

وقيل للحسن البصري : أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك لإخوة يوسف. لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك، وهو لا يطيعها، ولا يأتمر بها، بل يعصيها طاعة لله، وخوفاً، وحياءً منه ، وإجلالاً له أن يكره نعمه على عباده، فيرى ذلك

(٥٤٨) رواه مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم التحاسد برقم ٤٦٤١ .

(٥٤٩) رواه ابو داود كتاب الأدب باب الحسد برقم ٤٢٥٧ فيه راو لم يسم،

الألباني تحقيق رياض الصالحين ١٥٧٧ .

مخالفة لله ، وبغضاً لما يحب الله ، ومحبة لما يبغضه فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك، ويلزمها بالدعاء للمحسود، وتمني زيادة الخير له، بخلاف ما إذا حقد على ذلك وحسده، ورتب على حسده مقتضاه : من الأذى بالقلب، واللسان، والجوارح، فهذا الحسد المذموم، هذا كله حسد تمني الزوال ، ومثله : تمني استصحاب عدم النعمة ، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يجب أن يبقى على حاله من جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن الله، أو قلة دينه ، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب ، فهذا حسد على شئ مقدر، والأول حسد على شئ محقق، وكلاهما حاسد عدو نعمة الله وعدو عباده، ممقوت عند الله تعالى وعند الناس ، ولا يسود أبداً ، ولا يواسى ، فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبداً، إلا قهراً ويعدونهم من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها، فهم يبغضونه وهو يبغضهم^(٥٥٠).

(٥٥٠) انظر بدائع التفسير لابن القيم دار ابن الجوزي، جمعه، ووثق نصوصه، يسري السيد أحمد . ٤٢٤.٤٢٣/٥ .

د - أسباب الحسد:

وللحسد أسباب ودوافع متعددة منها ما هو متعلق بالحاسد ومنها ما هو متعلق بالمحسود وهي على النحو التالي:

١ - العداوة والبغضاء والحقد (من الحاسد): وهذا من أشد أسباب الحسد وأصل المحاسدات العداوة وأصل العداوة التزاحم على غرض والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما. والحسد نتيجة من نتائج الحقد وثمره من ثمراته المترتبة عليه فإن من يحقد على إنسان يتمنى زوال نعمته ويغتابه وينمّ عليه ويعتدي على عرضه ويشتم به لما يصيبه من البلاء ويغتمّ بنعمة إن أصابها ويسر بمعصية إن نزلت به وهذا من فعل المنافقين والعياذ بالله. (٥٥١)

٢ - التعزز والترفع (من الحاسد): فإذا أصاب أحد زملائه ولاية أو مالاً خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره وافتخاره عليه. ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم فنطأطئ رؤوسنا له فقالوا (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريرتين عظيم). (٥٥٢)

(٥٥١) انظر احياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٣٥٣.

(٥٥٢) سورة الزخرف آية ٣١.

٣ - الكبر (من المحسود): وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر على الحاسد ويستحقه ويستصغره ويستخدمه فإذا نال ولايةً خاف ألاّ يحتمل تكبره فيحسده على ذلك ويتمنى زوال تلك النعمة .

٤ - التعجب (من الحاسد): كما أخبر الله عن الأمم الماضية إذ ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ فتعجبوا أن يفوز برتبة الرسل والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم. ^(٥٥٣)

٥ - الخوف من المزاحمة وفوات مقصد من المقاصد بين النظراء في المناصب والأموال (من الحاسد والمحسود): وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد وذلك مثل الضرات عند زوجهن والتلاميذ عند الأستاذ والإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلوب الأبوين ليتوصل بها إلى مقاصد الكرامة والمال وخدام الملك في نيل المنزلة من قلبه. والتاجر يحسد التاجر والصانع يحسد الصانع والنجار يحسد النجار والفلاح يحسد الفلاح وأرباب الجاه يحسدون أرباب الجاه والمناصب الحكومية يحسد بعضهم بعضاً، ومن الأمثال المتداولة قولهم: عدو المرء من يعمل عمله. والحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم

(٥٥٣) المصدر السابق ٣/ ٣٥٤ .

قسماً من ذلك وفات الآخر. ويكون بين النظراء لكراهة أحدهم أن يفضل عليه الآخر، كحسد إخوة يوسف وكحسد ابني آدم أحدهما لأخيه فإنه حسده لكون الله تقبل من قربانه ولم يتقبل قربان هذا، فحسده على ما فضله الله من الإيمان والتقوى ولهذا قيل: أول ذنب عصي الله به ثلاثة: الحرص والكبر والحسد. فالحرص من آدم، والكبر من إبليس، والحسد من قابيل حيث قتل هابيل. والحسد يكثر في المناصب والأموال، ويقع لما يحصل للغير من السؤدد والرياسة^(٥٥٤) فأصحاب العلم والمال يُحسدان كثيراً، ولهذا يوجد بين أهل العلم الذين لهم أتباع من الحسد ما لا يوجد فيمن ليس كذلك، وكذلك فيمن له أتباع بسبب إنفاق ماله فذلك ينفع الناس بقوت القلوب، وهذا ينفعهم بقوت الأبدان والناس محتاجون إلى ما يصلحهم من هذا وهذا.^(٥٥٥)

٦ - حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به إلى مقصود ومن غير قصد شرعي صحيح (من الحاسد): وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظر في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء والمدح واستفزه الفرح بما

(٥٥٤) انظر مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص ١٩٩.

(٥٥٥) انظر خلق المسلم للغزالي ص ٩٤، دار القلم، الطبعة السادسة ١٤٠٦ هـ.

يمدح به، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى أقطار الأرض لساءه ذلك وأحب موته أو زوال تلك النعمة التي عند الذي يشاركه بها في المنزلة من شجاعة أو علم أو صناعة أو جمال أو ثروة أو نحو ذلك.^(٥٥٦)

٧ - خبث النفس وحبها للشر وشحها بالخير لعباد الله (من الحاسد): فتجد المتصف بذلك شحيحاً بالفضائل بخيلاً بالنعم وليست إليه فيمنع منها ولا بيده فيدفع عنها لأنها مواهب قد منحها الله من شاء فيسخطه على الله عز وجل في قضائه ويحسد على ما منح من عطائه وإن كانت نعم الله عز وجل عنده أكثر ومنحه عليه أظهر، وإذا ذكر له اضطراب ونكبات تصيب الناس وكذلك إدمارهم وفوت مقاصدهم وتنغيص عيشهم استنار وجهه وفرح به وصار يبته وربما أتى بإشاعة في صورة الترحم والتوجع فهو أبداً يجب الإدمار لغيره وييخل بنعمة الله على عباده كأن ما أعطاهم الله يؤخذ من ماله وخزائنه على أنه ليس بينه وبينهم عدواة وهذا ليس له سبب إلا التعمق في الخبث والردالة والنذالة والخساسة في الطبع اللئيم ولذلك يعسر

(٥٥٦) انظر كوكبة الخطب المثيفة، د. عبد الرحمن السديس، ص ٣٩٠
مكتبة إمام الدعوة العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

معالجة هذا السبب لأنه ظلوم جهول وليس يشفي صدره
ويزيل حزازة الحسد الكامن في قلبه إلا زوال النعمة
فحينئذ يتعذر الدواء أو يعزّ .

وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها إذ ليس لصاحبه
راحة ولا لرضاه غاية ، فإن اقترن بشر وقدرة كان بوراً
وانتقاماً وإن صادف عجزاً ومهانة كان جهداً وسقاماً.^(٥٥٧)

٨ - ظهور الفضل والنعمة على المحسود: بحيث يعجز عنه الحاسد
فيكره تقدمه فيه واختصاصه به فيثير ذلك حسداً لولاه لكفّ
عنه وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة ولكنها مع عجز
فصارت حسداً. وعلى قدر فضل الإنسان وظهور النعمة عليه
يكون حسد الناس له فإن كثر فضله كثر حسّاده وإن قلّ قلّوا
لأن ظهور الفضل يثير الحسد وحدث النعمة يضاعف الكمد
ولذلك ورد في الحديث (استعينوا على إنجاح حوائجكم
بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود).^(٥٥٨)

٩ - حب الدنيا : فمنشأ التزاحم حب الدنيا فإن الدنيا هي
التي تضيق على المتزاحمين فيتنافسون فيها أما الآخرة فلا
ضيق فيها أبداً.

(٥٥٧) انظر إحياء علوم الدين ٣/ ٣٥٥ .

(٥٥٨) انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس / ١ / ١٣٥ .

د - وسائل العلاج :

١ - التقوى والصبر: فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فليستعمل معه الصبر والتقوى فيكره ذلك الحسد في نفسه. (٥٥٩)

٢ - القيام بحقوق المحسود: من الناس الذين عندهم دين لا يعتدون على المحسود، فلا يعينون من ظلمه ، ولكنهم أيضاً لا يقومون بما يجب من حقه ، بل إذا ذمه أحد لم يوافقوه على ذمه ولا يذكرون محامده ، وكذلك لو مدحه أحد لسكتوا وهؤلاء مدينون في ترك المأمور في حقه مفرطون في ذلك لا معتدون عليه، وجزاؤهم أنهم يبخسون حقوقهم فلا ينصفون أيضاً في مواضع ولا ينصرون على من ظلمهم كما لم ينصروا هذا المحسود. أما من اعتدى بقول أو فعل فذلك يعاقب ، ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه.

٣ - الإخلاص لله تعالى في الأعمال ومناصحة المسلمين ولزوم جماعتهم : فإن هذه الخصال لها شأن عظيم في رفع الغل عن قلب المؤمن، كما أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله: (ثلاث لا يغسل عليهم قلب المؤمن

(٥٥٩) انظر بدائع التفسير لابن القيم ٤٢٥/٥ .

إخلاص العمل والنصيحة لولي الأمر ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تكون من ورائه (٥٦٠).

٤ - العلم بأن الحسد ضرر على الحاسد في الدين والدنيا ومنفعته للمحسود في الدين والدنيا: فلا ضرر به على المحسود لا في الدنيا ولا في الدين بل ينتفع به فيهما جميعاً. أما ضرره في الدين فلأنه سخطٌ لقضاء الله وقدره وكراهة لنعمة على عبده المؤمن وانضم إليه غش المسلم وترك نصحه وترك العمل بقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٥٦١) وانضم أيضاً إلى ذلك أنه شارك إبليس في ذلك، وهذه خبائث تأكل الحسنات.

وأما ضرره في الدنيا فإنه الألم الحاضر والعذاب الأليم الذي يتقطع له قلب الحاسد للنعمة حسرات .

وأما كونه لا ضرر على المحسود فواضح لأن النعمة لا تزول بالحسد. وأما منفعته في الدين فهو أن المحسود مظلوم من جهة الحاسد لا سيما إذا أخرج الحسد صاحبه إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه

(٥٦٠) رواه احمد برقم ٦١٢٨ ورواياته الأخرى في صحيح الجامع برقم ٦٧٦٦.

(٥٦١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال

الإيمان أن يحب لأخيه برقم ٦٤.

هدايا تُهدى إليه ، وأما منفعته في الدنيا للمحسود فهو أن أهم مقاصد أكثر أبناء الدنيا إيصال الضرر والهَمَّ إلى أعدائهم وهو متوفر في الحسد وقد فعل الحاسد بنفسه مرادهم .

٥ - الثناء على المحسود وبرّه: فيكلف نفسه الثناء عليه من غير كذب ويلزم نفسه بره إن قدر، والإهداء إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فهذه الأفعال تعمل على تطيب قلب المحسود ويحب الحاسد ويصير ما يتكلفه أولاً طبعاً آخرأ. ولم يتم العثور على إدخلات فهرسة. لا يعمل بوساوس الشيطان أن هذا عجزٌ ونفاقٌ وخوفٌ لأن ذلك من خدعه ومكائده فهذا الدواء إلا أنه مرُّ قلَّ من يقدر عليه . قال تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٥٦٢) . والعمل النافع فيه عدم البغي وكذلك أن يناقض الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكون نقيضه فإن بعثه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه ، وإن حمّله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه ، وإن بعثه على كَفِّ الإنعام عليه، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه

(٥٦٢) سورة فصلت ٢٤ .

ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتوَلَّد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه.

د - أثر الحسد في تنغيص سعادة المسلم :

لو لم يكن في الحسد إلا التآسي بأشقى الأشقياء إبليس، ومصاحبته لكان ذلك كافياً في تنغيص السعادة وتكديرها، ذلك أن أول معصية عصي بها الله تعالى هي هذا المرض القلبي (الحسد) عندما حسد إبليس آدم على نعمة التكريم التي كرمه الله بها عند أمره الملائكة بالسجود، فكان بذلك من الأشقياء أبداً .

فالذي يحسد إخوانه عباد الله على ما آتاهم الله من نعم، هو قد جارى الشيطان واتبعه، وليس ذلك فحسب بل إن الحسد هو دأب الكافرين والمشركين والمنافقين، على مر العصور، فما الذي منع زعماء قريش من الدخول في الإسلام إلا حسدهم رسول الله نعمة النبوة، وما الذي منع أهل الكتاب من اليهود والنصارى من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم غير الحسد .

والحاسد أول ما يصيبه مرض في حسده، يعاني من حسراته، وأسقامه، ثم لا يجد لحسراته انتهاء ولا يأمل لسقامته شفاء^(٥٦٣)، وذلك من أجل نعمة أنعم الله بها على غيره، فيكون بذلك مرضاً في قلبه، ويتلذذ بزوال النعمة عنه، وإن لم يحصل نفع بزوالها، ولكن نفعه يكون بزوال الألم الذي كان في نفسه، وبذلك يكون الحاسد في عدم ارتياح، ولا يمكن أن يطمئن، لأن قلبه منشغل بالمحسود وما هو فيه من نعمة، ولا شك أن انشغال القلب هذا هو المبعد للمسلم عن السعادة.

وهذا الداء الخطير، في هذا العصر (زمن الفتن) لم يسلم منه حتى من عرف بالخير والصلاح، والعلم والدعوة، وذلك لتحقق بعض أسبابه، ولعل من أهمها، انبساط الدنيا على أهلها، وانفتاحها حتى حصل التنافس، الذي حذر منه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله للصحابة رضي الله عنهم: (إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال عليه الصلاة والسلام: أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك ثم تنطلقون إلى مساكن المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض)^(٥٦٤).

(٥٦٣) أدب الدنيا والدين، الماوردي ص ٢٤٦.

(٥٦٤) رواد مسلم في صحيحه كتاب الزهد باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر برقم ٥٢٦٢.

فهذا كلام موجه لخير القرون وهم الصحابة رضي الله عنهم ، فكيف بمن بعدهم ، من القرون ،الذين قد بعد عنهم عهد نور النبوة وإشراقها ، لا شك أن أمر الحسد خطير، ويحتاج المسلم الى تصفية قلبه وإلى أن يحب إخوانه المؤمنين جميعاً ، وأن يحب لهم من النعم كما يحب لنفسه ، وأن يستعيد بالله من شر الشيطان الرجيم الذي يحاول بين الحين والآخر أن يسوق معه من استطاع من العباد حتى يدخلهم في زمرة نعوذ بالله من شره وكيده .

الخلاصة :

ومجمل القول أن الأمراض التي يتعرض لها المسلم في حياته - سواء الأمراض البدنية ، أو النفسية ، الاجتماعية - هي منغص من المنغصات التي تعترض حياة المسلم ، وبمعرفة ذلك ووضوحه يستطيع المسلم أخذ الاحتياطات اللازمة، والحذر من كل ما يحول بينه وبين تحقيق السعادة ، مؤمناً بالله تعالى ، مستسلماً لقضائه وقدره .

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ...

أما بعد :

أحمد الله العلي الكبير، ذي الجلال والإكرام، المتفضل، الحميد المجيد، الذي أكرمني كرمًا لا منتهى لحدوده، وأنعم علي بنعم لا تعد ولا تحصى، ومن أجل هذه النعم، وتلك المكارم، أن هداني لاختيار هذا الموضوع، ودراسته، والكتابة فيه، وأن وفقني لذلك وأعاني عليه، إعانة لا نكران لها، فله الحمد حتى يرضى وله الحمد إذا رضي وله الحمد بعد الرضا، فهو المنعم المتفضل سبحانه وبحمده، وهو العالم بأنني قد استفدت بمطالعتي وبحثي لكثير من المصادر والمراجع، في هذا الموضوع، ما لم أحصله في كثير من مراحل التعليمية السابقة، فله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله علانيته وسره، وسوف أذكر في خاتمة هذا المؤلف، ملخصاً إجمالياً، والنتائج والتوصيات، والمصادر والمراجع التي اعتمدت عليه في كتابته، وذلك على النحو التالي :

أولاً : ملخص الكتاب :

يمكن أن أخص المؤلف في نقاط أربع رئيسة تالية كما يلي :

الأولى : تعريف السعادة : غاية ما يطلبه الإنسان من النعيم الدائم ، في الدنيا وفي الآخرة، تتمثل في الدنيا بالشعور بالطمأنينة والرضا، عند توفيق الإنسان بين مصالحه الدنيوية والدنيوية، وفي الآخرة بالفوز برضوان الله تعالى ودخول الجنة.

الثانية : أسباب السعادة في الإسلام هي :

- ١- الإيمان .
- ٢- العمل الصالح .
- ٣- التواصي بالحق .
- ٤- التواصي بالصبر .

الثالثة : أسباب سعادة المسلم في حياته الأسرية هي :

- ١- الزوجة الصالحة .
- ٢- المسكن الواسع .
- ٣- المركب الهنيئ .
- ٤- الجار الصالح .

الرابعة : عوائق السعادة هي :

١ - قصور الفهم السليم لحقيقة السعادة .

٢- ضعف التربية الإيمانية للمسلم .

٣- الأمراض التي يتعرض لها المسلم .

وقد اشتمل المؤلف على تفصيل دقيق لكل ذلك ، سائلاً الله تعالى السعادة لنا، ولمن يقرأ هذا المؤلف أو يطلع عليه، أو أعانني على شيء منه .

ثانياً: النتائج والتوصيات :

من خلال فصول هذا البحث ومباحثه توصل المؤلف إلى نتائج مهمة ، انبثقت منها توصيات مهمة للمسلم المعاصر وهي على النحو التالي :

١- أن هدف الأهداف، وغاية الغايات، التي يجمع عليها كل البشر ، هي السعادة ، وأنها لا يمكن أن تكون لأي أحد إلا بالطريق الذي بينه رب البشر- سبحانه وتعالى، وهو منهجه الذي أراده لعباده في هذه الأرض، والذي بينه كتابه الكريم، وتوضحه سنة خاتم المرسلين، عليه الصلاة والسلام، ولذلك فلا يصح أن تطلب السعادة من غير هذين المصدرين، لأنها لا توجد إلا بهما .

٢ - الحياة الدنيا بما فيها من متاع، وزخرف، وعيش رغيد، لا تمثل السعادة أبداً، إلا إذا ربطت بالحياة الآخرة، لأن مفهوم السعادة مرتبط بهما جميعاً، وعلى ذلك فينبغي للمسلم مريد السعادة أن يستحضر حياته الأخرى وهو يعيش في هذه الحياة الدنيا لأنها مصيره الذي لا بد له منه، والذي يكمل به نعيمه المطلق.

٣ - أن من مكملات السعادة عند المسلم، ما يرتبط بجانب الأسرة، والذي حث عليه الأحاديث النبوية الشريفة، وظهر أثناء البحث أن سعادة المسلم الأسرية في الدنيا مكملة للسعادة العظمى التي يرغب فيها، ومعينة على تحقيقها، ولهذا لا بد للمسلم أن يهتم بالجانب الأسري ويوليه اهتماماً بالغاً من جميع النواحي، إذ هو من مكملات السعادة التي يريجوها ويأمل فيها.

٤ - ظهر المؤلف من خلال البحث أن للسعادة أركاناً أربعة، لا تقوم إلا بها، ولا تتحقق إلا بتحقيقها، وهي الإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والأخلاق الحسنة، وبالتالي فإن القيام بهذه الأركان الأربعة مجتمعة أمر لازم للمسلم لا يسعد إلا بذلك، على تفاوت في التكاليف والمسؤوليات كل بحسبه.

٥ - الحضارة المعاصرة، جل اهتمام أهلها بالمادة فقط، ولذلك فإن ما يقدم منها على اعتبار أنه سعادة، فهو لا يلبث أن يزول وينتهي، وعلى هذا فينبغي على المؤسسات التربوية الإسلامية، التي تعمل على تربية أبناء الإسلام أن تراعي ذلك عند وضع المناهج والخطط والوسائل المؤدية إلى تحقيق أهداف التربية الإسلامية وأن تعتبر أن الحضارة المعاصرة بكل وسائلها وتقنياتها ونظرياتها، إن لم تكن مرتبطة بالتصور الصحيح للحياة والكون والإنسان، فإنها ستظل قاصرة عن تحقيق السعادة .

٦ - المخالفات الشرعية لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله عليه الصلاة والسلام، والبعد عن الله تبارك وتعالى - بأي وجه من الوجوه - يؤدي إلى حياة غير سعيدة - بالتناسب العكسي بين المخالفات والحياة السعيدة - بل يؤدي ذلك إلى اضطرابات اجتماعية، ونفسية، من شأنها أن تعيق المسلم من أن يعيش متوافقاً بين ما يجب عليه أن يكون، وما يمارسه، ويطبقه في واقع الحياة .

٧ - تحقيق العبودية التامة لله جل وعلا، والرجوع إليه، والاستعانة به، في جميع الأحوال وشتى الظروف، والتقرب إليه بالطاعات والأعمال الصالحات، كفيلة بإذن

الله تعالى أن يجيا معها المسلم حياة سعيدة ، ومن تحقيق
العبودية لله تعالى في هذا العصر السعي من أجل انتصار
دينه ، ورفعته ، وتحكيم شرعه في الأرض ، والعمل الدائم
لذلك .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يلجن، مكتبة الخانجي، الطبعة ١٣٩٢هـ
- أثر الدعاء في كشف المحذور ورفع البلاء ، محمد عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء ١٤١٢هـ
- إحياء علوم الدين، الغزالي، دار الخير للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ
- اختيار جنس الجنين ، عبد الرشيد قاسم .
- أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ
- الأذكار للنووي، محيي الدين النووي، دار القلم، ١٤٠٩هـ
- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي جريشة، ومحمد شريف .
- الاستشفاء بالصلاة ، زهير رابح ، هيئة الإعجاز العلمي ، ١٤١٧هـ
- أسس الطب النفسي الحديث عطوف محمود ياسين منشورات بحسون الثقافية .
- الإسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ، دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة ١٩٦٥م
- الإسلام والعولمة، سامي دلال ، كتاب المتدى، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ
- الإسلام ومستقبل البشرية ، عبد الله عزام ، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤١٠هـ

- الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله ، في العصر الحاضر، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، الطبعة ١٤١٠هـ، خالد خياط
- أصول التربية الإسلامية، النحلاوي ، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ
- أصول التربية الإسلامية ، دار الفكر للطباعة ، ١٤١٧هـ
- أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية عشر، ١٩٧٧م
- آفات على الطريق ، محمد نوح، دار اليقين، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ
- آفاق بلا حدود، د. محمد التكريتي، دار المعارج، طبعة ١٤١٩هـ
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثره في حفظ الأمة، عبد العزيز المسعود، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ
- الأمل طبيعته وآثاره والطرق الموصلة إليه، رضا المصري، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ
- الإنسان الصالح وتربيته من منظور إسلامي، علي خميس الزهراني، دار طيبة الخضراء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ
- الإنسان والعقل، د. نايف معروف، دار سبيل الرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ

- الإيمان والحياة، القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٧هـ
- أين نحن من أخلاق السلف عبد العزيز الجليل دار طيبة للنشر الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
- بدائع الصنائع في التفسير، ابن القيم، دار ابن الجوزي، تحقيق يسري السيد أحمد
- بر الوالدين، أم حفص الشويحي، دار طيبة، ١٤٢٤هـ
- بر الوالدين، قيمة إسلامية عظيمة، عبد الله عبد العزيز، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ
- بصمات على ولدي، طيبة يحيى، دار الوطن للنشر، ١٤١٢هـ
- بغية الطالبين من إحياء علوم الدين، أحمد عساف، دار إحياء العلوم بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ
- تاج العروس للفيروز أبادي .
- التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، عبد العزيز الحميدي، دار الأندلس الخضراء، الطبعة ١٤١٦هـ
- التبيان في آداب حملة القرآن، محيي الدين النووي، مكتبة المؤيد، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ
- تحفة العروس، الإستانبولي، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ
- تحفة المودود في أحكام المولود، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية .

- تربية الأولاد في الإسلام ، عبد الله علوان، دار السلام للطباعة،
الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ
- التربية الترويجية في الإسلام، احمد سمك ، دار النفائس، ١٤٢٠هـ
- تربية العظماء ، جمال الحوشي، دار الأندلس الخضراء ، الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ
- تربية النشء في ظلال الإسلام محمود عمارة ، مطبوعات الرابطة ، مجلة
دعوة الحق عدد(٢٦)، ١٤٢١هـ
- الترغيب والترهيب ، المكتبة البخارية ، ١٣٧٩هـ
- تفسير الزمخشري ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة
١٤١٥هـ
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة،
الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
- تفسير القرطبي، دار الحديث، القاهرة .
- التفكير السديد طريقك إلى النجاح والتفوق، حمد الأميري، دار
المعرفة، للاستشارات التربوية .
- تهذيب سير أعلام النبلاء ، للذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية،
١٤١٣هـ
- تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، صلاح الصاوي، دار الأندلس
الخضراء، الطبعة لثانية، ١٤٢٢هـ
- تهذيب مدارج السالكين، محمد العزي، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ

- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، مكتبة دار الأقصى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ
- التوكل وعلاقته بالأسباب ، عبد الله الدميجي ، دار الوطن ، ١٤٢١هـ
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ابن سعدي ، دار عالم الكتب ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ
- ثقافة الطفل المسلم ، مفهومها وأسس بنائها، احمد الخليبي دار الفضيلة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ
- ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات ، موسى ابراهيم ، دار عمار ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ
- جامع العلوم والحكم ، مكتبة طيبة ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ
- جدد حياتك ، محمد الغزالي ، دار القلم .
- الجواب الكافي ، ابن القيم ، مكتبة الحرم الطبعة ١٣٤٦هـ
- حتى لا تكون كلا ، د. عوض القرني ، دار الأندلس الخضراء ، طبعة ١٤١٨هـ.
- الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة عبد الله الخاطر كتاب المنتدى.
- حصن المسلم ، سعيد القحطاني، دار الطرفين ، طبعة ١٤٢٢هـ
- حلية الأولياء، أبو نعيم، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

- حلية طالب العلم، ضمن المجموعة الكاملة، ابوزيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية ١٩٦٥ م .
- الخلق الكامل، محمد أحمد جاد، مكتبة ومطبعة محمد علي، الأزهر، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ هـ
- خلق المسلم، الغزالي، دار القلم، الطبعة السادسة ١٤٠٦ هـ
- دليلك الشخصي للسعادة والنجاح، إبراهيم القعيد، الناشر، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ
- الرائد في التربية والدعوة، مازن الفريح، دار المنطلق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ
- الركائز الأساسية لطالب العلم، مكتبة التابعين، ١٤١٧ هـ
- الزواج، ابن عثيمين، دار الوطن الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ
- السعادة بين الوهم والحقيقة، ناصر العمر، دار الوطن للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ
- السعادة عند بعض علماء الإسلام، محمد الخضر حسين، مكتبة السلفية، الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ
- السعادة من المنظور الإسلامي، عبد الله العامري، بحث ماجستير بجامعة بغداد .
- السلسلة الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف، للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة ١٤١٥ هـ

- سنن ابن ماجه ، بشرح السندي ، بحاشية تعليقات الزجاجه ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .
- السنن الإلهية في الأمم والأفراد والشعوب ، في الشريعة الإسلامية ، عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩ هـ
- سنن الترمذي ، دار الفكر ، للطباعة ، الطبعة ١٤١٤ هـ
- السنن الكبرى ، البيهقي ، (ت ٤٥٨) ، دار الفكر ، بيروت
- الشباب المسلم في مواجهة التحديات ، عبد الله علوان ، دار القلم ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ
- شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة ، محمد الهاشمي ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة لتاسعة ١٤٢٢ هـ
- شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ
- الصحاح في اللغة والعلوم العلامة عبد الله العلايلي دار الحضارة العربية
- الصحة النفسية نعيم لرفاعي جامعة دمشق الطبعة السابعة ١٩٨٧ م
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ
- صحيح البخاري ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، توزيع مكتبة دار الباز ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ
- صحيح الجامع ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ .

- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار المعرفة ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
- الصدق منجاة ، سعيد عبد العظيم، دار الإيمان.
- صفة الصفوة ابن الجوزي دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ
- صيد الخاطر، لابن الجوزي ، دار اليمامة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
- الضيق أسبابه وعلاجه ، في ضوء الكتاب والسنة ، عبد الله شقيبيل
- ظاهرة ضعف الإيمان ، المنجد ، دار الوطن ، الطبعة ١٤٢٠هـ ،
- العادات العشر- للشخصية الناجحة، إبراهيم القعيد، دار المعرفة للتنمية البشرية ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
- العبادات القلبية ، محمد عقيل موسى ، دار المجتمع للنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ
- عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين ، ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ
- عش هائلاً، عبد الكريم بكار ، مركز الراية للتنمية الفكرية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ
- العلاج النفسي بالقرآن رؤية طبية نفسيه شرعيه د طارق الحبيب .
- علم الصحة النفسية مصطفى خليل الشرقاوي دار النهضة العربية للطباعة
- العولمة حقائق وأرقام ، عبد سعيد عبد إسماعيل، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

- الفتاة المسلمة، والأزمة الأخلاقية في الإعلام المعاصر، باحارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة ١٤٢٣هـ
- فتح الباري، ابن حجر، دار الريان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
- فتح القدير للشوكاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ
- الفوائد لابن القيم، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ
- الفوضوية في حياتنا، عادل عبد العال، مؤسسة الجريسي، الطبعة الأولى.
- في ظلال الإيمان، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مجد الدين محمد يعقوب، طبعة الأولى ١٣٧١هـ مكتبة مصطفى اللبان
- قضية تحرير المرأة، محمد قطب، دار الأندلس، الطبعة ١٤١١هـ
- القلق وكيف نتخلص منه زهير السباعي دار القلم الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ
- كتاب السنن، ابو داود، تحقيق محمد عانة، مؤسسة الريان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، العجلوني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- كوكبة الخطب المنيفة، السديس، مكتبة إمام الدعوة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ

- كيف تجعل الطفل رجل المستقبل الصالح، بهية السبيت، ١٤١٦هـ
- كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، دار رمادي للنشر،
الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ
- لا تحزن ، عائض القرني ، مكتبة العبيكان الطبعة الأصلية ١٤٢٥هـ
- لسان العرب، ابن منظور جمال الدين يحيى (٧١١هـ)، دار صادر
بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ
- ما تحت الأقنعة ، محمد الصغير ، مطبعة سفير، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار الكتاب
العربي، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع الطبعة
١٤١٤هـ القاهرة ، تحقيق حسام الدين القدسي
- مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي،
الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ
- مختار الصحاح ، الرازي ، دار الفكر للطباعة والنشر .
- المختار من التراث العربي، منشورات، دار الثقافة ، والإرشاد القومي،
بدمشق، عام ١٩٧٨م ، اختيار سهيل عثمان ومحمد درويش .
- مختصر جامع بيان العلم وفضله، دار الخير، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ
- مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ، مكتبة الشباب المسلم ،
الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ
- المدخل إلى علم التاريخ، د. محمد صامل السلمي دار الوطن للنشر
والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ

- المرشد للسعادة والنجاح، إبراهيم القعيد، دار المعرفة للتنمية البشرية، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ
- مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، في مرحلة الطفولة، عدنان با حارث، دار المجتمع، الطبعة السادسة، ١٤١٨ هـ
- المستدرك على الصحيحين، ابو عبد الله الحاكم، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب
- مشكل الآثار للطحاوي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى
- المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح، مكتبة الضياء ١٠١، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ
- المعجم الفلسفي، ابراهيم حاج علي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩ هـ
- المعجم الفلسفي، جميل صليبي، دار الكتاب اللبناني .
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ.
- مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، خالد اللاحم، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، تحقيق محمد بيومي، مكتبة الأوس، المدينة المنورة .
- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، مكتبة الإنجلو المصرية
- مفهوم السعادة في الفكر الإسلامي، عبد العزيز أبو مندور، بحث ما جستير (غير منشور)، بجامعة الإسكندرية .

- مقدمة ابن خلدون ، المكتبة التجارية ، الباز، تصحيح وفهرسة، ابو عبدالله السعيد .
- مقومات الشخصية المسلمة، ماجد الكيلاني، دار الاستقامة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ .
- المنطلق ، محمد الراشد ، دار المنطلق للنشر والتوزيع ، ١٤١٥ هـ
- منهج النبوة في الدعوة إلى الله ، مهدي مبجر، مؤسسة الحرمين، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ
- منهج الإسلام في تزكية النفوس، أنس كرزون ، دار ابن حزم، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ
- منهج لقاء المؤمنين، رضا النحوي، دار النحوي للنشر، الطبعة ١٤١٣ هـ
- الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد (١٦٤ - ١٤٢) هـ عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ
- الموسوعة العربية العالمية، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ .
- الموسوعة النفسية، عبد اللطيف شرارة ، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٨ هـ
- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، القاسمي، دار الكتب العلمية، الطبع الأولى ١٤١٥ هـ ،
- نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، عبد الكريم بكار، دار المسلم.

- نزهة العقلاء ، دار الأندلسي ، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ
- نظام الأسرة في الإسلام ، محمد عقيلة ، مكتبة الرسالة الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٨٠ عـ .
- النية والإخلاص ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ
- الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية، أنس كرزون، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ
- هداية المشتاق إلى محاسن الأخلاق ، عبد اله شقيليل، دار القاسم الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ
- هذه أخلاقنا، حين نكون مؤمنين حقاً، محمود خزندار، دار طيبة للطباعة، الطبعة التاسعة ١٤٢٥ هـ
- الهزيمة النفسية عند المسلمين ، عبد الله الخاطر ، كتاب المنتدى .
- الوابل الصيب، لابن القيم، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ
- الوسطية في التربية الإسلامية، عبد الله محمد الزهراني، دار طيبة، للطباعة ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ
- الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة نوره صالح آل علي دار ابن القيم .

مواقع الإنترنت التي استفاد منها المؤلف :

- ١- موقع الإسلام اليوم .
- ٢- موقع إسلاميات .
- ٣- موقع حياتنا النفسية .
- ٤- موقع الصحة العربية .
- ٥- موقع الدر السنية

دورات استفاد منها المؤلف :

- ١- دورات في البرمجة اللغوية العصبية (أ.حسن الفيلاي)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ.
- ٢- دورة أسرار النفس البشرية (د.موسى الجويسر)، مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .
- ٣- مقدمة في العلاقات الإنسانية (أ. عادل با بطين)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ.
- ٤- رتب حياتك ، طارق السويدان ، مؤسسة قرطبة للإنتاج أوالتوزيع .
- ٥- السعادة في ثلاثة شهور، صلاح الراشد ، مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .
- ٦- كن شجاعاً ، صلاح الراشد ، مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .
- ٨- كن متفائلاً ، صلاح الراشد،مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .
- ٩- كن مطمئناً ، صلاح الراشد مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .
- ١٠- كيف تريح بالك وتطرد الوسوس، صلاح الراشد ، أحد للإنتاج الإعلامي والتوزيع .
- ١١- الثقة بالنفس ، موسى المزيدي ، دار البلاغ للإنتاج والتوزيع .

أشرطة كاسيت اهاد منها المؤلف :

- ١- السعادة وحل المشاكل النفسية، صلاح الراشد، مركز الراشد للتنمية الاجتماعية والنفسية .
- ٢- العيش في الزمان الصعب، عبد الكريم بكار، تسجيلات اليقين...

- ٣- التربية النفسية في حياة الأسرة المسلمة، طارق الحبيب، مؤسسة أحد للإنتاج والتوزيع .
- ٤- لمسات نفسية في الحياة الزوجية، طارق الحبيب، أحد للإنتاج والتوزيع .
- ٥- فنون تربية الأبناء ، عبد الحميد البلالي، مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .
- ٦- كيف نحقق الأمن في ذواتنا، الوقاية من القلق والاكتئاب، د. طارق الحبيب، الينبوع للإنتاج، والتوزيع .
- ٧- اللمسات المؤمنة للأسرة المسلمة ، أحمد القطان ، تسجيلات حنين الإسلامية .
- ٨- الأمن النفسي، د. محمد عقيل موسى ، دار البلاغ للإنتاج والتوزيع .
- ٩- كيف نحقق الأمن في ذواتنا ، د. طارق الحبيب ، تسجيلات التقوى .
- ١٠- القلق والاكتئاب ، د. طارق الحبيب ، تسجيلات التقوى .

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١١	الفصل الأول : مفهوم السعادة
١٣	المبحث الأول : معنى السعادة
١٦	المبحث الثاني : اختلاف الناس في فهم السعادة وتصورها .
١٦	أ- السعادة عند العامة
١٨	ب- مفهوم السعادة عند علماء الإسلام
٢٦	ج- تعريف المؤلف للسعادة
٣٦	المبحث الثالث : التصور الصحيح للسعادة
٥٥	المبحث الرابع : الفرق بين السعادة والنجاح
٦٧	الفصل الثاني : أسباب السعادة في الإسلام
٧٢	المبحث الأول : الإيمان
٧٢	أ- مفهوم الإيمان
٧٥	ب- مظاهر الإيمان
٧٥	أولاً : التوكل
٨٤	ثانياً : الإخلاص
٩٠	ثالثاً : الرجاء

- ١٠٤ رابعاً : المحبة
- ١٠٨ خامساً : الرضا
- ١١٤ المبحث الثاني : العمل الصالح
- ١١٧ أولاً : الصلاة
- ١١٧ أ- أهمية الصلاة
- ١١٨ ب- أثر الصلاة في حياة المسلم المعاصر
- ١٢٢ ج- خطوات تحقيق الخشوع والتنعم بلذة الصلاة
- ١٢٧ ثانياً : ذكر الله
- ١٢٧ أ- معنى الذكر
- ١٢٧ ب- أوجه ورود الذكر في القرآن الكريم
والسنة النبوية .
- ١٣١ ج- أثر الذكر في حياة المسلم المعاصر
- ١٣٨ د- نماذج من الذكر
- ١٣٨ الأول : تلاوة القرآن الكريم
- ١٣٨ ١- آداب التلاوة
- ١٤٢ ٢- حاجة المسلم المعاصر لتلاوة القرآن
- ١٤٦ ٣- التأثير الفسيولوجي لتلاوة القرآن الكريم
على الجهاز العصبي
- ١٤٨ الثاني : الدعاء

- أ- معنى الدعاء وحقيقته..... ١٤٩
- ب- نماذج من الأدعية..... ١٥١
- المبحث الثالث : الدعوة إلى الله..... ١٥٩
- أ- معنى الدعوة إلى الله..... ١٦٠
- ب- وجوب الدعوة إلى الله..... ١٦١
- ج- مجالات الدعوة إلى الله..... ١٦٣
- د- أثر الدعوة إلى الله في تحقيق السعادة..... ١٦٥
- في حياة المسلم المعاصر
- نماذج من مجالات الدعوة إلى الله..... ١٦٨
- أولاً : تعلم العلم وتعليمه..... ١٦٨
- ثانياً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ١٧٥
- أ- أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ١٧٦
- في تحقيق السعادة .
- ب- صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ١٧٨
- ثالثاً : الجهاد في سبيل الله..... ١٨٠
- المبحث الرابع : حسن الخلق..... ١٨٥
- أولاً : معنى الخلق..... ١٨٦
- ثانياً : معنى حسن الخلق..... ١٨٨
- ثالثاً : أركان حسن الخلق..... ١٨٩

- الركن الأول: العلم الموافق للكتاب والسنة..... ١٩٠
- الركن الثاني: الشجاعة..... ١٩١
- الركن الثالث: العفة..... ١٩٢
- الركن الرابع: الصبر..... ٢٠٢
- تطبيقات عملية للتدريب واكتساب حسن الخلق..... ٢٠٥
- الفصل الثالث: عوائق السعادة..... ٢١١
- المبحث الأول: قصور الفهم السليم لحقيقة السعادة..... ٢١٥
- أولاً: المادية المعاصرة..... ٢١٥
- أ - الانفجار المادي المعاصر..... ٢١٦
- ب- أثر الانفجار المادي في إضعاف شعور المسلم بالسعادة .
..... ٢٢١
- ج- التوسط والاعتدال في معايشة المادية المعاصرة..... ٢٢٥
- ثانياً: التأثير الفكري..... ٢٢٩
- أ - الإعلام السلبي..... ٢٣٣
- ب- سوء التربية..... ٢٣٦
- ج- العولمة الثقافية..... ٢٤٠
- ثالثاً: المجازاة والتبعية..... ٢٤٢

- ٢٤٧.....المبحث الثاني ضعف التربية الإيمانية للمسلم
- ٢٤٨.....الأول : ضعف الإيمان
- ٢٥٤.....الثاني: التفریط في الأعمال الصالحة
- ٢٦٥.....المبحث الثالث: الأمراض التي يصاب بها المسلم في حياته
- ٢٦٥.....أولاً: الأمراض البدنية
- ٢٧١.....ثانياً: الأمراض النفسية:
- ٢٨٤.....ثالثاً: الأمراض الاجتماعية
- ٣٠١.....الخاتمة
- ٣٠٢.....أولاً: ملخص الكتاب
- ٣٠٣.....ثانياً: النتائج والتوصيات
- ٣٠٧.....المصادر والمراجع
- ٣٢٥.....الفهرس

